البحوث النوعية ودراسة الحالة



د. محمد نبيل جامع


بسم الله الرحمن الرحيم


تليجرام
هنا
سور الأزبكية

المحتويات

تصديـــــــر

عاد البحث النوعي بعد أن خبت ملامحه بسحر الأرقام والرقمنة التي تزينت بهما الأبحاث الكمية، وبفعل ادعاءات الموضوعية والصرامة أو الدقة العلمية التي رفع راياتهما المنظور الوضعي Positivism. إلا أن التطرف الكمي هذا قد أدى إلى جفاف الفكر والمعاني وتجمد النظرية، فانحطت نوعية البحوث الكمية باتخاذها للاتجاه الخطي الميكانيكي الذي عادة ما يبدأ بمراجعة القائم من الفكر والنظرية واستنباط واحد أو أكثر من الفروض البحثية والاستعراض الكمي في التحقق من صحتها، والتوصية بتطبيق منطويات هذا الفرض (أو تلك الفروض) البحثية في حال التحقق من صدقها وصلاحيتها بشرعية التعميم الإحصائي. ومن مظاهر التدني في تلك الأبحاث الكمية أن أصبح مسماها "بحوث الترقية".

وقد كان الفضل لرواد البحوث النوعية المعاصرين أن استجابوا لديناميات العصر الحديث من تيارات ما بعد الحداثة، والعولمة، والرقمنة، وتقنيات المعلومات والاتصال فانخرطوا في استرجاع زخم البحوث النوعية بمزاياها الثرية في بناء المعرفة، وتوليد النظرية، والغوص في أعماق الحقيقة الاجتماعية المعقدة، واستيعاب أثر السياقات الاجتماعية، وعضوية وتشابك العلاقات القائمة بين فسيفساء الواقع الاجتماعي. وكانت النتيجة هي تكاثر البحوث النوعية، وتغطيتها لما لا يمكن حصره من جوانب الحياة الاجتماعية كما سوف يتضح من استعراض هذا المؤلف، ناهيك عن عودتها إلى وضعها المفقود في صلب مجريات بحوث العلوم الاجتماعية.

وغير المقدمة والخاتمة ومعجم المصطلحات الفنية والملحقات، يقع الكتاب الحالي في تسعة فصول: الفصل الأول يتناول البحوث النوعية والبحوث الكمية والفرق بينهما وتكاملهما، ويتناول الفصل الثاني تاريخ منهج التحليل النوعي، ويتناول الفصل الثالث البحوث النوعية ونموذج البحث الفهمي أو الاستبطاني، ويتناول الفصل الرابع أنواع التصاميم البحثية في البحوث النوعية، والخامس استراتيجيات البحِوث النوعية، والسادس دراسة الحـــالة، والسابع موقف الباحثين من دراسة الحالة وبعض المفاهيم الخاطئة حولها، والثامن الخطوات الإجرائية لدراسة الحالة، أما الفصل التاسع فيتناول توجهات دعم الثقة في دراسات الحالة.

ويتسم الكتاب بالصبغة العملية حيث يتمكن القارئ المتخصص من إجراء البحث النوعي واكتساب مهاراته اللازمة، ثم إنه يتسم بالطبيعة الديناميكية التأقلمية التي يتميز بها البحث النوعي نفسه من حيث المرونة المعطاة للباحث والاختيارات البديلة المتاحة له، وكذلك كثرة العودة لتأكيد وتعديل ما سبق وتوليد ما هو آت. ولا يشترط في تنظيم مؤلفات البحوث النوعية أن تكون خطية تدرجية، أو أن تتخذ تتابعا محددا في عرض مواضيعها حيث أن فهم موضوع معين يستلزم كون الموضوعات الأخرى مألوفة أو معروفة لدي الباحث. وتتمثل مرونة البحث النوعي على سبيل المثال في إمكانية قيام الباحث ببدء عمله الحقلي قبل الانتهاء من وضع أسئلته البحثية، كما يمكن للباحث أن يختار بين الترميز الرسمي للبيانات أو عدم الترميز على الإطلاق، وكما يمكنه أيضا الاختيار بين استعمال أو عدم استعمال البرامج الإلكترونية للمساعدة في تحليل بياناته. كما تتمثل مرونة البحث النوعي في اعتماده بصورة أساسية على الباحث نفسه من حيث عمق معرفته ومهاراته، بل ومواهبه، في جمع بياناته ومشاهداته الحقلية واتخاذه لفكرة إنتاج المعرف المشترك بينه وبين المبحوث إضافة إلى القيمة الأخلاقية المتعلقة بثمرة البحث النوعي من أجل تمكين المهمشين وعرض ثقافة الفقراء والمحرومين ومراعاة خصوصيات المبحوث وحرماته.

ومن مظاهر المرونة أيضا في عرض هذا الكتاب، والمستقاة كذلك من ملامح البحث النوعي، مبدأ التكامل المنهجي والاستخدام المختلط للبحوث الكمية والبحوث النوعية، والذي يتحيز له مؤلف هذا الكتاب الحالي بصفة خاصة لأن المعرفة هي ضالة الباحث العلمي سواءً حصل عليها باتباع المنهج الكمي، أو باتباع المنهج النوعي، أو باتباع خليط منهما، خاصة وأن هذا الاختيار الأخير هو ما يخلق القيمة المضافة والتآزر المنهجي بين الاتجاهين الكمي والنوعي والذي يمكن من خلاله بلوغ مستخلصات ما كان لأحدهما بمفرده أن يتوصل إليها.

وفي النهاية أعترف كباحث علمي أنني قد تدربت وتعلمت على يد مدارس علمية، وبين رفقاء دارسين يعظمون بل ويفخرون بممارسة المنهج الكمي في بحوث العلوم الاجتماعية، إلا إنني كنت دائما وبصورة خافتة منذ دراستي للمقرر الأساسي لعلم الاجتماع Sociology 1 على يد رئيس قسم الاجتماع البروفيسور وارينار Charles K. Warriner عام ١٩٦٤م، كنت معترضا دائما على فكرة علم الاجتماع المتحرر من القيم Value-free

sociology، وكنت معترضا دائما على استبعاد دور القيم ليس فقط في السلوك الاجتماعي بل وفي طرق البحث الاجتماعي ذاتها. اليوم وبعد ضلال بعيد أعلن توبتي في هذا المؤلف وأنضم للاتجاه المعاصر في بحوث العلوم الاجتماعية الذي ألغى الطبقية بين المنهجين الكمي والنوعي واعتبرهما توأماً متعاوناً متكاملا يسعى إلى إثراء المعرفة الاجتماعية دون تحيز أو جدل ساخن حول صحة أي الاتجاهين وصدقه وثقويته.

المؤلف

دكتور محمد نبيل جامع



البحوث النوعية ودراسة الحالة

مقدمــة

"البدع ومواطن الوهن في علم الاجتماع المعاصر والعلوم المرتبطة Fads and Foibles in Modern Sociology and Related Sciences"، مقال نشرة العالم العلامة Pitirim Sorokin، أحد الأعمدة الكلاسيكيين لعلم الاجتماع والأنثروبولوجي والسيكولوكي وبقية العلوم الاجتماعية، نشره في أكتوبر ١٩٥٦، في العدد الثاني من المجلد ١٨ في مجلة علم الاجتماع الأساسية *American Sociological Review* أعرب فيه عن سخطه على ناقديه لموسوعته الكلاسيكية *Social and Cultural Dynamics* وأكد فيه على أفكاره المتعلقة بالحاجة إلى إدراك معنى "الحقيقة الحدسية Intuitional truth". معركة بدأت في جامعة هارفارد مع معارضيه وخاصة مع Samuel Stouffer الذي تعمق في القياس الموضوعي ومحاولات التكميم الرياضي للظواهر الاجتماعية حيث قال Sorokin أن ما تبقى من Stouffer في محاولاته هذه ما هو إلا المراجع التي رجع إليها عن أساليب القياس لكل من (Bales and Lazarsfeld, Merton and Guttman, Thomas and Dodd) موضحا أنه سيبين في نهاية مقاله أن هؤلاء "المبتكرين" لم يقدموا أية اكتشافات جديدة في الرياضة أو علم القياس على الإطلاق (Sorokin, 1956: 9).

وقد هاجم Sorokin بعنف استخدام الاختبارات وخاصة الاختبارات الإسقاطية، مستخدما مصطلحات مثل "وهم الإجرائية Illusion of operationalism"، "الهوس الكمي Quantophrenia" و "الفلسفة المتهالكة للوضعية والإجرائية Obsolescent philosophy of positivism and operationalism". وقد أدى الاهتمام بهذه "التوافه"، حسب قوله، إلى فقدان الحدس المستنير والفهم العميق للظواهر الاجتماعية. وما كان ذلك في نظره إلا مرافقةً للثقافة (أو الحضارة) الحسية المتهالكة في العصر الحالي، كما أدى إلى خلق موقف لا يسوده إلى "التلفيقات الثقافية الفاشلة Abortive intellectual concoctions" (Sorokin, 1956: 306).

ولم يترك (Sorokin) معارضيه بلا تقديم البديل الصحيح، ألا وهو قبول نظريته الخاصة بالفهم أو الإدراك Theory of cognition، التي تتمثل في أجزاء أربعة على الأقل وهي الحسي Sensory، والعقلاني Rational، وما فوق الحسي Supersensory، وما فوق العقلاني Super-rational.

ولكن لم ينجح جهاد Sorokin ومؤيديه في كبح جماح التيار الكمي في البحوث الاجتماعية والذي ما زال سائدا حتى الآن مع انخفاض ملحوظ في مده نظرا لإدراك القيمة العلمية للبحوث النوعية والتوسع غير المسبوق في التحول إليها.

واستمر الحوار بين الباحثين الكميين والنوعيين بلهجة أكثر قسوة، وخاصة في مجال تقييم البرامج وذلك في ثمانينات وتسعينات القرن الماضي. وأصبحت النزاعات حادة لدرجة أنها أصبحت تُعرف باسم "حروب النموذج Paradigm wars" (Datta, 1994; Reichardt & Rallis, 1994).

وقد حجبت قسوة هذا النقاش حقيقة أن الأساليب المتباينة كانت تتعايش دائمًا في العلوم الاجتماعية، مع عدم وجود طريقة بحثية سائدة على الطرق الأخرى في جميع الحالات. ومنذ فترة طويلة تم الاعتراف بالاختلافات المنهجية وساد التسامح في مجالات مثل علم الاجتماع، وذلك قبل الاختلافات في تقييم البرامج (Rossi, 1994). وقد ناقش آخرون ضمن تقييم البرنامج أهمية الأرضية المشتركة بين جميع الأساليب موضحين أهمية ممارسات منهجية معينة مثل التفصيل في تبيان الأدلة والبراهين، والتمعن في التفسيرات المنافسة وجدية أخذها في الحسبان، والسعي نحو النتائج القابلة للتطبيق وذات الدلالات المهمة، والإشارة إلى الخبرة البحثية للباحث بالنسبة لموضوع البحث (Yin, 1994: 7; 2011).

وبغض النظر عن التخصص أو المجال، فإن الهدف التقليدي والأكثر إلحاحًا في إجراء أي دراسة للعلوم الاجتماعية يتمثل في مواءمة ومقارنة الطرق المختلفة في تناول أسئلة البحث التي وضعها الباحث وذلك بدلاً من "الالتزام والتعصب لبعض المعتقدات المنهجية الضيقة (Patton, 2002). وعموما فلن يدخل المؤلف الحالي في صراعات المقارنة بين المنهجين الكمي والنوعي إلا أن الاعتراف بقيمة كل منهما وحسن تطبيق كل منهما في المواضع الصحيحة إن هو إلا تكامل منهجي يقتضيه الفهم الموضوعي العميق للظواهر الاجتماعية.

فالغرض من العلم بوجه عام هو تطوير المعرفة النظرية، وتطوير المعرفة المنهجية، وتطوير المعرفة التطبيقية، وتطوير التآزر المعرفي أو التكامل المنهجي أو الاستخدام الأمثل لمجمل المناهج والنظريات المتوافرة بالطريقة التي تمكننا من فهم وتفسير وضبط الظواهر والاستفادة منها على أكمل وجه ممكن.

والمعروف أن المعرفة في بدايتها قد ولدت من "رحم" الفيلسوف حيث كانت وحدة العلم والمعرفة تتجسد في عقل واحد، هو عقل الفيلسوف. وبتقدم خبرة الإنسان وتطور منجزاته نما حجم المعرفة لدرجة بدأ التخصص فيها في الظهور إلى أن وصلنا إلى أكبر معقل للمعرفة حاليا وهو الجامعة University، تلك الكلمة التي لو فصصناها لحصلنا على مصطلح "مدينة العلم University-town"، تلك المدينة التي تحتوي على المعرفة الحديثة مقسمة إلى ثلاثة مجالات معرفية عريضة هي "الإنسانيات Humanities"، و "العلوم الاجتماعية Social sciences"، و "العلوم الطبيعية Natural sciences"، وعلى كل خريج من هذه الجامعة لابد وأن يدرس قدرا من كل من هذه المجالات الثلاثة بنسب مختلفة تعتمد على التخصص الدقيق الذي سوف يؤول إليه الدارس أو الخريج الجامعي. إن هذا القول إنما يعبر عن وحدة وتكامل المعرفة وتناغمها دون أدنى درجة من طبقية العلم، أو سيادة تخصص على آخر.

وفي مقابل ذلك تخصصت أيضا وتنوعت أنواع البحث العلمي على حسب معايير ثلاثة: التطبيق، والأهداف، ونوعية المعلومات المستهدفة. فمن ناحية التطبيق نجد نوعي البحوث البحتة Pure research، والبحوث التطبيقية Applied research. ومن ناحية الأهداف نجد البحوث الاستكشافية Exploratory research، والبحوث الوصفية Descriptive research، والبحوث التحليلية السببية Causal research. ومن ناحية المعلومات المستهدفة نجد البحوث الكمية Quantitative research، والبحوث النوعية Qualitative research.

الفصل الأول

البحوث النوعية والبحوث الكمية

قبل تناول البحوث النوعية والبحوث الكمية ربما يجدر التمييز أولا بين البحوث الفهمية والبحوث النوعية. كثيرا ما يتبادل الباحثون استخدام مصطلحي "البحوث النوعية" و "البحوث الفهمية (أو الاستبطانية)" معتبرين إياهما نظيرين لنفس العملية بالرغم من أنهما مختلفان تماما.

الفرق بين البحوث الفهمية Interpretive Research والبحوث النوعية Qualitative Research: يمثل مصطلح "البحوث الفهمية" نموذجا أو نمطا أو استراتيجية بحثية تعتمد على مفترض أساسي وهو أن الحقائق الاجتماعية ليست مفردة أو موضوعية، ولكنها تتشكل بواسطة الخبرة الإنسانية ووجود السياقات الاجتماعية والتاريخية، وبذلك يقوم الباحثون بفهم حقيقتها من خلال عملية "بناء المعاني Sense making"، وليس من خلال عملية اختبار الفروض البحثية. أما البحث النوعي فيتمثل في تحليل البيانات النوعية مثل البيانات النصية المتحصل عليها من عملية المقابلة الشخصية والوثائق الأخرى. فكأنما البحوث الفهمية تحمل صفة نموذج بحثي معين هو "الفهمية" Interpretivism، بينما يمثل البحث النوعي طرقا بحثية تعمل في إطار الفهمية. ولذلك تناول كتاب بوجدان و بيكلين (Bogdan and Biklen, 2002) عن البحث النوعي الموضوعات التالية التي تميل جميعها لكونها طرقا بحثية:

الظاهراتية، التفاعل الرمزي، الإثنوميثودولوجي، الدراسات الثقافية، دراسات الحالة، دراسات الحالة بالمشاهدة، البيوجرافيات، الاستقراء التحليلي المعدل، الطريقة المقارنية الدائمة، بحوث الملاحظة بالمشاركة، بناء فئات الترميز، البحث الإجرائي، البحث النوعي التطبيقي.

الفهمية Interpretivism، إذن، هي مدخل للبحوث الاجتماعية يرفض فكرة الوضعية التي تنص على أن السلوك الاجتماعي يمكن دراسته بنفس الطرق البحثية المتبعة بنجاح في مجالات الكيمياء والفيزياء. تنص الفهمية على أنه عندما ندرس سلوك معدن ما نجد أن

الأسباب الرئيسية لتغير المعدن تكمن في البيئة (مثل الحرارة، والضغط). أما الإنسان فيسلك سلوكه محددا جزئيا بالبيئة وليس كليا. كما أن تأثير البيئة لا يكون مباشرا مثل ما هو الحال مع قطعة المعدن. الإنسان يتأثر أيضا بفهمه الذاتي للبيئة مما يشكل الحقائق الذاتية. الأمر لا يهم عندما يتعلق بالانطباعات الذاتية لقضيب من الحديد، ولكن عندما نريد الفهم الحقيقي لمراهقة منحرفة عمرها ١٨ سنة فلابد أن نفهم نظرتها للحياة حولها. كما لابد أن نفهم الإدراكات الذاتية لها من جانب الآخرين في سياقها الاجتماعي والثقافي. وهكذا فإن الفهميين يؤكدون على ضرورة فهم ما يعنيه العالم المحيط بالشخص أو الجماعة قيد الدراسة، وهذا لما يمثل العامل الحرج والمهم في البحوث الاجتماعية الجيدة. ومن ثم يفضل الفهميون طرق البحث النوعية مثل دراسات الحالة، المقابلات الشخصية والمشاهدة، لأن هذه الطرق هي الطرق الأفضل لإدراك كيفية فهم المبحوثين للبيئة المحيطة.

فعلى سبيل المثال، بالنسبة لدراسات الحالة يشير الباحثون إلى أن هذه الدراسات يمكن أن تتبع أيا من المدخلين الكمي والنوعي (Doolin, 1996; Stake, 1994) أو أي خليط منهما (Yin, 2003). ويخطو والشام (Walsham, 1995a) خطوة إضافية عندما يشير إلى قيمة دراسات الحالة الفهمية Interpretive case studies. ففي دراسات الحالة النوعية والفهمية يندمج الباحث مباشرة في عملية جمع وتحليل البيانات (Cresswell, 1998; Klein and Myers, 1999; Morgan and Smircich, 1980; Morse, 1994). هذا ويصبح الباحث أيضا من خلال تفاعله المباشر مع المبحوثين مشاركا حساسا Passionate participant (Guba and Lincoln, 1994: 115). وبالرغم من أن هذه الملاحظة يمكن أن تعتبر خطأً منهجيا أو نقطة قصور إلا أنه من وجهة نظر أخرى يمكن أن تعتبر واحدة من ملامح القوة في البحوث الفهمية، ذلك لأن هذه المشاركة الحساسة توفر الفرصة التي يتمكن الباحث من خلالها الخوض في أعماق القضية موضوع الدراسة لأن التفسير الفهمي يرصد وجهة نظر المبحوثين ويترجمها إلى قضية يتمكن القارئ من فهمها (Newman, 1997: 72). ومن ثم فيؤكد العلماء على أن البحوث الفهمية تتيح فرصة عرض المفاهيم الخاصة بكل من الباحث والمبحوثين في آن واحد ((Guba and Lincoln, 1994; Newman 1997; Walsham, 1995).

ومع ذلك، فإن سمة دراسات الحالة الفهمية هذه تضع عبئًا إضافيًا على الباحث، كما يتضح من الفقرة التالية:

دعونا نتخيل سيناريو على الشاطئ تقترب فيه موجة ضخمة من الشاطئ. هناك متزحلق فوق سطح الماء فرح وسعيد وهو يتزحلق فوق هذه الموجة الكبيرة، وهناك طفلان خائفان يركبان قاربا هوائيا أسفل هذه الموجة الهائلة مباشرة. وهناك على الشاطئ فتاة معجبة ببراعة صديقها المتزحلق، ثم هناك أيضا والدة الطفلين متصلبة من الخوف وهي تراقب كتلة المياه التي تلوح في الأفق وهي تقترب من القارب. وعلى الجرف المجاور يوجد راهب مسترخ يتأمل في لانهائية الكون وعظمة الخالق وقدرته وهو يستمتع بنسيم البحر وصوته. إذا كنا نريد إجراء بحث حول معنى هذه الموجة لرواد الشواطئ، فستعتمد نتائجنا على هوية المبحوث. والمفترض هنا أن يقدم الباحث رؤية المبحوثين فقط، والتي قد تكون في هذه الحالة غير كافية أو حتى مضللة لأن تجربة المبحوث الشخصية مع الموجة تختلف تمامًا بين هؤلاء المبحوثين الثلاثة. ولذلك فعلى الباحث الفهمي، إذا أراد بناء بحث متكامل ومقنع حول هذه الظاهرة أن يشير إلى وجهات نظر المبحوثين المختلفة.

هل هي أساليب Techniques جديدة أم نماذج Paradigms جديدة؟ ولكن هل يمثل البحث النوعي نموذجا بحثيا أم أسلوبا بحثيا؟ لقد ظهر البحث النوعي كبديل أفضل للطرق البحثية الكمية الوضعية. ولا يمثل البحث النوعي مجرد مزيد من الأساليب البحثية الممكن اختيارها بالباحثين الاجتماعيين. فنحن لم نضف ببساطة إلى البحوث التجريبية طرقا أخرى مثل دراسات الحالة. فالبحث النوعي يعتمد على نموذج مختلف أو نظرة حياتية مختلفة، لها فروض أساسية، وأسباب مختلفة لإجراء البحوث، وعقائد مختلفة حول نوع البيانات الجديرة بالاهتمام، ومن ثم فله مداخل مختلفة لتحليل البيانات المجمعة. وتمثل هذه الاختلافات جوهر الجدل المعاصر حول نوع البحوث المستحق لاهتمامنا وجهدنا. فعلى سبيل المثال، قد يتساءل بعض الباحثين: هل تصلح رواية معينة أن تكون رسالة دكتوراه في كلية التربية مثلا؟ وهنا يجيب البعض على هذا التساؤل بالإيجاب، مدعيا أن الهدف من البحث هو إعلام الناس وإقناعهم، وهنا تقوم الرواية بنفس المهمة بل وبطريقة أكثر فاعلية من أشكال كثيرة من البحوث. وقد يعدل البعض هذه الإجابة قليلا قائلا أن الرواية تصلح كرسالة دكتوراه في التعليم Ed. D.، ولكن لا تصلح كرسالة دكتوراه فلسفة

Ph.D.، فالاختلاف هنا ينبع من أن القرار يتوقف على النموذج الذي يعتنقه كل من هؤلاء الباحثين.

وهكذا أصبحت النماذج المختلفة مركز الجدل في الدوائر البحثية خلال الأربعين عاما الماضية. فمن كبار الباحثين من يصنف هذه النماذج إلى خمس فلسفات علمية: الإمبيريقية أو التجريبية Empiricism، ما بعد الإمبيريقية Postempiricism، النظرية النقدية Critical Theory، السيوسيولوجية Sociological، والفوضوية Anarchistic (Kuhn, 1970, 1996; Kuhn, Conant and Haugeland, 2000; Lakatos and Musgrave, 1970). وقد اختصر سميث (Smith, 1989) هذه البدائل في اثنين فقط هما الإمبريقية والفهمية Interpretivism، ثم بعد تفكير آخر وفي عام ١٩٩٣ (Smith, 1993)، جعل نفس الباحث هذين البديلين أربعة: الإمبيريقية، ما وراء الإمبيريقية، النظرية النقدية، والفهمية.

مواطن التشابه والتميز بين البحث النوعي وغيره من بحوث العلوم الاجتماعية: تحاكي الكثير من إجراءات البحث النوعي الإجراءات العامة التي تتعلق بجميع بحوث العلوم الاجتماعية. إلا أن هناك ملامح أخرى للبحث النوعي تميز بل وتتناقض مع الطرق الأخرى لإجراء أبحاث العلوم الاجتماعية.

أوجه التشابه: لا تختلف حرفة إجراء البحوث النوعية عن حرفة إجراء بحوث العلوم الاجتماعية في كثير من الملامح. كبقية البحوث غير النوعية تتضمن البحوث النوعية إجراءات البدء باستخدام البحوث السابقة في شكل استعراض مرجعي أو في شكل بنك البيانات Data bank للمساعدة في اقتراح موضوعات جديدة للدراسة. وعلى غرار ذلك، توجد أوجه تشابه أخرى في الطرف الآخر من دورة الدراسة. فعلى سبيل المثال، نرى أن الطرق المقترحة لإعادة صياغة تركيبة البحث النهائية تتصل بمعظم أبحاث العلوم الاجتماعية الأخرى. ومن ثم فيمكن أن تستفيد جميع الدراسات الإمبيريقية من إسهامات الباحثين الزملاء بغض النظر عما إذا كانت الدراسة تستند إلى طرق نوعية أو غير نوعية.

وهنا يمكن ملاحظة أوجه التشابه الأخرى. فعلى سبيل المثال، من بين ملامح تصميم البحوث عامة التحقق من صدق البيانات والنتائج، واستخدام التثليث Triangulation

واعتبار وفحص وتقييم الأفكار والنظريات المنافسة، وكل ذلك لتعزيز نتائج البحوث، وهذا كله ليس فريدا بالبحث النوعي. وكذلك فإن السعي نحو الوصول إلي الحالات السلبية، ومزايا المقارنات المستمرة كمعايير تحليلية تمثل إجراءات تتحرك في نفس الاتجاه كما في جميع أبحاث العلوم الاجتماعية الأخرى.

وبالنسبة للإجراءات الأخرى لتحليل البيانات نجد أن كثيرا من الباحثين قد أهملوا بعض التشابهات القائمة أيضا. فعلى سبيل المثال، تستفيد الدراسات النوعية من بناء معجم مصطلحي لمعاني مصطلحات الدراسة. وهناك مثيل تقريبي لوظيفة هذا المعجم في البحوث غير النوعية تؤديها قواميس البيانات المستخدمة في الإعداد لتحليل البيانات غير النوعية.

ومن الطريف أنه حتى الاستخدام المتبع في البحث النوعي للسلاسل، والتسلسلات الهرمية، والمصفوفات في إعادة تجميع البيانات النوعية له نظائر في أنواع أخرى من بحوث العلوم الاجتماعية. ويجب الإشارة إلى أن البيانات النوعية تتكون إلى حد كبير من الكلمات والسرد، في حين أن البيانات الخاصة بالطرق الأخرى تميل إلى أن تتكون من أرقام. وعلى الرغم من هذا الاختلاف، فإن استخدام المصفوفات في البحث النوعي (كما تمثله جداول الكلمات أو التسلسل الزمني) كخطوة تحليلية أولية قد لا يختلف وظيفيًا عن نفس الدور التمهيدي لاختبارات الارتباط والترافق في البحوث غير النوعية.

ومن مظاهر التشابه أيضا ما يسمى بالدور الانعكاسي أو التأملي Reflexive role للباحث في البحث النوعي والذي يقابله تحيز الباحث التجريبي Experimenter's bias، وهو أمر معروف وقد لا يتم التخلص منه في البحث التجريبي. ومن مظاهر التشابه الأخرى بين البحث النوعي وغيره المرتبط بالبحث التجريبي الخبرات المتمثلة في "المحاولة والخطأ" في المراحل الأولى من البحث النوعي، والتي يقابلها محاكاة التجارب واعتمادها على إجراءات تجريبية قديمة لم يتم نشرها أو التحقق من صحتها (Streiner & Sidani, 2010).

أوجه الاختلاف: هناك اختلاف كبير ناتج عن خاصية أساسية للبحث النوعي وهي جمع البيانات الميدانية، حيث يكون الباحث هو أداة البحث الرئيسية. فعلى الرغم من استخدام الباحث لمجموعة متنوعة من أساليب جمع البيانات، بما في ذلك الاستبيانات

لإجراء مقابلات منظمة، فإن دليل الباحث الرئيسي لجمع البيانات النوعية هو بروتوكول البحث. ويحدد البروتوكول الإطار العقلي (أو مجال الاستكشاف) الذي سيتبعه الباحث. ويشمل هذا الإطار الموضوعات ذات الأهمية للمقابلات النوعية أو الملاحظات الميدانية. ويحدد بروتوكول البحث بعد ذلك تحديد استخدام الأدوات الأخرى. فعلى سبيل المثال، قد تتضمن هذه الأدوات استبيانا، إذا كانت الدراسة النوعية هي إجراء مقابلات منظمة، كجزء من جمع بيانات الدراسة. وكذلك يتميز البحث النوعي أيضًا بالالتزام بجمع البيانات السردية من أجل الحصول على بيانات غنية تمكن الباحث تمامًا من فهم سياق الأحداث التي يدرسها بشكل أفضل. ويمكن في نفس الوقت السعي نحو جمع البيانات الرقمية التي تكمل البيانات السردية.

وهناك جانب آخر من جوانب الاختلاف بين البحوث النوعية والكمية، وهو الاعتماد على التعميم التحليلي في البحث النوعي والتعميم الإحصائي في البحث الكمي. تميل الدراسات النوعية إلى التعميم على حالات أخرى (على أساس الاستدلالات التحليلية) في حين تميل الدراسات غير النوعية إلى التعميم على السكان (على أساس الاستدلالات الإحصائية). ويساعدنا هذا العرض الموجز لأوجه التشابه والاختلاف بين البحث النوعي والباحث الكمي على التفكير في استخدام كل من الطرق النوعية والأساليب الأخرى في نفس الدراسة (البحوث المختلطة)، مما قد ينتج عنه نتائج أكثر إقناعًا. ويكمن هذا الاستخدام المشترك أو "المختلط" وراء الاهتمام بأبحاث الطرق المختلطة.

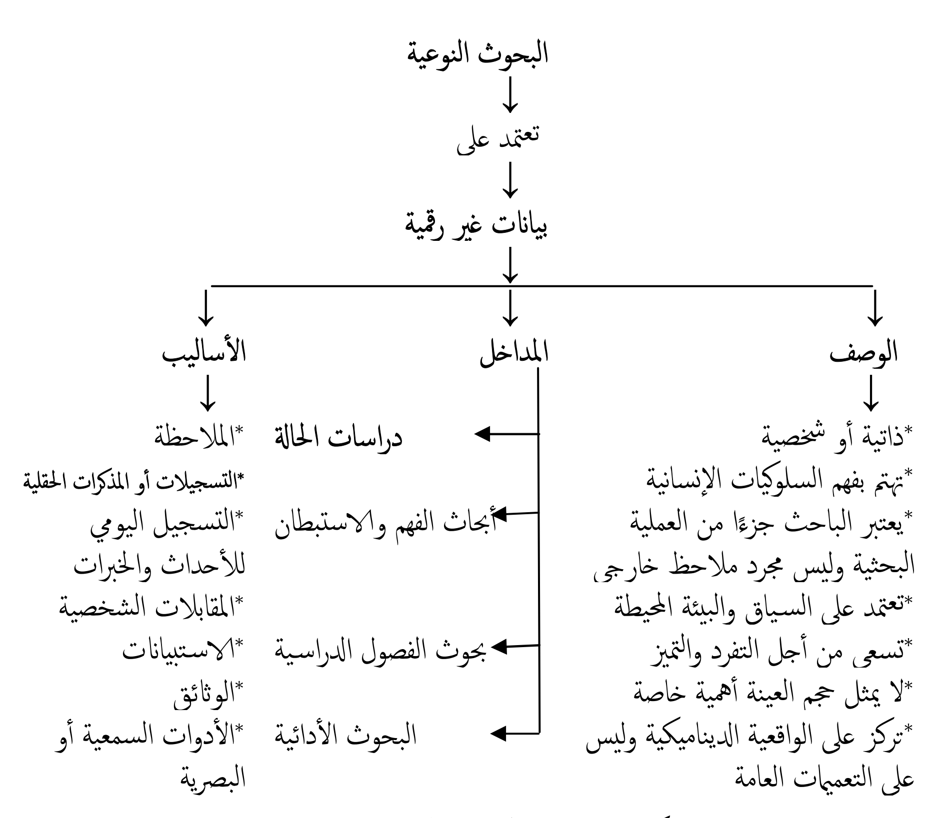
اختلافات وجهات النظر للحياة عبر بحوث العلوم الاجتماعية: تتكون النظرة إلى الحياة من مجموعة من المعتقدات حول الصفات المقبولة للبحث وكيفية القيام به. تنظر البحوث النوعية إلى العالم نظرة الفسيفساء، بمعنى أن عالم الشؤون الإنسانية ليس مجرد حقيقة واحدة بل حقائق متعددة، فعلى سبيل المثال تهتم البحوث النوعية بنظرة المبحوث Emic view، كما تهتم بنظرة الباحث Etic view. في النظرة الأولى تتوقف معاني الحياة على نظرة المبحوثين وقيمهم وفهمهم وعواطفهم وأحاسيسهم الخاصة، والتي قد تبدو للباحث متحيزة، ومن ثم فهو ينظر إلى الحياة محاولا توخي الموضوعية بحيث قد يغير من مفاهيم المبحوثين وتقييمهم للحياة. وهكذا، فإن الافتراضات البديلة حول إجراء أبحاث العلوم الاجتماعية لا تشمل فقط قضية تعدد الحقائق مقابل أحاديتها، ولكن تشمل أيضًا ما إذا

كان البحث مقيّدًا بالقيم Value-bound أو محررا من القيم Value-free، وكذلك ما إذا كانت تعميمات البحث يمكن إجراؤها مستقلة عن السياق الاجتماعي أم لا، وما إذا كانت الأسباب تسبق النتائج مؤقتًا أم تحدث في وقت واحد تقريبًا، وقد يكون من المستحيل التمييز بين الأسباب والنتائج. وهنا يميل الباحثون النوعيون إلى افتراض وجود حقائق متعددة، مرتبطة بالقيم، ومحدودة بالوقت، ومحددة بالسياق الاجتماعي، وأن الأسباب والنتائج معقدة لدرجة أنه يستحيل التمييز بينهما. هذا بينما يميل الأشخاص الذين يفضلون البحوث غير النوعية إلى افتراضات معاكسة. ومن ثم فيرى بعض الباحثين أن البحوث النوعية وغير النوعية ليستا مجرد أنهما مختلفتان بل قد يمكن النظر إليهما على أنهما غير متوافقتين. وهذا ما أدى إلى الجدل القائم بين كل من مؤيدي البحوث النوعية ومؤيدى البحوث غير النوعية والذي لا زال مستمرا حتى الآن.

نظرة ما بعد الحداثة بعد الجدل بين البحث النوعي والبحث الكمي: ظهرت وجهة نظر ما بعد الحداثة نتيجة للتطرف الذي وصل إليه الجدل بين الباحثين النوعيين والكميين، ومن ثم فقد جذبت اهتمامًا متزايدًا خلال العقود القليلة الماضية. وتشير نظرة ما بعد الحداثة أن جميع المساعي الإنسانية، بدءًا من القيام بالبناء التجريدي إلى إجراء البحوث العلمية، هي مدفوعة ضمنيًا بالرغبة في ممارسة السيطرة على الناس (Butler, 2002: 2-3; Eisenhart, 2006: 577). ومن مقولات مؤيدي ما بعد الحداثة أن "الموضوعية" التي يروج لها الباحثون في العلوم الطبيعية على أساس أنها لازمة للتوصل إلى قوانين كونية ليست في الواقع إلا وسيلة لإعطاء العلماء الطبيعيين وضعا متميزا على موضع العلماء الآخرين. فعلى سبيل المثال، يستخدم العلماء الطبيعيون حاجتهم للموضوعية ليفضلوا بسببها دراسة موضوعات معينة ويتجنبوا دراسة موضوعات أخرى لا تخضع في نظرهم للموضوعية. وبنفس المنطق، يدعي علماء ما بعد الحداثة في نقدهم لعلماء البحوث النوعية أنه يمكنهم تحديد أو تعريف السياقات الاجتماعية كوسيلة لنشر أهداف مجالات أكاديمية معينة مثل علم الأنثروبولوجيا مع ما يرافقه من نشر الهيمنة الغربية (Berger, 1993, cited in Sluka and Robben, 2007: 18). ولم تؤدي ادعاءات علماء ما بعد الحداثة إلى حجج قوية مضادة (Butler, 2002: 37-43)، وإنما أدت إلى ظهور لهجات تصالحية، منها على سبيل المثال، أن علماء البحوث النوعية قد اعتنقوا قيمة "التبادلية" بين

الباحث والمبحوثين وتقديم شيء مفيد للمبحوثين مقابل تعاونهم مع الباحثين النوعيين وذلك كقيمة مرتبطة بالعمل الميداني، وذلك كله من أجل إضعاف حجة علماء ما بعد الحداثة والمتعلقة بالهيمنة الغربية (Sluka and Robben, 2007: 21). وعلى الجانب الآخر، تطبيقا للهجة التصالحية، بدأ علماء البحوث النوعية بالاعتراف بإمكانية تواجد علاقات متنوعة بين الباحثين والمبحوثين، بما في ذلك تلك العلاقات التي تؤدي إلى الإنتاج المشترك للمعرفة بدلا من العلاقة الهرمية التقليدية (Karnieli-Miller, Strier and Pessach, 2009; Reason and Riley, 2009).

الفرق بين البحوث النوعية والبحوث الكمية: بعد أن فرقنا بين البحوث النوعية والبحوث الفهمية يأتي الآن دور التمييز بين البحوث النوعية Qualitative research والبحوث الكمية Quantitative Research. تستكشف البحوث النوعية الاتجاهات والسلوكيات والتجارب من خلال طرق كالمقابلة الشخصية أو الجماعات البؤرية Focus groups. وتحاول هذه البحوث التعمق في آراء المبحوثين ومن ثم فنظرا للتركيز على الاتجاهات والسلوكيات والتجارب فإنه لا يلزم العدد الكبير من المبحوثين، ولكن يتطلب الأمر المكوث معهم لمدة أطول بكثير مما هو الحال في البحوث الكمية. وتحت مظلة البحوث النوعية تتواجد هناك طرق وأساليب متعددة منها دراسة الحالة، ويمكن توضيح ذلك في الشكل التالي:



شكل ١. دراسة الحالة في ظل الدراسات النوعية

وقد أشار سيرل (Searle, 1995) إلى ثلاثة مجالات تتميز فيها البحوث الكمية عن البحوث النوعية: (أ) معيار الفهم مقابل التفسير كهدف للبحث. تهتم البحوث النوعية بفهم العلاقات المعقدة بين متغيرات مختلفة بينما تهتم البحوث الكمية بالتفسير والضبط. (ب) معيار المعرفة المكتشفة مقابل المعرفة المنشأة أو المكونة، فالباحثون النوعيون يعتقدون أن المعرفة تنشأ وتطور ولا تكتشف كما يعتقد الباحثون الكميون. (ج) معيار دور الباحث في البحث حيث لا يعترف الباحثون الكميون بدور الباحث في البحوث الكمية حيث لا يجب أن يكون شخصيا بينما يُعترف به كثيرا في البحوث النوعية. وقد قام عدد من الباحثين بإيجاز المحاور الهامة للتمييز بين البحوث الكمية والبحوث النوعية كما يتضح في الجدول التالي:

جدول ١. بعض الفروق بين البحوث الكمية والبحوث النوعية

محور التمييز	البحوث الكمية	البحوث النوعية
العلاقة بين الباحث والمبحوث.	بعيدة.	قريبة.
موقف الباحث بالنسبة للمبحوث.	خارجي.	داخلي.
طبيعة الحقيقة.	موضوعية وفريدة.	ذاتية ومتعددة.
صورة الحقيقة الاجتماعية.	ثابتة وخارجية بالنسبة للمبحوث.	عملية ومنشأة اجتماعيا بواسطة المبحوث.
العلاقة بين النظرية والمفاهيم من ناحية والبحث من ناحية أخرى.	علاقة تحقق من الفروض البحثية.	علاقة ناشئة Emergent .

المصدر: (Bryman, 1995; Creswell, 1994; Neuman, 2000)..

وكذلك يمكن القول إن طرق البحث في البحوث الكمية تكون أكثر بناء وتحديدا وذلك بالنسبة للعينات وأدوات جمع البيانات وذلك من قبل عملية جمع البيانات، هذا في الوقت الذي يتطور فيه موضوع البحث في البحوث النوعية كلما يتطور البحث نفسه. وبالنسبة للنتائج البحثية تتبع البحوث الكمية نمط البرهان التعميمي بينما تتبع النتائج البحثية في البحوث النوعية نمط البرهان الإيديوجرافي أو الذاتي غير التعميمي المرتبط بفترة زمنية محددة ومنطقة معينة. ولذلك فإن البحوث النوعية تصلح لدراسة المجالات الراسخة الثابتة والمعقدة والتي تتضاءل حولها المعرفة والظواهر المعنوية كالاتجاهات والقيم والمشاعر والعواطف وعمليات التفكير التي يصعب دراستها بالبحث الكمي التقليدي. كما تصلح البحوث النوعية لدراسة الظواهر التي يصعب تحديد حدودها في واقعها الحياتي.

ومن الناحية النظرية المنهجية أو الفلسفة العلمية تتخذ البحوث الكمية المدخل الوضعي لدراسة الظواهر الاجتماعية Positivism بينما تتبع البحوث النوعية المنهج الفهمي أو الاستبطاني Interpretivism، واللذان نلخص الفرق بينهما في الجدول التالي:

جدول ٢. التميز بين الوضعية والفهمية

المعيار	الوضعية Positivism	الفهمية Interpretivism
العلاقة بين المجتمع والفرد	المجتمع يشكل الفرد، والمجتمع يتكون من حقائق اجتماعية تفرض ضغوطها على الفرد وتتحكم في سلوكه (Durkhein).	يمتلك الأفراد وعيا، وليسوا مجرد دُمى يحركها المجتمع حيث يتفاعلون مع القوى الاجتماعية الخارجية.
	يمكن تفسير سلوك الأفراد بصورة عامة من خلال المعايير الاجتماعية التي يتعرضون لها خلال عملية تطبيعهم الاجتماعي، والتي تخص طبقتهم الاجتماعية ونوعهم وانتماءاتهم العرقية.	الأفراد كيانات كلية غاية في التعقيد تختلف تجاربهم وفهمهم لنفس الحقيقة الموضوعية كما أن لهم أسبابا مختلفة لأفعالهم.
البؤرة العامة للبحث الاجتماعي	يتركز هدف البحث الاجتماعي في اكتشاف القوانين التي تحكم السلوك الإنساني كما هو الحال بالنسبة للعلماء الذين يكتشفون القوانين التي تحكم العالم الطبيعي.	تتمثل بؤرة البحث الاجتماعي في التوصل إلى نظرة متعمقة لحياة المبحوثين وأن يتوصل الباحثون إلى فهم متعاطف للسبب الذي من أجله يسلك المبحوثون سلوكهم الذي يقومون به.
	على العلماء الاجتماعيين أن يتبعوا طرقا ومداخل مشابهة لقرنائهم في العلوم الطبيعية.	على العلماء الاجتماعيين اتباع أساليب غير علمية فيزيائية لكي يدركوا العالم من منظور المبحوثين.
	يفضل العلماء الاجتماعيون طرقا بحثية كمية تسمح للباحث أن يظل منفصلا عن المبحوثين.	يفضل الباحثون الاجتماعيون اتباع طرق بحث نوعية تسمح بالتفاعل القريب مع المبحوثين.
الطرق البحثية	الكمية، الإحصاءات الرسمية،	تحليل وفهم الظواهر الاجتماعية،

المفضلة	المسوح الاجتماعية، الاستبيانات، المقابلة الشخصية المنظمة والموحدة. كما تتطلب الوضعية أن تكون الأدوات البحثية صادقة معتمدة ممثلة.	وتتسامح التفسيرية في التضحية بالاعتمادية والتمثيل من أجل تحقيق قدر أكبر من الصدقية.
المصطلحات المفتاحية	الموضوعية، عدم التحيز، الاتجاهات والمقارنات، الارتباط، السببية، التعميم الإحصائي، العلمية.	الذاتية، التفاعل، الاندماج، التوافق، المشاعر، الاستبطان، التعاطف، الوصف العام، الدوافع الفردية، الإنسانية، التعميم التحليلي.
الأساس الفلسفي	الواقعة Realism أي أن العالم يوجد فعلا ويمكن دراسته كما هو.	العقلانية Idealism أي أن العالم يوجد ولكنه يوجد ويدرس بعقول الناس.
الوحدات الحقيقية للواقع الاجتماعي	المجتمع والمنظمات الاجتماعية.	الأفراد.
توجهات الفهم	دراسة نوع وطبيعة العلاقات التي تسمح بوجود الجمع الإنساني.	دراسة المعاني الذاتية التي يضفيها الناس على أفعالهم.
النظرية	بناء منطقي يقيمه الباحثون من أجل تفسير السلوك الإنساني.	سلسلة من المعاني يستخدمها الناس من أجل فهم عالمهم وسلوكياتهم.
المجتمع	تتم إدارته بواسطة قائمة من القيم العامة والقواعد والتدخلات.	تتم إدارته على أساس القيم المعتنقة بأصحاب النفوذ والسلطة.

المصدر: صورة معدلة من تومسون و كوهين (Thompson, 2015; Cohen, et. al,, 2007)

هذا وقد عرض ساندبيرج (Sandberg, 2004, cited in Weber, 2014) نفس الفروق ولكن بنظرة مختلفة كما يتضح من الجدول التالي:

جدول ٣. التمييز بين الوضعية والفهمية حسب تقدير ساندبيرج (Sandberg, 2004)

الفروض النظرية الفوقية حول:	الوضعية	الفهمية
الأنطولوجيا (علم الوجود).	الشخص (الباحث) والحقيقة منفصلان.	الباحث والحقيقة لا يمكن الفصل بينهما (الحياة-العالم).
نظرية المعرفة. Epistemology	الحقيقة الموضوعية تتواجد خارج العقل البشري.	معرفة العالم تتكون إراديا من خلال الخبرة الحياتية للفرد.
موضوع البحث.	يمتلك موضوع البحث خصائص موروثة تتواجد مستقلة عن الباحث.	يُفهم موضوع البحث في ضوء بنيان المعاني لخبرة الباحث الحياتية.
الطريقة.	الإحصاء، تحليل المحتوى.	التأويل وعلم الظواهر. Hermeneutics and phenomenology
نظرية الحقيقة أو الواقع. Theory of truth	المقابلة بين المقولات البحثية والحقيقة.	الحقيقة إنجاز إرادي حيث تتقابل مفاهيم موضوع البحث مع خبرة الباحث بموضوع البحث.
الصدق. Validity	التأكيد حيث تقاس البيانات الحقيقة بحق.	ادعاءات معرفية محصنة بالدفاع والإقناع.
الاعتمادية. Reliability	القابلية للتكرار والثبات،	الوعي الفهمي، حيث يعرف الباحثون عواقب ذاتيتهم ويتعاملون معها.

المصدر: Cited in Weber, Ron (2004) Class notes provided by Jorgen) .(Sandberg; MIS Quarterly, Vol. 28, No. 1, March, p. iv.

ولقد أشار الباحث الحالي أعلاه إلى أن هذا المؤلف الحالي لن يدخل في صراعات المقارنة بين المنهجين الكمي والنوعي إلا أن الاعتراف بقيمة كل منهما وحسن تطبيق كل منهما في المواضع الصحيحة إن هو إلا تكامل منهجي يقتضيه الفهم الموضوعي العميق للظواهر

الاجتماعية. وهذا هو ما أكده فيبر (Weber, 2004) في ختام مقالته بعنوان "الخطاب الأجوف حول الوضعية مقارنة بالفهمية: رؤية شخصية The rhetoric of positivism vs interpretivism: A personal view حيث يقول:

For my part, however, I no longer want to be labeled as a positivist researcher or an interpretive researcher. It is time for us to move beyond labels and to see the underlying unity in what we are trying to achieve via our research methods. The commonalities in my view are compelling and paramount. We ought to celebrate them because they underpin the value of our role as scholars. The differences, on the other hand, are ancillary. We should understand them, but they should not divide us. The challenge for us now is to rethink and develop a new rhetoric so we come to a deeper understanding of the metatheoretical assumptions that underlie our research. (Weber, 2004: xii)

وفيما يلي ترجمة لهذه الفقرة للتأكيد على قبول المواقف المتخذة فيها من قبل المؤلف الحالي:

> ومن ناحيتي، مع ذلك، لم أعد أرغب في أن أُعتبر باحثًا وضعيا أو باحثًا تفسيريًا. لقد حان الوقت لكي نتجاوز المسميات ونرى الوحدة الأساسية التي تجمع بيننا فيما نحاول تحقيقه من خلال أساليب بحوثنا. فالقواسم المشتركة بيننا من وجهة نظري مقنعة وذات أهمية قصوى، ويجب أن نعلي من قيمتها لأنها تدعم قيمة دورنا كعلماء. أما الاختلافات، من ناحية أخرى، فهي فرعية ولكن يجب أن ندركها، ولكن لا يجب أن تفرقنا. التحدي الذي يواجهنا الآن هو إعادة النظر والتأمل لكي نطور خطابا جديدا حتى نصل إلى فهم أعمق للمفترضات النظرية والمنهجية التي تكمن وراء بحوثنا.

التكامل المنهجي والاستخدام المختلط للبحوث الكمية والبحوث النوعية: بالرغم من التمايز النوعي بين المنهجين الكمي والنوعي كما سبق إيضاح ذلك إلا أن الفهم المتكامل للظواهر الاجتماعية كثيرا ما يستلزم استخدام المنهجين في نفس الدراسة. ويؤكد ذلك ما يقوله جرين وكاراسيل Green and Caracelle (1997b: 13) من أن إجراء حوار بين مختلف طرق البحث وأطرها الفكرية يدعم التوصل لنتائج أكثر شمولا وعمقا مما يمكن أن تحققه طريقة واحدة أو إطار فكري واحد. كما أطلق تاشاكوري و تيدلي Tashakkori and Teddlie (2003: 10) لقب "الحركة المنهجية الثالثة" مؤكدا ما أشار إليه جرين و كاراسيل.

مواطن القوة في البحوث المختلطة: كثيرا ما يتطلب تكامل المنهجية البحثية استخدام البحوث الكمية مع البحوث النوعية في زمن واحد أو في تتابع قصير المدى. ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١. تتميز البحوث النوعية بقدرتها الفائقة على بناء النماذج النظرية التي تثري النظرية الاجتماعية، إلا أنه في نفس الوقت يصعب التحقق الإمبيريقي من صدق أو صحة هذه الأبنية النظرية أو الأطر الفهمية، وهنا يأتي دور البحوث الكمية للتحقق من صحة وصدق هذه الأبنية أو تلك الأطر أو النماذج. ذلك لأن البحوث الكمية يمكنها القياس الكمي للمفاهيم أو المتغيرات المكونة للنماذج النظرية وإجراء التحقق الإحصائي من صحة هذه النماذج السببية أو من صحة العلاقات المفترضة بين المتغيرات المكونة للنموذج والتي بنتها البحوث النوعية.

٢. يمثل الاستخدام المزدوج للبحوث الكمية والبحوث النوعية نوعا من تحقيق التثليث Triangulation والذي يؤكد من صدق النتائج المتحصل عليها إذا ما اتفقت نتائج المنهجين الكمي والنوعي. ويتحقق هذا التثليث أيضا إذا ما تطابقت نتائج المدخل الاستقرائي (المتبع في البحوث الكمية بصورة أساسية) مع نتائج المنهج الاستنباطي (المتبع في البحوث النوعية بصورة أساسية).

٣. تحسين وتطوير الطرق البحثية الناتج عن إمكانية تطوير المنهج النوعي في دراسة معينة بمعرفة النتائج المتحصل عليها من المنهج الكمي أو العكس (Green et. al., 1989: 295).

٤. تحقق البحوث المختلطة القدرة على فتح آفاق بحثية جديدة أو صياغة أسئلة بحثية جديدة ليس من السهل التوصل إليها من خلال منهج كمي منفرد أو نوعي منفرد، وهذا لما يؤدى إلى تطور المعرفة النظرية في العلوم الاجتماعية والسلوكية (Green, et. al., 1989: 260).

٥. تساهم البحوث المختلطة في نجاح المساعي نحو تحقيق شمولية الأطر النظرية التي تنطلق منها البحوث الكمية ومن ثم تساهم في تحقيق مبدأ "الكلية Holism"، أي التكامل العضوي بين مكونات النظم وعدم قدرة المكون الواحد على البقاء مستقلا عن المكونات

الأخرى، وأنه لا يمكن فهم المكون إلا من خلال فهم علاقته بالكل، وهذا ما يحقق مقولة أن الكل لا يساوي مجموع الأجزاء.

وعلى العموم يرى المؤلف الحالي أن التعصب من جانب الباحثين لأحد المنهجين الكمي أو النوعي إن هو إلا تعصب بمعنى الكلمة، فالحقيقة الاجتماعية شيئية كانت أم معنوية، خارجية كانت أم داخلية، واقعية كانت أم تصورية لا تصر على طريقة أو أداة معينة لاستكشافها والغور في أعماقها، حتى الإنسان العادي عند تناول غذائه لا يكتفي بالطعم فقط، وإنما يستخدم حاسة الشم، بل ويستخدم الرؤية فعادة ما يقال الإنسان يأكل بعينيه قبل أن يأكل بفمه، كما يستمتع بملمس الطعام، وقد يستمتع أكثر وأكثر إذا كان ينصت إلى موسيقى هادئة أو يجلس في جو شاعري. الاستمتاع بالطعام وحسن هضمه والاستفادة منه هو وليد حواس مادية ومعنوية آنية ومتزامنة تحقق تكاملا وكلية نظامية كالتي نتحدث عنها في العلاقة بين البحوث الكمية والبحوث النوعية. ونتيجة لذلك، بذل المؤيدون المعاصرون لبحوث الأساليب المختلطة جهودًا مكثفة لتحديدها وتوثيقها وتصنيفها (Creswell, 2009; Green, 2008; Johnson, 2006; Tashakkori and Teddle, 1998, 2003, 2009).

ومما يجب الإشارة إليه أن البحوث المختلطة ليست بدعة أو ابتكارا جديدا لما لها من جذور عميقة (Teddlie and Tashakkori, 2009: 8–13). وقامت دراسات كلاسيكية قديمة باستخدام البحث المختلط مثل دراسة *Middletown* التي أجراها ليند و ليند (Lynd and Lynd, 1929)، ودراسة وارنر و لانت للطبقات الاجتماعية في مدينة *Yankee city* (1941)، ودراسة ميد (Mead, 1929) "سن الرشد في ساموا Coming Age in Samoa"، ودراسات أخرى كثيرة حتى أنه في مجال بحوث التقييم فقط حصرت دراسة مرجعية نشرت عام ١٩٨٩ سبعا وخمسين دراسة حتى هذا الوقت استخدمت جميعها منهج البحوث المختلطة (Greene, Caracelli and Graham, 1989). وقد ساعدت كل هذه الأصول أو الجذور القديمة للدراسات المختلطة على استرجاع تطبيق هذه الدراسات وقبولها.

وقد عرض تاشاكوري و تيديل (Tashakkori and Teddle, 1998: 128-135) ثلاث توليفات من تزامن أو تتابع إجراء كل من البحث الكمي والبحث النوعي عند إجراء البحوث المختلطة تتضح في الجدول التالي:

جدول ٤. الفئات الثلاث من طرق التحليل المختلط

توليفات خلط البحوث الكمية والنوعية في الدراسات المختلطة
التحليل المختلط المتوازي أو المتزامن المقابلة الشخصية مع المبحوثين (نوعي) وذلك عند الانتهاء من تجربة معملية (كمي)، وذلك من أجل التعمق المعنوي في سلوكيات المبحوثين. استخدام وتحليل الأسئلة المفتوحة (نوعي) مع الأسئلة المحددة أو المغلقة (كمي) كجزء من استبيان واحد. تحويل البيانات النوعية إلى بيانات كمية من خلال تحليل المحتوى.
التحليل المتتابع (النوعي أولا ثم الكمي) استخدام البيانات النوعية لتقسيم المدرسين مثلا إلى مجموعتين اعتمادا على ملاحظة طريقتهم التدريسية (نوعي) ثم مقارنة استجابات المدرسين لاستبيان معين (كمي).
التحليل المتتابع (الكمي أولا ثم النوعي) استخدام بيانات نوعية جديدة حول المبحوثين الذين أدوا أداءً مبهرا أو هؤلاء الذين أدوا أداءً رديئا للغاية (المتطرفون إيجابا وسلبا) وذلك في تحليل كمي، ثم فهم أو تفسير قيمهم المتطرفة (نوعي).

المصدر: Tashakkori and Teddle (1998: 128-135)

الفصل الثاني

تاريخ منهج التحليل النوعي

حاول الفلاسفة على مر العصور مناقشة منطق العقلنة الإنسانية، وكان جون ستيوارت ميل (John Stuart Mill) في كتابه *A system of Logic* عام ١٨٤٣م هو من أشار إلى طريقتين للبحث غير التجريبي وهما الأسلوب الاتفاقي Method of agreement والأسلوب الاختلافي Method of difference. الأسلوب الاتفاقي ينص على أنه إذا حدثت حالتان أو أكثر من ظاهرة معينة، وتحتوى هاتان الحالتان على ظرف واحد أو صفة واحدة فإنه يكون هذا الظرف أو تلك الصفة إما سبباً أو أثراً أي نتيجة لهذه الظاهرة، أي أنه إذا وجدت الحالة X في كل ظاهرة تحتوى على الحالة Y يمكننا القول بان الحالتين مرتبطتان سببياً. وهناك أيضاً الوضع السلبي لطريقة التوافق وينص على أنه إذا وجدنا الحالة non-X في كل ظاهرة تحتوى على الحالة non-Y يمكننا القول أيضاً أن الحالتين مرتبطتان سببيا. فإذا إفترضنا أن X هي ظاهرة سقوط المطر وY هي حالة الضغط الجوى المنخفض يمكننا توضيح الأسلوب الاتفاقي بصورتيه الإيجابية والسلبية كما يلي:

الأسلوب الاتفاقي ـ الصورة الإيجابية

العوامل في الموقف	تؤدى إلى	الظاهرة
A B C D Y	⟷	*X*
Y E F G H	⟷	*X*
I Y J K L	⟷	*X*
M N Y O P	⟷	*X*

الأسلوب الاتفاقي ـ الصورة السلبية

العوامل فى الموقف	تؤدى إلى	الظاهرة
A B C D Y non -Y	⟷	*non-X*
Non- Y E F G H	⟷	*non-X*
I non- Y J K L	⟷	*non-X*
M N non - Y O P	⟷	*non-X*

وأكثر التصميات البرهانية اتباعا هو خليط من الأسلوبين السابقين، حيث أن ذلك هو الأساس الذي يبنى عليه تصميم التجارب الكلاسيكي. وهذا الخليط هو ما يسمى بالأسلوب الاختلافي Method of difference، وينص هذا الأسلوب على أنه لو كانت هناك ظاهرتان في إحداهما تحدث الحالة X وفى الأخرى لا تحدث، وفى نفس الوقت تحدث الحالة Y حيثما تواجدت الحالة X ، وكذلك لا تحدث الحالة Y حيثما لا تحدث الحالة X لكان هناك علاقة سببية بين كل من X و Y. وهذا هو الوضع الذي نقصده عندما نتحدث عن الموقف التجريبي الذي يحتوى على كل من المجموعة التجريبية Experimental group والمجموعة المقارنية Control group اللتين تتشابهان في صفاتهما إلى أقصى درجة ممكنة، وفى نفس الوقت يسلط العامل المستقل (متغير الاختبار) على المجموعة التجريبية بينما لا يسلط على المجموعة المقارنية فنجد أن المجموعة التجريبية قد تأثرت في صفة ما وهذه الصفة تسمى بالمتغير التابع بينما لم تتأثر المجموعة المقارنية بالنسبة لهذه الصفة ويكون الفرق بين التأثرين في كل من المجموعتين يرجع إلى تأثير العامل المستقل.

وبتبسيط أكثر للأسلوب الاختلافي إذا افترضنا أن:

A B C D	تحدث مع	W X Y Z
B C D	تحدث مع	X Y Z

فإن A تكون هي السبب أو النتيجة، أو جزء من السبب المؤدي إلى X.

وهناك طريقة ثالثة أشار إليها (Mill) وهي الطريقة المختلطة للأسلوبين الاتفاقي والاختلافي وفيها:

X Y Z	تحدث مع	A B C
X Y W	تحدث مع	A D E
Y Z	تحدث مع	B C

فإن هذا يعني أن A هي السبب، أو جزء من السبب المؤدي إلى X.

ولا زالت هناك طريقة رابعة وهي طريقة البقايا Method of residues، وهي تعنى أنه:

X Y Z	تحدث مع	A B C

وإذا كان من المعروف مسبقا أن B تسبب Y،
وأيضا من المعروف مسبقا أن C تسبب Z،
فإنه حينئذ تكون A هي السبب أو النتيجة لـ Z

وهناك أخيرا الطريقة الخامسة وهي طريقة التباينات المترافقة Method of concomitant variations والتي تعنى أنه عندما تختلف ظاهرة معينة بطريقة ما وفي نفس الوقت تختلف ظاهرة أخرى مع الأولى بطريقة معينة تكون الظاهرتان مرتبطتين سببيا، فمثلا إذا وجد الفارق العمري والتعليم في حالات الطلاق في عشرين قرية، ووجد أنه كلما يزيد الفارق العمري بين المتزوجين في هذه القرى بنسبة معينة يصاحبها زيادة مرافقة في معدل الطلاق بتلك القرى فيعنى ذلك وجود علاقة سببية بين الفارق العمري ومعدل الطلاق.

وعندما قام الباحثون بتطبيق منطق (Mill) ظهرت توجهات التحليل النوعي لمواجة هذا التطبيق. وقد صار الجدل المنهجي العلمي في ألمانيا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مركزا حول الوضع العلمي والمنهج البحثي لعلمي الاقتصاد والاجتماع مركزا حول التضاد بين المعرفة الوضعية التعميمية Nomothetic والمعرفة الإيديوجرافية Ideographic المختصة بتفسير حالات أوأحداث فريدة. الأولى ترى وجود قوانين كونية يمثل اكتشافها الهدف من البحث العلمي، والثانية ترى عدم وجود هذه القوانين نظرا لخصوصية الحالات والأحداث وانغراسها في سياقات مختلفة.

وقد مال الباحثون وقتها لوضع علوم الاقتصاد والاجتماع والسياسة في الفئة الأولى، ووضع علوم التاريخ والأنثروبولوجيا في الفئة الثانية. ومن ثم فلم يكن هناك مساحة لانتقاد هذين النمطين البحثيين في ذلك الوقت. وبمرور الوقت وتأثير أعلام مثل زنانيتسكي و سوروكن و فيبر (Znaniecki, Sorokin and Weber) ظهر مفهوم العلم الثقافي Cultural science الذي يعتمد على فهم المعاني الاجتماعية والأفعال الاجتماعية. تمثل هذا العلم في ثلاثة أنواع من المنطق الخاص بالبحث النوعي وهي: الاستراتيجية البحثية التفسيرية Interpretive strategy، تحليل النماذج المثالية Ideal-type analysis، والتحليل الشكلي Formal analysis الذي يعتمد على البحث عن مكونات الظاهرة ومحاولة اكتشاف ديناميكية العلاقة بينها وكيف تؤدي هذه التوليفة من المكونات إلى بلورة النمط الكلي للظاهرة. ونوضح هذه الأنواع المنطقية في السطورالتالية.

أولا: في أوائل القرن العشرين، اقترح فيلهيم ديلثي (Wilhelm Dilthey) تفسيراً تاريخياً يسعى إلى فهم التاريخ على أنه جزء لا يتجزأ من معاني حياة الأشخاص الذين يشاركون فيه. وكان لهذا المدخل الأساسي قرائن له في الدراسات الإثنوجرافية وعلم الاجتماع. فقد تم تفصيل المنطق التحليلي وتركزه في علم الاجتماع على يد ألفريد ليندسميث (Alfred Lindesmith) الذي ابتكر طريقة "الاستقراء التحليلي Analytic induction" وذلك في اربعينات القرن الماضي. وفي هذه الطريقة يتم تتابع تنقية الفروض البحثية على مدى حلقات من البحث الميداني المتتابع، وهي طريقة تم إعادة تفسيرها وتطويرها على يد جليسار و ستراوس (Barney Glaser and Anselm Strauss) وأطلقا عليها "النظرية المجذرة Grounded Theory". وفي الخمسينات أفاض بيكار (Howard S. Becker) في الاستدلال والبرهان في تحليل الكميات الهائلة من المدونات الحقلية والوثائق الأخرى. وفي الستينات أصبحت طريقة الملاحظة بالمشاركة وطريقة المقابلة الشخصية المتعمقة من المداخل المعتبرة في البحث العلمي بمبرراتها المعرفية وتحدياتها وإجراءاتها البحثية ومؤلفاتها. وفي النهاية أكد اسحق ريد (Isaac A. Reed, 2011) على أن المنطق التفسيري Interpretivist logic الممثل لعصب البحوث النوعية قد أصبح أساسا مثمرا يمكن من خلاله البحث في الهياكل الثقافية العميقة لكل من مدخل الوضعية Positivism ومدخل الواقعية Realist approach في البحث العلمي.

ثانيا: بالتوازي مع ديلثي (Dilthey) طور فيبر (Max Weber) ما أطلق عليه مدخل الـ "Verestehende" أي الفهم أو الاستبطان الذي اعتبره مدخلا مقارنيا وتفسيريا. وفي الواقع لم ينكر فيبر (Weber) إمكانية اكتشاف قوانين عامة من النوع الذي أشار إليه ميل (Mill)، ولكنه أكد على أن تخصيص المعرفة وإفرادها هو القيمة الحقيقية للتحليل الاجتماعي والتاريخي. ومن ثم فقد جمع بين التفسير Explanation والفهم Understanding من خلال استعمال النماذج الأمثلية "Ideal types" التي تعتبر مناسبة لفهم المعاني، ومن ثم فيمكن اعتبارها مناظرة للطبيعة النمطية للحالات الإمبيريقية ولكنها في نفس الوقت تسمح بإجراء المقارنات متعدية بذلك النظرة الفردية أو الخصوصية. وهكذا أصبح مدخل فيبر (Weber) للنهج العلمي مركزيا لميلاد علم الاجتماع التاريخي الذي ازدهر في ستينات القرن الماضي.

ثالثا: أصبح جهد ميل (Mill) المنهجي بمثابة المحك للتطويرات اللاحقة للمنطق النوعي. وكان أهم هذه التطويرات هو تفصيل تشارلز ريجين (Charles Ragin) للتحليل النوعي المقارن الذي بنى على قواعد ميل (Mill) وذلك باستخدام نظرية المجموعات (Set theory) والجبر البوليني (Boolean algebra) لتحديد أنماط تكوينية متعددة ضمن مجموعة من الحالات الموصوفة بشكل منهجي.

وعلى مسار مختلف آخر في نهاية القرن العشرين حدث توجه أو منهج لدراسة السرد ودراسة الروايات والمستوحاة جزئياً من كل من المنهجية الإثنولوجية (Ethnomethodology) ومدخل ما وراء البنائية (Poststructuralism)، حيث وضع علماء مثل لاري جريفين (Larry Griffin) طرقًا نظرية يمكن من خلالها أن تخضع الروايات السردية للتحليل الرسمي الذي يمكن أن يؤدي إلى أوصاف للعمليات الاجتماعية الفريدة. وقد بدأ الباحثون في استخدام البرامج الإلكترونية Software programs لتنظيم وتحليل البيانات النوعية مثل Nvivo, Atlas.ti and Ethno. وقد مكن كل من هذه البرامج بالإضافة أساليب التثليث Triangulation الباحثين من مقارنة النتائج المتحصل عليها من طرق بحثية متباينة مع استخدام طرق مختلطة ومتعددة مما أدى إلى المزيد من المحو التدريجي للحدود الفاصلة بين التحليلات الكمية والتحليلات النوعية.

ولكن مع هذا التطور لم يخلو التحليل النوعي من بعض الانتقادات، فعلى سبيل المثال، تساءل ليبرسون (Stanly Lieberson in Ragin and Becker, 1992) إذا ما كان إضفاء الطابع الرسمي وحده يمكن أن يحل الصعوبات المنطقية للدراسات المقارنة بأعداد صغيرة من الحالات، إلا أنه بالنسبة للباحثين النوعيين، قد لا يكون هذا النقد مدمرًا كما يبدو في البداية، لأنه يمكن استخدام المقارنات المتداخلة والاستخدامات الثرية للبيانات للحماية من الأخطاء المنطقية الضيقة التي وثقها ليبرسون (Lieberson) بوضوح. هذا وقد تعرض أسلوب تحليل المحتوى وترميز الظواهر والمتغيرات لنقد يتعلق بالصدق والثبات (Berezin, 2014).

وعلى العموم فقد تعرض الباحثون الكميون في بداية نشاطهم إلى نفس الانتقادات التي يتعرض لها الباحثون النوعيون اليوم، وذلك من خلال التشكك والانتقاد لمنطق ميل (Mill) المقارني، والتشكك في العلاقة بين القيم والبحث العلمي وإنتاج المعرفة، وكل ما يتعلق بمشكلات القياس وكيفية تفسير المفاهيم النظرية للظواهر الاجتماعية. وقد قابل هؤلاء الباحثون تلك الانتقادات والتشككات بتركيزهم على التقنيات الإحصائية. وهذا هو ما يفعله الباحثون النوعيون اليوم من خلال اهتمامهم في العقود الأخيرة نحو تحسين منهجيتهم بشكل عام.

الفرق بين الوصف Description، والتفسير Explanation، والفهم أو الاستبطان Interpretation، والتأويل Hermeneutics: قبل الانتقال إلى المبحث التالي يود المؤلف أن يميز بين مصطلحات أربعة ليس ادعاءً منه بقطعية صحة مقولاته وإنما توضيحا لما يقصده بتلك المصطلحات حتى لا تختلط على القارئ إذا تعارضت مع مفاهيمه الخاصة. الوصف هو الاستراتيجية البحثية التي لا تتعدى مجرد وصف معالم الظاهرة ومكوناتها وأبعادها وخصائصها، وتوصف فيها المتغيرات بمقاييس قد تكون اسمية أو تدرجية أو فترية أو نسبية، ويمكن أن تستخدم فيها الإحصاءات الوصفية كمقاييس التوسط والتباين والتوزيع التكراراي والأشكال التوضيحية وما شابه ذلك. أما الاستراتيجية البحثية التحليلية فهي تشتمل على الأنواع الثلاثة الأخرى من المصطلحات، التفسير، والفهم أو الاستبطان، والتأويل. التفسير يتعدى مجرد الوصف كما في الدراسات

الوصفية حيث يصل إلى اكتشاف طبيعة العلاقة بين المتغيرات وتناول قضية السببية، ولكن يتم ذلك موضوعيا دون تدخل الباحث أو إقحام آرائه أو نظراته الخاصة. وقد يستخدم مصطلح التفسير أيضا، كما هو الحال في تناول كندال و لازارسفيلد (Patricia Kendall and Paul Lazarsfeld) لتفصيل العلاقات بين المتغيرات حيث يستخدمان مصطلح التفسير ليعنى اكتشاف العلاقة الزائفة بين المتغيرات، حيث ترجع العلاقة الملحوظة بين X و Y إلى العلاقة الكلية بين Z و Y حيث يكون Z متغيرا سابقا زمنيا لـ X، وبذلك تكون العلاقة الظاهرة إحصائيا بين X و Y علاقة زائفة غير أصيلة وغير سببية. أما الفهم أو الاستبطان فهو أعم من التفسير، بل قد يشمله، فإنه يعنى تفسير العلاقة بين المتغيرات ولكن من خلال تعمق الباحث نفسه في أغوار الظاهرة المدروسة والاشتراك فيها وممارستها أو استخدام المنطق النظري والشخصي للباحث نفسه. ويستخدم الباحثان كندال و لازارسفيلد (Kendall and Lazarsfeld) مصطلح الفهم لإدراك ميكانكية أو كيفية العلاقة الأصيلة أو السببية بين متغيرين X و Y وذلك من خلال توسط متغير Z زمنيا بين المتغيرين X و Y. فعلى سبيل المثال: يؤثر التعليم (X) على مستوى المعيشة (Y) بصورة إيجابية مضطردة، ولكن قد يكون سبب هذه العلاقة هو أن التعليم يرفع من مستوى الدخل (Z) الذي يؤثر هو بدوره على مستوى المعيشة. وهنا قد يكون التأثير كليا، أي ليس للتعليم أي تأثير على مستوى المعيشة، أو قد يكون التأثير جزئيا حيث يتمثل تأثير التعليم على مستوى المعيشة في تأثير مباشر وتأثير غير مباشر عبر وساطة متغير الدخل (Z). ويعتبر الباحثان سابقا الذكر أن العلاقة هنا بين التعليم ومستوى المعيشة تكون علاقة أصيلة سببية، وأنه قد تم فهمها. هذا وقد يكون هذا الفهم أو الاستبطان دون قياس موضوعي أو إحصائي أي من خلال دور الباحث وذلك في الدراسات النوعية التي سيتم تفصيلها أدناه. أما التأويل Hermeneutics فهو يشمل التفسير والفهم سابقي الذكر بالإضافة إلى توقع النتائج التي تترتب على العلاقات بين المتغيرات أو التعرف على منطويات هذه العلاقات وتحديد معانيها التي تمثل جوهر الحقائق الاجتماعية، وسيتم تناول هذا المصطلح بالتفصيل لاحقا.

الفصل الثالث

البحوث النوعية ونموذج البحث الفهمي أو الاستبطاني

تتخذ البحوث النوعية نموذج البحث الفهمي Interpretive research كمنهج لرؤية الحقائق الاجتماعية والتعامل معها، ومن ثم فيجب علينا تناول هذا المنهج ومزياياه وتحدياته بدرجة من التفصيل النسبي.

مزايا وتحديات البحوث الفهمية: تتميز البحوث الفهمية بعدة مزايا فريدة:

١. مناسبة لاستكشاف الأسباب الخفية وراء العمليات الاجتماعية المعقدة والمتشابكة ومتعددة الجوانب مثل العلاقات البينية بين المنشآت حيث قد تكون الدلائل أو البراهين الكمية متحيزة، أو غير دقيقة، أو صعبة الوصول إليها.

٢. عادة ما تكون معينة أو مساعدة على بناء النظرية في المجالات التي لا تفتقر إلى نظرية موجودة.

٣. مناسبة لدراسة الأحداث أو العمليات المرتبطة بسياق محدد، وفريدة، أو ذات خصوصيات متميزة.

٤. تستطيع البحوث الفهمية أيضا التوصل إلى الأسئلة البحثية المهمة ذات الصلة بموضوع الدراسة بالإضافة إلى القضايا الممكن تتبعها في بحوث المتابعة.

وتواجه البحوث الفهمية أيضا العديد من التحديات:

١. تتسم هذه البحوث بكونها تستغرق وقتا طويلا مع تطلبها لموارد كثيفة أكثر مما هو الحال في البحوث الوضعية وذلك بالنسبة لجمع البيانات والجهد التحليلي. وفي هذا المقام نجد أن قلة البيانات قد تؤدي إلى افتراضات كاذبة أو غير مكتملة، بينما نجد أيضا أن كثرة البيانات قد تعيق فعالية وصحة معاملة البيانات بواسطة الباحث.

٢. تتطلب البحوث الفهمية باحثين مدربين جيدا قادرين على رؤية وفهم الظواهر المعقدة وذلك من وجهة نظر المشاركين المبحوثين وقادرين أيضا على التوفيق بين وجهات النظر

المتنوعة لهؤلاء المشاركين، دون ضخ تحيزاتهم الشخصية أو تصوراتهم المسبقة في استنتاجاتهم.

٣. قد لا يتساوى المبحوثون في درجات صدقهم، وعدم تحيزهم، ومعرفتهم حول الظاهرة المدروسة، أو قد يكون لديهم أجندات سياسية خفية مما قد يؤدي الى انطباعات خاطئة أو مضللة. وقد تعوق الثقة غير الكافية بين المبحوثين والباحث التمثيل الذاتي الكامل والصادق من قبل المبحوثين، ويستغرق بناء الثقة هذا وقتًا طويلا. إن مهمة الباحث الفهمي هي "رؤية الدخان" (أجندات خفية أو متحيزة) وفهم الطبيعة الحقيقية للمشكلة. ومن أجل ذلك يقدم ين (Yin, 2014: 69) قائمة من الخصائص التي يجب أن يتسم بها الباحث في الدراسات النوعية ودراسات الحالة:

أ. أن يكون قادرا على توجيه أسئلة صحيحة صادقة وأن يكون قادرا على فهم الإجابات وتأويلها.

ب. أن يحسن الإنصات، وألا يقع في فخ تحيزاته أو مفاهيمة المسبقة.

ج. أن يكون مرنا مستعدا للتأقلم حتى يجعل من المواقف البازغة فرصا لا تهديدات.

د. أن يكون متمكنا من القضايا البحثية التي يتم تناولها حتى ولو كانت الدراسة استكشافية في طبيعتها. إن هذا التمكن يحافظ على الأحداث والمعلومات المستهدفة في حدود الإدارة والتحكم فيها.

هـ. يجب أن يكون الباحث غير متحيز بسبب مفاهيمه المسبقة بما في ذلك المستمدة من النظرية. ومن ثم يجب أن يكون الباحث حساسا قابلا مستجيبا للدلائل المنافسة أو المضادة.

٤. نظرًا لطبيعة الاستدلالات شديدة السياقية والمستخلصة من البحوث الفهمية، فإن هذه الاستنتاجات لا تفسح المجال جيدًا للتكرار أو التعميم.

٥. أخيرًا ، قد تفشل الأبحاث التفسيرية أحيانًا في الإجابة على أسئلة البحث المهمة أو التنبؤ بالسلوكيات المستقبلية.

خصائص البحوث الفهمية: يجب أن تلتزم البحوث الفهمية بأساسيات عامة نذكرها فيما يلي اعتمادا بصورة أساسية على باتاشيرجي (Bhattacherjee, 2012).

١. **البحث الطبيعي** Naturalistic inquiry: يجب أن تدرس الظواهر الاجتماعية في محيطها الطبيعي، لأن البحوث الفهمية تفترض أن الظواهر الاجتماعية تقع داخل سياقها الاجتماعي ولا يمكن عزلها عنه. كما يجب أن ينبثق فهم هذه الظواهر أو يجذر ضمن سياقها الاجتماعي والتاريخي. هذا يعني أنه يجب ملاحظة المتغيرات السياقية والنظر فيها عند البحث عن فهومات للظاهرة المراد دراستها وذلك بالرغم من أن حساسية السياق وخصوصيته يمكن أن تحد من تعميم الاستدلالات.

٢. **الباحث كأداة** Researcher as instrument: غالبًا ما يتم اندماج الباحثين في السياق الاجتماعي الذي يدرسون فيه، ويعتبرون جزءًا من أداة جمع البيانات من حيث أنهم يجب أن يستخدموا مهاراتهم في الملاحظة، وثقة المبحوثين فيهم، وقدرتهم على بناء المعلومات الصحيحة. وبالإضافة إلي ذلك فإن رؤيتهم الشخصية ومعرفتهم وتجاربهم مع السياق الاجتماعي أمر حاسم في تفسير الظاهرة المدروسة. كما ويجب أن يكون الباحثون مدركين تمامًا للتحيزات والأفكار الشخصية المسبقة لديهم، وعدم السماح لها بالتأثير على دراستهم.

٣. **التحليل الفهمي أو الاستبطاني** Interpretive analysis: يجب على الباحث أن يقوم بفهم ملاحظاته من خلال عيون المبحوثين المنغرسة (أو المتجذرة) في السياق الاجتماعي. والناس يختلفون من حيث قدرتهم على التقمص الوجداني Empathy أو اتخاذ دور الآخرين، فمن ثم فإن الباحثين الذين لا يتوافر لديهم قدر كاف من هذه المقدرة يستحسن أن يدركوا ذلك وأن يحاولوا بقدر الإمكان التمرس والتدريب على اكتساب هذه القدرة. هذا ويحدث الفهم (أو الاستبطان) هذا على مستويين: الأول، يتضمن رؤية أو ممارسة الظاهرة المدروسة وذلك من خلال الرؤية الذاتية للمبحوثين، والثاني، هو فهم معاني خبرات المبحوثين وذلك من أجل التمكن من بناء وصف ثري من سرد حكاية الظاهرة المدروسة والذي يمكن من التعرف على دوافع السلوك الذي يتخذه المبحوثون.

٤. **استخدام اللغة المعبرة** Use of expressive language: يعد كل من توثيق اللغة الشفهية وغير الشفوية للمبحوثين، وتحليل هذه اللغة من المكونات الأساسية للتحليل الفهمي أو الاستبطاني،حيث يجب أن تؤكد الدراسة على أن القصة يتم عرضها من خلال عيون شخص ما، وليس آلة، ويجب أن تصور عواطف ذلك الشخص وتجاربه حتى يتمكن القراء من فهم ذلك الشخص وارتباطهم به. ويعد استخدام الصور، والاستعارات أو التشبيه، والسخرية، وغيرها من أشكال الكلام شائعًا جدًا في التحليل الفهمي.

٥. **الطبيعة الزمنية** Temporal nature: لا تهتم البحوث الفهمية في الغالب بالبحث عن إجابات محددة، ولكنها تسعى إلى فهم العملية الاجتماعية الديناميكية كما تتطور بمرور الوقت. وبالتالي، فإن مثل هذه البحوث تتطلب مشاركة انغماسية من الباحث في موقع الدراسة لفترة طويلة من الزمن وذلك من أجل إدراك التطور الكامل للظاهرة المدروسة.

٦. **الدائرة التأويلية** Hermeneutic circle: التفسير الفهمي أو الاستبطاني هو عملية تكرارية من الانتقال ذهابا وإيابا بين أجزاء من الملاحظات (النص) ومجمل الظاهرة الاجتماعية (السياق) للتوفيق بين خلافهم الظاهري ومن أجل بناء نظرية تتفق مع وجهات النظر الذاتية المتنوعة وتجارب المبحوثين. ويجب أن تستمر مثل هذه العملية التكرارية بين فهم أي معنى الظاهرة وملاحظات الباحث حتى يتم الوصول إلى "التشبع النظري"، والذي عنده لا ينتج أي تكرار إضافي مزيدا من التبصر في الظاهرة المدروسة.

أساليب جمع بيانات البحوث الفهمية (أو الاستبطانية): يتم جمع البيانات في البحوث الفهمية باستخدام مجموعة متنوعة من الأساليب. الأسلوب الأكثر استخدامًا هو المقابلات الشخصية أو الهاتفية أو الجماعات البؤرية. الأسلوب الثاني هو الملاحظة، والتي قد تكون ملاحظة مباشرة خارجية حيادية غير مشاركة، أو قد تكون ملاحظة بالمشاركة حيث يكون الباحث مشاركا في الظاهرة المدروسة. أما الأسلوب الثالث فهو الوثائق، حيث يمكن استخدام المستندات الخارجية والداخلية، مثل المذكرات، والرسائل الإلكترونية، والتقارير السنوية، والبيانات المالية، والمقالات الصحفية، والمواقع الإلكترونية، لإلقاء مزيد من التبصر في الظاهرة المدروسة أو للوصول إلى أشكال أخرى من الأدلة.

تصاميم البحوث الفهمية: يمثل تصميم البحث إطارا من الطرق والأساليب المختارة لتأليف مكونات بحثية مختلفة بطريقة منطقية يمكن من خلاله تفعيل دراسة الظاهرة المراد دراستها. يقوم التصميم البحثي بعرض كيفية إجراء البحث باستعمال منهجية معينة. فكما نعلم، تضع كل دراسة مجموعة من الأسئلة البحثية المراد تناولها بواسطة التصميم البحثي. وهناك ثلاثة أقسام رئيسية لأي تصميم بحثي: جمع البيانات، القياس، والتحليل. وتحدد المشكلة البحثية نوع التصميم البحثي وليس العكس.

هذا ويتم تحديد المتغيرات البحثية، وأدوات جمع المعلومات، وكيفية استخدام الأدوات لجمع وتحليل البيانات، بالإضافة إلى عوامل أخرى في التصميم البحثي على أساس الأساليب البحثية المختارة. وعادة ما يتضمن التصميم البحثي عددا من الأهداف منها ما يلي:

١. الأساليب البحثية المزمع استخدامها لجمع المعلومات والبيانات.
٢. طريقة تحليل المعلومات والبيانات المجموعة.
٣. نوع الطرق البحثية المستخدمة.
٤. الإنتقادات المتوقعة للبحث.
٥. محيط وسياق الدراسة.
٦. الجدول الزمني للدراسة.
٧. طرق القياس في الدراسة.

ويقدم ين (Yin, 2011) تعريفا موجزا للتصاميم البحثية حيث يقول: " تصاميم البحث هي مخططات منطقية. تُعد التصميمات بمثابة خطط "منطقية"، وليست خططا "لوجستية" غالباً ما تتم الإشارة إليها من قبل الآخرين (لا تزال هناك حاجة إلى خطط لوجستية لكنها تغطي إدارة البحث، مثل جدولة وتنسيق العمل)" (ibid.: 75-76).

ويرى ين (Yin, 2011) أن لكل دراسة بحثية تصميم، سواء كان هذا التصميم ضمنيا أم محددا. فالباحثون بالضرورة يسعون لبناء تصميم جيد لدراساتهم حتى يدعمون من صدقيتها، ويتأكدون من حسن جمع البيانات، وإن هذه البيانات تتعامل فعلا مع موضوع الدراسة. ومن ثم فالبحوث النوعية لها تصميم أيضا، إلا أنه ليس من النوع الثابت، كما أنها لا تصر على استخدام أقسام محددة من التصميم البحثي. وبناءً على ذلك يقدم ين Yin

ثمانية إجراءات مختلفة يمكن اعتبارها أو مراعاتها عند تصميم دراسة نوعية. فالبحوث النوعية تتميز عن البحوث الكمية في أنها مرنة لا تقبل الكثير من التصميم أي التصميم الصارم عند البدء فيها. ولذلك يقدم ينYin هذه الإجراءات على انها "اختيارات" أمام الباحث، ومن ثم فليس من العجيب أو يكون أول إجراء (أو اختيار) هو قرار الباحث نفسه إن كان سيضع تصميما بحثيا في البداية أم لا. وفيما يلي ذكر موجز لهذه الاختيارات:

أولا: البدء بتصميم بحثي في بداية الدراسة أم لا: لم يتوصل الباحثون النوعيون إلى اتفاق حول ذلك. فأحيانا يجب الباحث أن يحدد اتجاها معينا للدراسة من البداية، وأحيانا أخرى يترك ذلك مفتوحا يحدد الاتجاه فيه بعد البدء في جمع البيانات. ولذلك يسمى الاتجاه الأول "بديل الأسئلة البحثية أولا"، ويسمى الاتجاه الثاني "بديل العمل الحقلي أولا". ولنتذكر دائما سواءً اخترنا البديل الأول أم الثاني أن عملية وضع التصميم في حد ذاتها هي عملية متكررة بمعنى أنه يمكن وضع أجزاء من التصميم في مكانها مع استمرار الدراسة، كما يمكن إعادة النظر في ميزات التصميم هذه أكثر من مرة أثناء متابعة الدراسة. وفي هذا السياق يقول جوزيف ماكسويل (Maxwell, 1996: 1-8) إن عملية وضع تصميم بحثي هي عملية تفاعلية حيث يتفاعل بصورة مستمرة كل من هدف الدراسة وأسئلتها البحثية وسياقها المفهومي وطرقها وتوخي الصدقية مع بعضها البعض.

ثانيا: اتخاذ خطوات لدعم صدقية الدراسة أم لا: سوف يتم تناول الصدقية فيما بعد، أما الآن فسنركز على ثلاث نقاط بشيء من التفصيل:

١. **التفسيرات المتنافسة** Competing explanations: التفسيرات المتنافسة ليست مجرد تفسيرات بديلة. المنافسون الحقيقيون يتنافسون مباشرة مع بعضهم البعض ولا يمكنهم التعايش في مجال البحث. فلنفكر في نتائجنا وتفسيرها كمنتجات يمكن أن يواجهها منافس واحد أو أكثر. فإذا تبين أن أحد المنافسين أكثر منطقية من التفسير الأصلي، فسيتعين علينا رفض التفسير الأصلي، وليس مجرد ذكر ذلك في حاشية. بفعل ذلك نحن ندعم صدق الدراسة وخاصة إذا عرضنا مبررات قبول أو رفض كل من التفسيرات المنافسة (Yin, 2000; Campbell, 1975). ويساعد اعتناق الباحث للاتجاه الشكي Skeptic attitude دائما في التطرق إلى مزيد من دعم صدقية دراسته من خلال جمع المزيد من

الاستدلالات التي تؤيد نتائج بحثه والمختلفة عن النتائج المتنافسة أو البديلة، وربما قد يتطرق إلى جوانب مهمة أثناء ذلك لم يكن مخططا أصلا لتناولها. وإذا وجد الباحث أثناء ذلك من الأدلة ما يدعم النتائج البحثية المنافسة فعليه أن يخضع لهذه الأخيرة، وهذا مما يزيد من صدق دراسته هو والثقة في نتائجها.

٢. **مطابقة الأنماط** Pattern matching: تستخدم مطابقة الأنماط لاختبار النظرية، وهي وسيلة لم تنل ما تستحق من تطوير واهتمام في بحوث دراسة الحالة حسب اعتقاد ين (Yin, 1994) وذلك من أجل ربط نتائج البيانات بالفروض البحثية وبمعايير فهم وتفسير تلك النتائج. وتعتبر عملية اختبار النظرية باستخدام "مطابقة الأنماط"من الوسائل المتبعة لربط نتائج البيانات بالفروض البحثية (Campbell, 1975). وهنا يقوم الباحث بعرض النظرية المراد اختبارها قبل بداية عملية جمع البيانات، هذا بالإضافة إلى عرض نظرية منافسة واحدة على الأقل قبل بداية عملية اختبار النظرية. وتعرض النظرية كنمط من النتائج المستقلة المتوقعة. وكذلك تعرض النظرية المنافسة أو االنظريات المنافسة، في حالة تعددها، محددة أيضا لنمط النتائج المنافسة. وتقارن البيانات المجمعة للحالة بتوقعات النظرية المختبرة، من ناحية، وبتوقعات النظرية المنافسة، من ناحية أخرى. وهنا يقر الباحث بدعم النظرية المختبرة إذا كانت بيانات الحالة تناظر نمط توقعات النظرية المختبرة بدرجة أعلى مما تناظر به نمط توقعات النظرية المنافسة. وإذا لم تنجح النتائج البحثية في دعم كامل نمط توقعات النظرية المختبرة، فيلزم حينئذ تعديل الفروض الأولية للدراسة. ونادرا ما يتم دعم النظرية المختبرة بنسبة ١٠٠%، كما يندر كذلك رفض النظرية المنافسة كاملا وبنسبة ١٠٠%. ويقر ين (Yin, 2009) بأنه لا يوجد حاليا وسيلة دقيقة لتحديد المعايير الخاصة بتفسير تلك النتائج المختلطة. إلا أن كامبل (Campbell, 1975) قدم لنا حلا لتلك المعضلة وذلك من خلال قيام الباحث بعمل سجل رقمي للتوقعات الصحيحة وتلك غير الصحيحة للنظرية المختبرة. وقدم لنا باحثان آخران وسيلة أخرى لاختبار نسبة عدد أوجه دعم النظرية المختبرة إلى عدد أوجه رفضها مع تلك النسبة الخاصة بالنظرية المنافسة إحصائيا باستخدام اختبار العلامة البسيط Sign test (Woodside and Wilson, 1995). ومن الابتكارات الأخرى قدم ولسون و ولسون (Wilson andWilson,

1988) أسلوبا آخر استخدما فيه محكمين لاختبار مدى توافقهم حول بيانات الحالة باستخدام اختبار مربع كاي.

وبذلك يمكن تلخيص عملية مطابقة الأنماط لاختبار النظرية في سلسلة الخطوات التالية:

أ. تعرض الفروض البحثية الأولية قبل بداية جمع البيانات.

ب. تعرض أيضا النظرية المنافسة Competing or counter-theory.

ج. تجرى مقارنة الحالات ببعضها بالنسبة لمطابقة أو موافقة استنتاجات البيانات مع النظرية المختبرة وكذلك مع النظرية المنافسة بواسطة محكمين مستقلين.

د. يسجل عدد مرات الموافقة وعدد مرات المخالفة لكل نظرية (Wilson and Vlosky, 1988; Woodside and Wilson, 1995).

٣. **التثليث** Triangulation: يتمثل التثليث في البحث العلمي في البحث عن ثلاثة طرق على الأقل للتأكد والتحقق من حادثة معينة، أو وصف معين، أو حقيقة تقررها الدراسة. ويحقق هذا صدقية الدراسة. ويمكن أن يتم التثليث على مدار الدراسة بالرغم من أن التثليث كان مقررا أن يتم أساسا في مرحلة جمع البيانات. ولا يقتصر التثليث في مرحلة جمع البيانات على البحث عن ثلاثة مصادر للبيانات فقط، وإنما يمكن البحث عن ثلاثة أنواع من المصادر. وتقل أهمية التثليث إذا كانت مصادرنا مسجلة أو مصورة، فهنا تزداد المصداقية أكثر من إقرار الحادثة أو الشيء شفويا من مصادر متعددة.

ثالثا: توضيح تعقيد وحدات جمع البيانات أم لا: تقوم التصميمات البحثية أيضا بتحديد بناء الدراسة. وتعتبر وحدات جمع البيانات مكونا رئيسيا من هذا البناء والذي تتمحور حوله كل دراسة إمبيريقية. ويتمثل الاختيار الثالث الحالي فيما إذا كنا نود الالتزام بهذا الأمر أم لا. فلكل دراسة وحدات جمع البيانات الخاصة بها. فعلى سبيل المثال، يكون المستجوَب Interviewee هو وحدة الدراسة في مكون المقابلة الشخصية بالدراسة. ومن جهة أخرى، إذا كانت الدراسة عبارة عن سلسلة من الجماعات البؤرية (أو جماعات المناقشة) فتكون كل جماعة بؤرية وحدة من وحدات جمع البيانات.

الترتيبات المتداخلة Nested arrangements: عادة ما تتضمن معظم الدراسات النوعية أكثر من مستوى لوحدة جمع البيانات. ومن المحتمل أن تقع هذه المستويات المتعددة ضمن ترتيب متداخل: مستوى أوسع (على سبيل المثال، سياق حقلي) يتضمن أو يشتمل على مستوى أضيق (على سبيل المثال، مستجوب أومبحوث في السياق). ويمكن أن يكون لكل مستوى أيضًا أرقام مختلفة من الوحدات. وغالبا ما نرى أن معظم الدراسات النوعية تتضمن وحدة واحدة على المستوى الأعلى (مثل سياق اجتماعي واحد) وتتضمن عديدا من الوحدات على المستوى الأضيق (مثل عدد من المستجوبين في نفس السياق الاجتماعي)، وعادة ما نجد أن الوحدات على المستوى الأعلى تكون وحدة جغرافية أو منظمية أو اجتماعية، بينما تكون الوحدات على المستوى الأدنى أفرادا في غالب الأحيان. ومع ذلك يمكن للمستويات الأضيق أن تشتمل على وحدات من السياسات أو الممارسات أو الأفعال.

ويجب ملاحظة أن العلاقة التداخلية بين المستويات الأعرض والأضيق تكون علاقات نسبية وليست مطلقة. فعلى سبيل المثال، يمكن أن تكون الوحدة على المستوى الأضيق مجتمعا محليا أو منظمة. وعلى العموم، علينا أن نكون على وعي بما إذا كانت دراستنا تتضمن وحدات جمع بيانات على أكثر من مستوى واحد، وهنا لابد أن نفهم العلاقة بينها. إن هذا الفهم يقودنا إلى إدراك أعمق لتوثيق العلاقة بين مستوى وحدات جمع البيانات من ناحية وموضوع الدراسة، من ناحية أخرى. فعلى سبيل المثال، بعد جمع كمية من البيانات قد نجد تضاربا بين موضوع الدراسة الأصلي ونتائج بازغة أو مكتشفة. وقد يحدث هذا التضارب إذا كان موضوع الدراسة يتطابق مع مستوى معين من وحدات جمع البيانات بينما جاءت البيانات البازغة من وحدات على مستوى آخر. وعند الوصول إلى هذا المفترق فقد نجد بديلين للاختيار، أحدهما هو بذل مزيد من الجهد لجمع بيانات أخرى من وحدات المستوى الأقل حتى تصبح البيانات البازغة تتقارب إلى التطابق مع موضوع الدراسة الأصلي. أما البديل الآخر فهو إعادة تعريف الموضوع الأصلي للدراسة، وهنا قد يتطلب هذا التحول تعديل موضوع الدراسة الأصلي قليلا. وهنا قد يتطلب ذلك أيضا مزيدا من جمع دراسات أخرى في الاستعراض المرجعي. ويجب ملاحظة أن هذه الأنواع من التعقيدات ما هي إلا جزء من بناء الدراسة، والعناية بها يمكننا من إدراك قيمة كل من:

١. **الحاجة** إلى العناية بتحديد كل من وحدات الدراسة.
٢. **احتمال** وجود وحدات جمع بيانات على أكثر من مستوى واحد.
٣. **العلاقة** بين المستويات سواءً داخل المستوى أو بين المستويات.
٤. **العلاقة** بين المستويات وموضوع الدراسة الأصلي.

وتعتبر كل هذه الأمور الأربعة سابقة الذكر جزءًا من تصميم البحوث النوعية.

رابعا: العناية بالمعاينة أم لا: غالبا ما تنطوي كل دراسة نوعية على عينات على المستوى الأعرض وعلى المستوى الأضيق. ويتمثل تحدي المعاينة في معرفة الوحدات المحددة للدراسة ولماذا يتم اختيارها كذلك. ويتمثل هذا التحدي بصورة خاصة عند اختيار حالة واحدة. وعادة ما يتم اختيار العينة في البحوث النوعية بطريقة قصدية مكونة ما هو معروف بالمعاينة العمدية Purposive sampling. والمبرر وراء هذا الاختيار العمدي يرجع إلى أن هذه الحالات المختارة هي التي تحتوى وبكثرة على البيانات المتعلقة بموضوع الدراسة. فعلى سبيل المثال إذا كانت دراستنا تتعلق بكيفية تأقلم المطلقين والمطلقات على حياتهم الجديدة فلابد أن يكون الاختيار من بين حالات مطلقين وحالات مطلقات حيث أن ذلك سيوفر فرصة مشاهدات كثيرة تتعلق بموضوع الدراسة. وكمثال آخر، إذا كانت دراستنا تتناول على المستوى الأعرض منظمة معينة، فإن العينة على المستوى الأضيق يجب أن تتضمن القائد الأعلى لهذه المنظمة والذي من غير المحتمل أن يضهر هذا القائد في عينة عشوائية. وعلى نفس الدرجة من الأهمية نلاحظ أن اختيار الوحدات في العينة يجب أن يمكننا من الحصول على أوسع نطاق ممكن من المعلومات والمنظورات حول موضوع الدراسة (Kuzel, 1992: 37). ويراعى أيضا أن تحتوي هذه الوحدات المختارة على حالات تعرض نظرات ودلائل متعارضة خاصة عندما نريد أن نختبر التفسيرات المنافسة (ibid.: 37-41). ويمكن أن تنضم طريقة معاينة كرة الثلج Snowball sampling إلى المعاينة العمدية. يحدث ذلك إذا كان الاختيار في كرة الثلج عمديا، ويمكننا من تتبع مستجوبين آخرين يضيفون إلى موضوع الدراسة.

وبالنسبة لعدد الحالات في الدراسة النوعية فلا يوجد هناك معادلة لتحديد العدد المرغوب من الحالات سواء بالنسبة للمستوى الأعرض أو الأضيق، ولكنه عادة ما يكون العدد

الأكبر أفضل من العدد الأصغر لأن ذلك يعطي ثقة أكبر في نتائج الدراسة. إلا أنه بالنسبة للمستوى الأعرض، تتخذ معظم الدراسات النوعية حالة واحدة مثل سياق حقلي، أو منظمة واحدة عادة ما تكون حالة متطرفة أو نمطا حقليا نموذجيا. ولكن يراعى إذا ما كان الغرض من الدراسة هو اختبار فرض أو فروض معينة فيمكن حينئذ اختيار سياق حقلي يمكن أن تختبر فيه الفروض البحثية وفروضها المنافسة أو البديلة (Yin, 2009: 47-49). وهنا قد يلجأ الباحثون إلى اختيار حالتين على المستوى الأعرض كل منهما تتسم بخصائص مختلفة تيسر من اختبار الفروض البحثية وفروضها البديلة. وقد تمثل الدراسات الطولية لحالة واحدة أو سياق اجتماعي واحد دراسة متعددة الحالات (أي نفس الحالة الواحدة في الزمن أ وهي نفسها في الزمن ب).

خامسا: استخدام المفاهيم والنظريات في الدراسة أم لا: تختلف البحوث الوضعية عن البحوث النوعية في التركيز على استعمال كل من المنظورين الاستقرائي Inductive والاستنباطي Deductive من حيث أن الأول يعتمد على تبعيته للنظرية، أو توجيه النظرية له، فهي التي تحدد الفروض البحثية التي تختبر من خلال الاستقراء الإمبيريقي، بينما يعتمد المنهج الاستنباطي على توجيه "المفاهيم" Concepts لمسار دراسته البحثية. ولكن من المفضل لدي الباحث الماهر أن ينسج مدخله البحثي من تكامل كل من المنهجين الاستقرائي والاستنباطي في بحثه، والذي يعتبر في حد ذاته نوعا من التثليث أو دعم الثقة في النتائج البحثية. ولنتذكر أن المفاهيم وإن كانت تجريدية عقلانية إلا أنها ليست تجسيدا لنظرية عامة، ومن ثم يصبح النسج بين النظرية والمفاهيم أمرا ليس من الصعب تحقيقه (Yin, 2011: 93-96).

سادسا: التخطيط المبكر للحصول على ردود أفعال المستجوبين أم لا: قد يلجأ الباحث في مرحلة متأخرة من دراسته أن يعرض نتائجها على واحد أو أكثر من المبحوثين المشاركين في الدراسة من أجل الحصول على تغذية رجعية أو التعرف على ردود أفعال هؤلاء المبحوثين. هذا هو ما أطلق عليه كثير من الباحثين "عملية مراجعة الأعضاء Member checks". وهناك ممارسة أخرى أكثر شيوعا بين الباحثين النوعيين وهي إجراء هذه العملية مبكرا حيث يفكر الباحث في الموضوعات وأنواع المواد (مثل المدونات الحقلية أو المسودة المبكرة لسرد وحكايات المستجوبين) والتي يمكن عرضها لمراجعة المبحوثين ممن نحددهم

أيضا في البداية. وهذا كله يعتبر جزءًا من التصميم البحثي. وقد عرض لوك و فيلاموري (Locke and Velamuri, 2009, pp. 488-489) بعض الاختيارات في هذا المقام. فعلى سبيل المثال، أشار هذان الباحثان إلى ارتباط الدوافع لإشراك المبحوثين في المراجعة بكل من التصحيحات والتغييرات التي يمكن أن تزيد من صدق الدراسة والثقة في نتائجها، هذا من ناحية، وإلى الحاجة إلى تعزيز التعاون الأخلاقي بين الباحث والمبحوثين من ناحيةأخرى. كما يشير نفس الباحثين إلى إمكانية الاختيار بين عرض ملخص مبدئي للدراسة أو عرض مدونات كاملة لعمليات مقابلة معينة مع المبحوثين (ibid.: 494). ويتميز العرض المبكر هذا بأنه يثير القضية قبل أن تصبح "قضية" يُختلف فيها، بالإضافة إلى عدم التحيز لخطة البحث نتيجة تصميم خطة الدراسة قبل اكتشاف نتائجها أو طبيعتها.

سابعا: الاهتمام بتعميم نتائج الدراسة أم لا: التعميم هو ممارسة بحثية تتمثل في حجة منطقية لتوسيع نطاق النتائج البحثية بما يتجاوز البيانات، مما يفرض وجود صلة بين الأحداث التي تمت دراستها وتلك التي لم يتم دراستها. ولا يوجد منهج بحثي يعفي من شرط إثبات منطق التعميم. وهناك الكثير من الجدل حول أهمية التعميم في البحوث النوعية (Gomm, Hammersley, and Foster, 2000)، حيث يرى البعض أن التعميم أمر غير مهم في الدراسات النوعية، فعلى سبيل المثال يركز علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية على تفرد وتميز الثقافات الغريبة وليس على التعميم من خبراتها. ولكن الباحث له الاختيار إما بالالتزام بهذا الدور المحدود أو الرغبة في التعميم.

ويراعى أن بديل التعميم الإحصائي المتبع في دراسات المسوح الاجتماعية والدراسات الكمية هو التعميم التحليلي في دراسات البحوث النوعية. وتبدأ فكرة التعميم التحليلي بمعرفة أن جميع البحوث، وليست البحوث النوعية فقط، تحدث في شكل دراسات فردية. وتواجه التجارب المعملية تحدى التعميم بنفس الطريقة التي تواجه بها البحوث النوعية التعميم أيضا، فكلاهما يستخدمان حالة واحدة، حيث أنه في البحوث التجريبية المعملية توجد تجربة واحدة تتم مع مجموعة محددة من المبحوثين في مكان محدد وفي زمان محدد. وهنا فكلا النوعين من الدراسات تخضع نتائج دراستهما لعملية التعميم التحليلي Analytic generalization (Yin, 2009: 43). ويمكن تعريف التعميم التحليلي بأنه عملية ذات

خطوتين. الخطوة الأولى تتضمن ادعاءًا مفهوميا يظهر فيه الباحثون أن نتائجهم البحثية تتناول قائمة من المفاهيم، والأبنية النظرية، أو تتابع مفترض لأحداث معينة. أما الخطوة الثانية فتتضمن تطبيق نفس النظرية لتغطية مواقف أخرى متشابهة وحيث ترتبط بهذه المواقف مجموعة متشابهة من المفاهيم.

ولتوضيح كيفية التعميم من حالة واحدة دعنا نرجع للدراسة الشهيرة حول أزمة الصواريخ الكورية والتي قام بها أليسون و زيليكو (Allison and Zelikow, 1999)، حيث شكل الباحثان عملهما لكي يتناول مجالا نظريا عريضا يتمثل في كيفية مواجهة القوى العظمى بعضها لبعض وليس ما ينطبق فقط على أزمة الصواريخ الكوبية. واشتملت دراسة الحالة نفسها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي السابق وهما يهددان بعضهما البعض عام ١٩٦٢م حول الصواريخ السوفيتية الهجومية التي وضعت في كوبا ويمكن أن تصل إلى الولايات المتحدة والتي هددت بوقوع محرقة نووية لا تبقي ولا تذر. في البداية، قدمت الدراسة ثلاث نظريات مختلفة عن مواجهة القوى العظمى، كما هو موضح في الأدبيات الموجودة، ثم تم تقديم وقائع الحالة الفردية فيما يتعلق بهذه النظريات الثلاث، وتمثل الاكتشاف الرئيسي لهذه الدراسة في أن مثل هذه المواجهات لا يدفعها "الرجل العظيم" من القيادة، والتي كانت النظرية السائدة بين النظريات الموجودة في ذلك الوقت. وقد ادعى المؤلفان أن نتائجهما تنطبق على عدد كبير من المواجهات الأخرى بين القوى العظمى بما في ذلك مناطق أخرى وقوى غير الولايات المتحدة الاتحاد السوفيتي. وقد استقبلت الدراسة استقبالا ممتازا بين الباحثين الاجتماعيين وكانت الأكثر مبيعا بين قراءات مقررات العلوم السياسية لعقود عديدة منذ تاريخ نشرها الأصلي.

ويتطلب التعميم التحليلي بناءً جدليا منطقيا سواءً كان للدراسات النوعية أو الدراسات التجريبية المعملية. وبالطبع لا يمكن أن يصل المنطق الإقناعي هنا لدرجة البرهان في الهندسة أو الجبر، ولكن يجب العناية بعرض هذا البناء الجدلي. ويمكن أن تكون النظرية الناشئة عن هذا التعميم مجرد سلسلة من الفروض أو حتى فرض بحثي واحد. وربما يلزم أن يربط البناء النظري الجدلي هذا بالأدبيات العلمية الموجودة وليس فقط بالظروف المحددة في الدراسة الفعلية.

ولتوضيح ذلك نذكر أيضا الدراسة التي قام بها ليفيت (Levitt, 2001) حول الهجرة الحديثة بين جمهورية الدومينيكان والولايات المتحدة والتي تمثل مثالا ممتازا للتعميم التحليلي. لقد قدم الباحث دليلا أو برهانا يوضح به كيف أن الهجرة الحديثة تختلف عن الهجرة التاريخية من الدول الأوربية إلى الولايات المتحدة (ibid.: 21-27). فقد أوضح الباحث أن الهجرة الحديثة تكتسب خاصية "عبر الحدود"، حيث يبقى المهاجرون الجدد على اتصال بمجتمعاتهم المحلية في دولتهم الأصلية. كما أوضحت الدراسة أن أنماط الهجرة الجديدة تتسم بارتفاع نسبة المهاجرين الجدد بين السكان الأصليين بالإضافة إلى إعطاء المهاجرين الجدد الجنسية المزدوجة من جانب دولتهم الأصلية. وقد أظهرت أنماط هجرة جديدة بين دول أخرى نفس هذه الخصائص (ibid.: 16-21). وقد ناقش الباب الختامي للدراسة ثلاثة أنماط هجرة جديدة أخرى غير الدومينكان والولايات المتحدة والتي ينطبق عليها تعميمات وخلاصات الدراسة المذكورة.

وعلى العموم، فإن التعميم ليس نتيجة فقط لتعدد الحالات أو كثرتها، ولكن الأهم من ذلك هو نوعية الوحدات أو الحالات المستعملة وذلك من حيث اتساع نطاق خصائص هذه الحالات واتساع نطاق الظروف التي تحدث تحتها. ويؤدى تعدد الخصائص في العينة إلى زيادة تعدد الخصائص في المجتمع الذي تنطوي تحته العينة مما يزيد من احتمالية إجراء التعميم. وهكذا تختلف التعميمات في نطاق خصائص مجتمعاتها بالإضافة إلى قوة الثقة في الجدل أو المنطق التعميمي. ومن ثم فلا يعنى زيادة عدد الحالات إمكانية الحصول على نطاق تعميمي أكبر، فقد تحتوى العينات الكبيرة على وحدات شديدة التجانس. فعلى سبيل المثال، قد نجد نطاقا تعميميا ضيقا بين عينة مكونة من ١٠٠ تلميذ في مدرسة ابتدائية، بينما نجد نطاقا تعميميا أكبر بين عينة من ١٠ تلاميذ فقط يتباين آباؤهم في الدخول والتعليم والمقيمين في الريف والحضر (Kennedy, 1979: 665).

ثامنا: إعداد بروتوكول للبحث أم لا: يعتبر إنشاء بروتوكول للدراسات النوعية سيفا ذا حدين، ولذلك فهو معضلة، إذ قد يقوض وجود البروتوكول مواطن قوة كبيرة في البحوث النوعية، وهي القدرة على فهم ورؤية الحياة الحقيقية كما يعيشها الآخرون، وليس كما يفترض الباحثون أو يتوقعون. ومع ذلك فلا يخلو البروتوكول البحثي في أي دراسة من القيم والتوقعات والأطر النظرية الخاصة بالباحث. وهناك الكثير من الباحثين الذين

يرفضون عمل بروتوكول في بداية البحث، فهم يحاولون أن يبقوا مفتوحي العقل في بداية عملهم الحقلي. وعلى غرار ما سبق، تستند المقابلات الميدانية المبكرة أيضًا إلى أسلوب محادثة مفتوح يتجنب توجيه المقابلات قدر الإمكان. وفي الوقت نفسه، إذا قام الباحث بتحديد موضوع دراسته وبدأ في توضيح بعض الأسئلة البحثية الرئيسية، وإذا اختار وحدات جمع البيانات الخاصة به على أمل أنها ستوفر أنواعًا معينة من البيانات المطلوبة، فيمكن حينئذ أن يساعد نوع من البروتوكول في توجيه دراسته وجمع البيانات بطريقة مثمرة. ومن ثم فإن الخيار الحالي لتصميم البحث يتمثل في الدرجة التي يريد الباحث فيها بالفعل إعداد بروتوكول لها في وقت مبكر. ويمكن أن يتباين الخيار من كونه متطرفا (لا يوجد بروتوكول) إلى التطرف المعاكس (وجود بروتوكول واضح)، ولكنه على الأرجح، عادة ما ينتهي الأمر بالباحث في مكان وسط. والأمر له في النهاية.

ويتضمن مصطلح "بروتوكول" قائمة من الإجراءات والتساؤلات البحثية. تتضمن هذه الإجراءات والتساؤلات تناولا لجوهر القضية موضوع الدراسة. ويختلف البروتوكول عن الأدوات البحثية مثل الاستبيان أو دليل المقابلة المحددة. والبروتوكول إطار عقلي لدي الباحث ومن هنا تظهر أهمية دور الباحث في البحوث النوعية.

ويحتوي بروتوكول الدراسة النوعية

بشكل صحيح، إلى فرص للبحث عن أدلة معاكسة وكذلك داعمة. وإذا لم يكن هناك بروتوكول أو إطار عمل، فقد يتم إهمال هذه الفرص.

ثالثًا: تساعد الأسئلة المتعلقة بالبروتوكول على السعي لتحقيق الدمج والتثليث في الأدلة. وتساعد سيولة عملية جمع البيانات على هذا الدمج أو التثليث الذي قد يتم إهمالها في غياب بروتوكول.

رابعا: إن من مميزات الدراسات النوعية المهمة إمكانية اكتشاف رؤى جديدة أثناء جمع البيانات. ولذلك يجب ألا يعرقل استخدام بروتوكول البحث هذه العملية الاستكشافية. وعلى الرغم من أن أسئلة البروتوكول تأتي من الموضوعات الأصلية والتساؤلات التي طرحتها الدراسة، إلا أننا نحتاج أيضًا إلى الحفاظ على تفكير منفتح أثناء عملية جمع البيانات. وبالتالي، فبينما يحتوي البروتوكول على الميزات الثلاث الموصوفة أعلاه إلا أنه يجب على الباحث أن يكون قادرا أيضًا على التفكير "خارج الصندوق" (أي خارج الإطار العقلي بأكمله) وذلك عند مواجهة أدلة غير متوقعة. وعند حدوث الاكتشاف، قد نحتاج إلى التوقف مؤقتًا عن عملية جمع البيانات وإعادة التفكير في البروتوكول الأصلي. وقد نرغب في تغيير أي خطط لأنشطة جمع البيانات اللاحقة من أجل دمج النتائج المكتشفة حديثًا. وفي الحالات المتطرفة قد نحتاج إلى إعادة صياغة أسئلة البحث الرئيسية، وقد نحتاج أيضا إلى مراجعة جديدة للأدبيات السابقة.

الفصل الرابع

أنواع التصاميم البحثية في البحوث النوعية

هناك خمسة أنواع من التصاميم البحثية المستخدمة في البحوث النوعية: بحوث دراسة الحالة Case research، البحث الإجرائي Action research، الإثنوجرافيا الوصفية Ethnography، الظاهرتية Phenomenology، الجماعات البؤرية Focus Groups.

أولا: بحوث دراسة الحالة: سيتم تناول دراسة الحالة بالتفصيل فيما بعد، ولكن دعنا نقدم لها في هذا المقام بإيجاز. دراسة الحالة هي دراسة طولية مكثفة لظاهرة معينة في موقع معين أو في أكثر من موقع وذلك لغرض التوصل إلى استدلالات أو استنتاجات تفصيلية سياقية وفهم العملية الديناميكية أو الكيفية التي تسلكها ظاهرة معينة. وتعتبر دراسة الحالة تصميما بحثيا فريدا لأنها يمكن أن تستخدم بطريقة فهمية استبطانية من أجل بناء النظرية أو قد تستخدم أيضا بطريقة وضعية لاختبار النظرية. وهنا يكون الباحث ملاحظاً حياديا (الملاحظة المباشرة) دون أن يكون مشاركا (الملاحظة بالمشاركة). وكأي من المداخل الفهمية الأخرى، تتطلب دراسة الحالة أن يكون الباحث متمتعا بمهارات الملاحظة وقدرات بناء واستكشاف العلاقات التكاملية بين عناصر الظاهرة وذلك لإمكان التوصل إلى تلك الاستدلالات أو الاستنتاجات المعنوية.

ثانيا: البحث الآدائي أو الإجرائي: Action research البحث الإجرائي تصميم بحثي نوعي ولكنه بحث وضعي يهدف إلى اختبار النظرية دون بناء النظرية. وهو تصميم تفاعلي يفترض أن الظاهرة الاجتماعية المعقدة يمكن أن تفهم على أكمل صورة من خلال إحداث تغيرات أو تدخلات أو أفعال فيها وملاحظة ما سيحدث نتيجة ذلك. وفي هذه الطريقة عادة ما يكون الباحث مستشارا أو عضوا في الظاهرة المدروسة نفسها حيث يقوم بتقديم تدخلاته وملاحظة تأثيرها على الظاهرة بينما يقوم هو بالتعلم واستكشاف أغوار العلاقة القائمة بين التدخل والظاهرة. ومن أمثلة ذلك دراسة التغير في المنظمات نتيجة تغير برامج أو عمليات معينة أو حتى أشخاص أو تقنيات جديدة لغرض زيادة أو تفعيل أداء المنظمة

أو إنتاجيتها أو ربحيتها. ويجب أن يعتمد اختيار هذه التدخلات أو الأفعال على النظرية التي تتناول سببية وكيفية إحداث هذه الأفعال للتغير المرغوب. وهنا يتحقق صدق النظرية بمدى تحقيق هذا التغير أو الهدف المرغوب. ويتميز البحث الآدائي عن غيره من البحوث الأخرى بالحل الآني للمشكلات أو الوصول إلى الفهوم العميقة التي لا تتضمن حل مشكلات معينة، كما يتميز على تقديم الاستشارات الذي لا يتضمن الوصول إلى فهوم عميقة. ومن ثم فيعتبر البحث الأدائي طريقة ممتازة للربط بين البحث والأداء أو الممارسة.

وهناك أشكال مختلفة من طريقة البحث الأدائي، أكثرها انتشارا أو تفضيلا هو "البحث الأدائي بالمشاركة" الذي صممه ساسمان وإيفيريد (Susman and Evered, 1978). وتعتمد هذه الطريقة على دائرة بحث أدائي تتكون من خمس مراحل: (١) مرحلة التشخيص، (٢) مرحلة التخطيط للفعل أو التدخل، (٣) مرحلة الفعل أو الأداء، (٤) مرحلة التقييم، وأخيرا (٥) مرحلة التعلم.

تتضمن مرحلة التشخيص تحديد المشكلة في سياقها الاجتماعي. وتتضمن مرحلة تخطيط الأداء تحديد وتقييم بدائل حلول المشكلة والاستقرار على اختيار مسار مستقبلي للأداء يكون معتمدا على التبرير النظري المنطقي. وتتضمن مرحلة الأداء تنفيذ مسار الأداء المستقبلي. وتقوم مرحلة التقييم بفحص مدى نجاح الأداء المختار في حل المشكلة، فمثلا، هل تحققت بالفعل الأثار النظرية للفعل في الممارسة الواقعية. أما في مرحلة التعلم، فيقوم الباحث باستخدام التجارب والتغذية الاسترجاعية أي ردود أفعال تقييم الأداء وذلك من أجل التوصل إلى فهوم عميقة حول تعديل أو تحسين الفعل أو الأداء مستقبلا. وبناءً على تقييم الفعل والتعلم يمكن تعديل الأداء أو تحسينه ليناسب المشكلة بطريقة أفضل، ومن ثم تتم دائرة البحث الأدائي باستخدام التتابع بعد الفعل المعدل. وعادة ما يفترض أن يتم اجتياز دورة البحث الأدائي بالكامل مرتين على الأقل بحيث يمكن تنفيذ التعلم من الدورة الأولى في الدورة الثانية. وعادة ما تكون الملاحظة بالمشاركة هي النمط الرئيسي لجمع البيانات، ومع ذلك يمكن استخدام أساليب أخرى مثل المقابلات الشخصية، والأدلة الوثائقية لتأكيد ملاحظات الباحث.

ثالثا: طريقة الإثنوجرافيا الوصفية: Ethnography لقد استعيرت هذه الطريقة أساسا من علم الأنثروبولوجيا الذي يقوم بدراسة الظاهرة في سياقها الثقافي. وهنا يتعين على الباحث أن ينغمس تماما في الثقافة الاجتماعية لمدة طويلة عادة ما تتراوح بين ستة شهور وسنتين، ويتعين عليه أيضا الاندماج في الحياة اليومية للثقافة المدروسة وسلوك أصحابها في محيطهم الطبيعي وملاحظتها وتدوين ملاحظاته اليومية. وتمثل "الملاحظة بالمشاركة" الطريقة الأساسية لجمع البيانات، كما تتضمن عملية جمع البيانات مدخل "التمعن Sense-making". هذا وقد يلجأ الباحث أيضا إلى اختيار عدد من الإخباريين من نفس المبحوثين والاستعانة بهم في جمع بياناته إلا أن الطبيعة الانتقائية لهؤلاء الإخباريين قد تضفي عليهم تحيزات معينة إما نتيجة حبهم للظهور أو رغبتهم في الإعلان عن ارتباطهم بالأجانب أو ضعف انتمائهم لمجتمعهم أو ثقافتهم المحلية. كما يتعين على الباحث أيضا اللجوء إلى تدوين بياناته الحقلية بصورة تفصيلية، وأن يروى خبراته ووصفها تفصيليا حتى يتمكن القارئ من معايشة نفس الثقافة التي يعيشها الباحث. ويلعب الباحث في هذه الطريقة دورين: الاعتماد على معرفته الفريدة ومعايشته للظاهرة وذلك من أجل التوصل إلي فهوم عميقة (نظرية)، هذا من ناحية، وأن يقنع مجتمع الباحثين الآخرين بالطبيعة السياقية الديناميكية للظاهرة المدروسة.

ومن أشهر أمثلة الإثنوجرافية الوصفية دراسة مارجريت ميد (Margaret Mead, 1925) حيث سافرت إلى منطقة الساموايا الأمريكيين (American Samoa) في جنوب الباسيفيك لتكتشف ما إذا كانت فترة المراهقة فترة مؤلمة ومجهدة عالمياً بسبب عوامل بيولوجية أو ما إذا كانت تجربة المراهقة تعتمد على التربية الثقافية للفرد. وبعد قضاء حوالي تسعة أشهر في مراقبة ومقابلة الساموبين، وكذلك إجراء الاختبارات النفسية، خلصت ميد إلى أن المراهقة لم تكن وقتًا مرهقًا للفتيات في ساموا لأن الأنماط الثقافية لساموا كانت مختلفة تمامًا عن تلك الموجودة في الولايات المتحدة. كان أحد الأسباب وراء شعبية كتابها هو قيام ميد Mead بمراجعة مقدمة مخطوطها الأصلي واختتامه بإضافة فصلين يتناولان بشكل مباشر الآثار المترتبة على النتائج التي توصلت إليها فيما يتعلق بتربية الأطفال في الولايات المتحدة.

على الرغم من أنه كان نجاحًا شائعًا وتم استخدامه في العديد من مقررات الأنثروبولوجيا في المرحلة الجامعية، إلا أن كتاب "بلوغ العمر في ساموا *Coming of Age in Samoa* " واجه درجات متفاوتة من النقد على مر السنين. تم التشكيك في بعض نتائجها من قِبل علماء الأنثروبولوجيا الآخرين، وقد تم انتقادها لإضفاء الطابع الرومانسي على حياة ساموا والتقليل من شأن الأدلة التي تعارض حججها الرئيسية. بالإضافة إلى ذلك، وجد بعض الساموين أن تصويرها لحياة المراهقين في ساموا مهينة.

رابعا: الظاهرتية: Phenomenology الظاهرتية طريقة بحثية تركز على دراسة الخبرات الوعية (أو الواعية) كوسيلة لفهم الحقيقة المحيطة بنا. وهي في الواقع حركة فلسفية تم اقتباسها بواسطة بعض علماء الاجتماع ليروجوا لفهم العلاقة بين الحالات المختلفة للوعي الفردي من ناحية والحياة الاجتماعية من ناحية أخرى. وتسعى الظاهرتية كمدخل في نظرية علم الاجتماع لكشف النقاب عن كيفية استخدام الوعي الإنساني في صياغة الفعل الاجتماعي وصياغة أو بناء المواقف الاجتماعية بل وبناء العوالم الاجتماعية (Schultz, in Natason, 1970).

ويمثل الوعي كعملية عمدية مقصودة مركبا من التفكير والإدراك والشعور والتذكر والتخيل والتوقع وهي عناصر الموارد الأساسية لجميع الحقائق الاجتماعية وهي بذلك تعتبر المواد الأساسية للفهم العام. ومن ثم ترى الظاهرتية التفاعل الاجتماعي على أنه عملية تبادلية من التكوينات الفهمية للمتفاعلين الذين يستخدمون مخزونهم المعرفي المتوافر لحظة التفاعل. وتتكون المواقف الاجتماعية من هذه الأنماط الاعتيادية للتفاعل الاجتماعي وهي التي يراها علماء الاجتماع الوضعيون Positivists على أنها محكومة بقواعد خارجية عن الوعي والإدراك الذاتي للمتفاعلين. فالاختلاف بين الظاهرتيين والوضعيين يتمثل في إهمال الوضعيين لأسلوب بناء الحقائق الاجتماعية والنظر إليها على أنها خارجة عن الفرد بينما يرى الظاهرتيون أن الحقائق الاجتماعية تتكون من خلال الفرد وداخلياته وذاتياته.

وتعتمد هذه الطريقة على أفكار إدماند هاسيرل (Edmun Husserl, 1931) في بدايات القرن العشرين وهو أول من نادى بالظاهرتية، وهو عالم رياضة ألماني عاش في الفترة من ١٨٥٩ إلى ١٩٣٨م. لقد اعتقد هذا العالم أن الموضوعية في العلم تقف عائقا

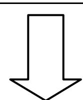
أمام الفهم الصحيح للعالم. وقد قدم مفاهيم وأساليب مختلفة توضح بجلاء أن مصادر الحقيقة وجوهرها يتواجدان في الوعي الإنساني، واعتقد أن الخبرة الإنسانية هي مصدر كل المعارف. وتختص الظاهرتية بالتمعن الممنهج في الظاهرة وتحليلها من خلال فحص ارتباطها بالخبرات الواعية مثل الأحكام الإنسانية والمدركات والأفعال الإنسانية بغرض: (١) تقييم ووصف الحقيقة الاجتماعية من خلال وجهات نظر المبحوثين الذاتية، (٢) فهم المعاني الرمزية (البنيانات الكامنة Deep structure) التي تبنى عليها تلك الخبرات الذاتية. ويتطلب البحث الظاهرتي أن يتخلص الباحث من أية فروض أو تحيزات شخصية مسبقة ويركز على سياق المبحوثين، ويتحرى المحاور الواقعية لهذا السياق حتى يمكنه تمام فهم البنيانات الكامنة التي تبعث الفكر الواعي والمشاعر والسلوك الخاص بالمبحوثين.

إلا أن الظاهرتية لم تدخل في نطاق علم الاجتماع كأحد مداخله النظرية إلا بعد أن علق ألفريد شوتز (Shutz, 1967) على بعض مشكلات نظرية ماكس فيبر للفعل الاجتماعي. وقد قام شوتز بصياغة مدخل اجتماعي من كتابات هاسيرل موضحا كيفية قيام المعاني الذاتية في الوعي الإنساني بإخراج وبناء عالم اجتماعي موضوعي. وقد أدى ذلك إلى رسوخ علم الاجتماع التفسيري Interpretive Sociology والذي عبر عنه بواسطة مصطلحين شهيرين هما "بناء الحقيقة Reality constructionism" و "الإثنوميثودولوجية Ethnomethodolgy" واللذان اعتبرهما ريتزر (Ritzer, 1996) من أعظم المداخل الاجتماعية خصوبة وثراءً في علم الاجتماع. وتساهم الظاهرتية في علم الاجتماع نظريا ومنهجيا حيث أنها تصلح من المنهج الموضوعي البحت في علم الاجتماع من خلال تقديم أساليب نظرية وطرق بحثية نوعية تساهم في إلقاء الضوء على المعاني الإنسانية في الحياة الاجتماعية. فنجد بالنسبة للأساليب التي تقدمها الظاهرتية أسلوب التجريد اللفظي "Bracketing" وأسلوب الاستبطان "Introspection" وأسلوب فهم الآخر أو التقمص الوجداني *Verstehen* حيث يعنى الأول تخليص الظاهرة المدروسة من قيمها الاجتماعية السائدة والنظر إليها فقط حسب معناها دون الحكم إذا ما كانت صحيحة أو خاطئة، خيرة أم شريرة ... إلخ. أما الاستبطان فهو التمعن في مفهوم الظاهرة من خلال الإدراك والفهم الذاتي للباحث الاجتماعي، وأخيرا يمثل التقمص الوجداني قدرة الباحث على وضع الباحث نفسه محل المبحوث وإدراك الظاهرة من منظور المبحوث نفسه.

وتشتمل هذه الأساليب الثلاثة على خاصية الفهم، ومن ثم يعتبر الفهم أو النظرة إلى الحياة Cognition عنصرا هاما من مدخل الظاهرتية. ولذلك يعتبر بعض العلماء (Berger, 1963; Kellner, 1981; Luckman, 1966) أن المعرفة الاجتماعية تمثل الأساس القاعدي لأساليب الظاهرتية البحثية. ومن هنا يركز الباحثون الظاهرتيون على استخدام الأساليب البحثية النوعية مثل تحليل الجماعات الصغيرة والمواقف الاجتماعية والمنظمات الاجتماعية مستخدمين أساليب المواجهة الشخصية مثل أسلوب الملاحظة بالمشاركة Participant observation وأسلوب الجماعات البؤرية Focus groups، بالإضافة إلى المقابلات الشخصية المكثفة للكشف عن اتجاهات وتوجهات المبحوث ودوافعه ومكونات وعيه الإنساني الذاتي. وأما بالنسبة للناحية النظرية فنجد أن المهمة الأساسية لمدخل الظاهراتية هي توضيح التفاعل التبادلي بين عمليات الفعل الاجتماعي وبناء عناصر الموقف الاجتماعي وبناء الحقيقة أو التوصل إلى معنى الحقيقة الاجتماعية. فالظاهرتية لا تتمسك بمبدأ السببية الأحادية التي ترى أن أي شيء هو نتيجة لشيء آخر، وإنما ترى جميع محاور الظاهرة مكونات لبعضها البعض. ومن ثم تمثل الانعكاسية Reflexivity خاصية لمحاور الظاهرة الاجتماعية حيث يكون كل منها أساسا ونتيجة للآخر.

وينظر بعض الباحثين إلى الظاهرتية على أنها فلسفة أكثر من كونها طريقة بحثية، ولمواجهة تلك النظرة قام جيورجي و جيورجي(Giorgi and Giorgi, 2003) بتطوير طريقة بحثية ظاهرتية وجودية لتوجيه الدراسات في هذا المجال. وحسب ما هو مبين بالشكل التالي يمكن أن تقسم هذه الطريقة إلى مرحلتين، مرحلة جمع البيانات ومرحلة تحليل البيانات حيث تتم المقابلة الشخصية للمبحوثين المنغمسين في الظاهرة الاجتماعية من أجل إدراك خبراتهم ونظراتهم الذاتية بالنسبة للظاهرة المدروسة. وتتمثل طريقة جمع البيانات الظاهرتية في الجدول التالي:

جدول ٥. طريقة البحث الظاهراتي الوجودية

جمع البيانات المقابلة الشخصية للمبحوثين الخاصين بالظاهرة المدروسة نسخ المقابلات من أجل التحليل

تحليل البيانات قراءة النصوص لتكوين الشعور بكلية ووحدة الظاهرة المدروسة تحديد الوحدات ذات الأهمية (تحديد الأجزاء) تحديد تقييمات للوحدات ذات الأهمية بمعايشة الخبرة الذاتية للمبحوث تكوين المواضيع لربط الوحدات ذات الأهمية في معاني طبقية تحديد أو استخلاص "البنيانات الكامنة أو العميقة".

ومن أمثلة الأسئلة المطروحة في المقابلة الشخصية "هل يمكنك أن تصف أحداث يوم نمطي؟" أو "هل يمكنك أن تصف واقعة معينة بالتفصيل؟" وتسجل المقابلة ثم تنسخ لمزيد من التحليل. وأثناء جمع البيانات، يقوم الباحث بقراءة النصوص لغرض الحصول على الرؤية الشاملة، وكذلك لإنشاء "وحدات ذات أهمية" يمكن أن تمثل بصدق تجارب المبحوثين الذاتية. ومن الأمثلة على هذه الوحدات ذات الأهمية مفاهيم مثل "المكان المحسوس" و "الزمن المحسوس"، والتي يمكن أن تُستخدم بعد ذلك لتوثيق التجارب النفسية للمبحوثين. فعلى سبيل المثال، هل شعر المبحوثون بالأمان أو بالحرية، أو بالحبس، أو بالفرح عند ممارستهم للظاهرة (المكان المحسوس)؟ وهل شعروا بأن تجاربهم كانت مضغوطة أو بطيئة أو متقطعة (الزمن المحسوس)؟ ومن ثم فإن تحليل الظواهر ينبغي أن يأخذ في الاعتبار المشهد المكاني والمشهد الزمني للمبحوثين (بمعنى إحساسهم بالماضي والحاضر والمستقبل)، ويجب على الباحث أن يتحول بنفسه خياليا في وضع المبحوث (أي، يعيش حياة المبحوث مؤقتًا)، ويقوم بوصف تجربة المبحوثين الحية في شكل

سرد أو بناء لموضوعات ناشئة. ثم يغوص بالتحليل في هذه الموضوعات لتحديد طبقات متعددة من المعنى مع الحفاظ على هشاشة وغموض التجارب التي يعيشها المبحوثون.

خامسا: الجماعات البؤرية: Focus groups تمثل طريقة البحث المعتمدة على الجماعة البؤرية في مناقشة منظمة مع جماعة مختارة من الأشخاص لغرض الحصول على معلومات تتعلق بوجهات نظرهم وخبراتهم حول موضوع معين لا يمكن الحصول عليها بطرق أخرى. وتتناسب المقابلة مع الجماعة البؤرية بصفة خاصة مع غرض الحصول على وجهات نظر مختلفة حول نفس هذا الموضوع. وتتميز المناقشة مع الجماعة البؤرية بالحصول على الخلفيات العميقة للمفاهيم المشتركة بين الناس حول حياتهم اليومية والطرق التي يتأثر بها الأشخاص بالآخرين في الموقف الجماعي. كما تتميز الجماعة البؤرية بالكفاءة، من حيث جمع معلومات كثيرة من أكثر من مبحوث، ولكن ينقصها العمق الذي يمكن الحصول عليه من مبحوث واحد. وعادة ما نجد صعوبة خاصة عند محاولة التمييز بين الآراء الفردية والآراء الجماعية بالإضافة إلى الصعوبة الخاصة بإجراء الترتيبات العملية لإجراء المقابلة مع الجماعة البؤرية. ومن ثم فيعتبر دور منسق الجماعة مهما للغاية حيث يجب أن يكون ماهرا في كل من القيادة الجماعية ومهارات التعامل مع الآخرين.

ونادرا ما تستعمل طريقة الجماعة البؤرية في العلوم الاجتماعية بالرغم من تاريخها الطويل في بحوث السوق (Morgan, 1988) بالإضافة إلى استعمالها حديثا بالبحوث الطبية (Powell, 1996). وتوجد تعريفات متعددة للجماعة البؤرية إلا أنها تتفق في ملامح معينة تتراوح بين المناقشة المنتظمة (Kitzinger, 1994: 103-121) والنشاط الجمعي (Powell, and Single, 1996) بالإضافة إلى التفاعل والعلاقات الاجتماعية. وتعتمد طريقة الجماعة البؤرية كما يقول مورجان على التفاعل بين الجماعة معتمدا على موضوعات يقوم الباحث بإمدادها. ومن ثم فتتميز طريقة الجماعة البؤرية بالرؤى والبيانات التي يتم الحصول عليها من خلال التفاعل بين أفراد الجماعة البؤرية، كما تتميز بالحصول على معلومات كثيرة في وقت قصير بالمقارنة بطريقة الملاحظة أو الطرق الأخرى. هذا وبينما ينتظر الباحث في الطرق الأخرى حدوث الأشياء يقوم هو في طريقة الجماعة البؤرية باتباع دليل مقابلة يحدده مسبقا، ومن ثم فلا تعتبر الجماعة البؤرية جماعة طبيعية وإنما هي في الواقع جماعة منظمة بأحداثها. وتناسب الجماعة البؤرية المواقف التي توجد فيها فروق في

السلطة والمكانة الاجتماعية بين الأشخاص المشاركين فيها ومتخذي القرار والمهنيين، كما تناسب المواقف التي تعتبر فيها الثقافة الفرعية للأشخاص المشاركين ذات أهمية خاصة بالإضافة إلى مناسبتها للمواقف التي يهم الباحث اكتشاف مدى التوافق بين الأفراد المشاركين حول موضوع معين (Krueger, 1988).

ويمكن أن تستعمل الجماعة البؤرية في مرحلة الدراسات الاستكشافية خلال دراسة معينة أو لتكوين برنامج معين قبل تطبيقه، أو لتقييم برنامج معين بعد تطبيقه، ومن ثم فيمكن للجماعة البؤرية أن تستخدم كطريقة مستقلة أو كطريقة مكملة لطرق بحثية أخرى. وكشأن دراسة الحالة يمكن لطريقة الجماعة البؤرية أن تساعد في توليد وبناء الفروض البحثية أو لبناء مفاهيم وأسئلة معينة في طريقة المسح الاجتماعي. ومما لا شك فيه أنها طريقة تواجه مشكلة التعميم على مجتمع معين نظرا لصغر حجم الجماعة المشاركة فيها.

ومن مزايا الجماعة البؤرية إذا نجح منسق الجماعة في إزالة الخجل لدي بعض أفرادها أنها تشعر المشاركين بالأهمية والمشاركة في اتخاذ القرار وفي التخطيط وفي حل المشكلات. إلا أن طريقة الجماعة البؤرية لها حدود أو عيوب معينة منها أن الباحث لا يستطيع أن يتحكم في البيانات المنتجة حيث أنها بطبيعتها عملية مفتوحة ولا يمكن تحديدها مسبقا بطريقة كاملة. كما أن الأشخاص في الجماعة البؤرية قد لا يعبرون أحيانا عن آرائهم الخاصة نظرا لأنهم يتحدثون في سياق اجتماعي وثقافة معينة تفرض قيمها على المشاركين في الجماعة. ولا ننسى من الناحية العملية صعوبة بناء الجماعة البؤرية حيث أنه لا يمكن الحصول على عينة ممثلة من المشاركين في الظاهرة المراد دراستها، كما أن بعض الأشخاص ذوي الأهمية الخاصة قد يمنعهم خجلهم من المشاركة في عضوية الجماعة البؤرية مثلما قد يمتنع البعض عن إظهار مشاعرهم الحقيقية فيها حيث يجب في هذه الحالة استعمال المقابلة الفردية مع مثل هؤلاء الأفراد.

ويعتبر تنظيم الجماعة البؤرية أمرا يشوبه شيء من الصعوبة حيث يتطلب ذلك تخطيطا معينا يستلزم تواجد الناس في تجمع جماعي كما يفرض توفير بعض المعينات السمعية والبصرية والتسجيلية بعض الصعوبة في كثير من الأحيان. ويمكن أن يتراوح عدد الجماعة البؤرية بين ٤ فقط إلى عشرة، إلا أن العدد الذي يفضله كثير من الباحثين هو ما بين ٦-

١٠ أشخاص. وعادة ما تعقد الجماعة البؤرية لمدة ساعة إلى ساعتين. وتفضل المناطق الطبيعية لعقد الجماعة حيث أن المباني الرسمية المعينة قد تثير بعض الانطباعات السلبية أو الإيجابية لدي الأشخاص، وإلا فيمكن عقدها في أماكن أخرى مثل منازل الأشخاص أو الأماكن المؤجرة أو في المكان الطبيعي للجماعة إذا كانت جماعة قائمة بالفعل. وبالرغم من أهمية الاختلاف بين أعضاء الجماعة البؤرية حيث يثير ذلك آراء واتجاهات ومشاعر متباينة حول الظاهرة المراد دراستها، وهذا يفيد البحث العلمي، إلا أن المشاركين في الجماعة يحبون أن يتشاركوا مع آخرين مشابهين لهم ثقافيا حيث يشعرهم ذلك بالراحة والحرية، ولذلك فيجب على الباحث مراعاة ذلك لجني مزايا الاختلاف بالاختلاف من ناحية وتشجيع المشاركة بالتجانس النسبي من ناحية أخرى. ويعتبر تجميع الجماعة أمرا صعبا ما ولذلك يجب توفير بعض الحوافز أو الهدايا أو المواقف الجماعية الجذابة، كما يجب الاستعانة بالإخباريين والقيادات المحلية والإعلان أحيانا في المناسبات الاجتماعية أو المؤسسات الدينية.

ويعتبر منسق الجماعة من أهم الأدوار الخاصة بالجماعة البؤرية، حيث يوضح المنسق للجماعة الغرض من الجماعة، ويحاول إشعارهم بالطمأنينة والحرية والرغبة في مشاركاتهم وأهميتها وتشجيع التفاعل بين الأعضاء. ويحاول المنسق بعد عقد اللقاء أن ينشط الحوار من خلال إلقاء أسئلة مفتوحة، كما يحاول أن يمزح مع الجماعة ويتحدى أراءها من خلال عرض بعض الفروق المتوقعة والمتطرفة بين الآراء حول القضية موضع المناقشة. وقد يحتاج المنسق أحيانا أن يبحث عن التفاصيل أو يحرك مسار المناقشة إذا انحرفت المناقشة لكي تبقى على المسار المحدد للمناقشة. وهنا يجب عليه أن يحد من سيطرة بعض المشاركين في الحديث بكياسة وذلك دون التأثير على مناقشة الجماعة والحد من التحيز. كما قد يحدث أن تتوقف الجماعة عن المناقشة وتحدث فترة صمت، فعلى منسق الجماعة حينئذ البحث عن كلمات يعيد بها دوران المناقشة دون الانحراف مرة أخرى عن هدف المناقشة. كما قد يبدأ بعض المشاركين في توجيه أسئلة قد لا ترتبط بالهدف من المناقشة فحينئذ على منسق الجماعة أن يتخذ الموقف المناسب لمواجهة ذلك بكياسة أيضا.

كما يجب على المنسق أن يدفع كل فرد في الجماعة إلى المشاركة ويعطي الفرصة لمن لا يشارك أن يشارك. كما يجب عليه أيضا ألا يظهر موافقة قوية على الآراء المذكورة كما لا

يتخذ موقفا واضحا يتضاد مع بعض الآراء المطروحة ويتفق مع الأخرى. كما يجب على منسق الجماعة أن يراعي الاعتبارات الأخلاقية من حيث سرية المعلومات المعبر عنها في مناقشات الجماعة ومراعاة عدم عرض المواد الحساسة أو السؤال عنها كما يجب إعلام المشاركين عن الغرض الحقيقي من تجميع الجماعة والمعلومات المتحصل عليها من المناقشة مع التأكيد على عدم ذكر أسماء المشاركين في النتائج المتحصل عليها.

وفي حالة نجاح المناقشة قد يلجأ الباحث إلى إقامة جماعة بؤرية أخرى، وربما عدة جماعات، وهنا يزداد ثراء جمع المعلومات والتي يمكن أن تمثل معظم البيانات الحقلية في هذه الحالة.

قضية الدقة والصرامة في البحث الفهمي أو الاستبطاني: بينما يستخدم البحث الوضعي نهجا اختزاليا Reductionist approach وذلك من خلال تبسيط الحقيقة أو الواقع الاجتماعي في نظريات وقوانين متعارضة، تحاول الأبحاث الفهمية فهم الواقع الاجتماعي من خلال وجهات النظر الذاتية للمبحوثين المنغرسين في السياق الذي تتواجد فيه الحقيقة. هذه الفهومات المرتبطة بالسياق تكون بطبيعة الحال أقل تعميمًا على السياقات الأخرى. ومع ذلك، نظرًا لأن التحليل الفهمي شخصي وحساس لتجارب الباحث ورؤيته، فغالبًا ما يتم النظر إليه على أنه أقل صرامة من قِبل العديد من الباحثين الوضعيين (الوظيفيين). ونظرًا لأن الأبحاث الفهمية تستند إلى مجموعة مختلفة من الافتراضات الأنطولوجية والإبستمولوجية حول الظاهرة الاجتماعية عن النظريات الاجتماعية الوضعية، فإن المعايير الوضعية للدقة، مثل الموثوقية أو الثبات، والصدق الداخلي، والتعميم لا تنطبق بطريقة مماثلة. ومع ذلك ، يقدم لنكون و جوبا (Lincoln and Guba, 1985) مجموعة بديلة من المعايير التي يمكن استخدامها للحكم على دقة البحث الفهمي أو الاستبطاني.

أولا: الاعتمادية: Reliability يمكن اعتبار البحوث الفهمية على أنها موثوقة أو ثابتة إذا توصل باحثان يدرسان نفس الظاهرة باستخدام نفس مجموعة الأدلة بشكل مستقل إلى نفس الاستنتاجات، أو إذا توصل الباحث الذي يدرس نفس الظاهرة، أو ظاهرة مماثلة، في أوقات مختلفة إلى استنتاجات مماثلة. يشبه هذا المفهوم مفهوم الموثوقية Reliability

في البحوث الوضعية، حيث يكون الاتفاق بين باحثين مستقلين مشابهًا لمفهوم الموثوقية البينية Inter-rater reliability، والاتفاق بين ملاحظتين لنفس الظاهرة لنفس الباحث أقرب إلى موثوقية إعادة الاختبار Test-retest reliability. ولضمان تحقيق الموثوقية، يجب على الباحثين الفهميين أو الاستبطانيين تقديم تفاصيل كافية حول الظاهرة المدروسة والسياق الاجتماعي الذي يتضمنها للسماح للقراء بتصديق استنتاجاتهم الفهمية بشكل مستقل.

ثانيا: المصداقية: Credibility يمكن اعتبار البحوث الفهمية ذات مصداقية إذا وجد القراء أن استنتاجاتها يمكن تصديقها. هذا المفهوم يشبه مفهوم الصدق أو الصلاحية الداخلية Internal validity في البحوث الوضعية. ويمكن تحسين مصداقية البحوث الفهمية من خلال تقديم دليل على مشاركة الباحث الموسعة في هذا المجال، من خلال إظهار تثليث البيانات عبر الموضوعات أو أساليب جمع البيانات، واتباع الإدارة الدقيقة للبيانات والإجراءات التحليلية، مثل النسخ الحرفي للمقابلات الشخصية والسجلات الدقيقة لجهات الاتصال والمقابلات، والتدوينات الواضحة للقرارات النظرية والمنهجية التي يمكن أن تسمح بمراجعة مستقلة لجمع البيانات وتحليلها إذا لزم الأمر.

ثالثا: التأكيدية: Confirmability تشير التأكيدية إلى المدى الذي يمكن أن يؤكده الآخرون بشكل مستقل على النتائج التي تم الإبلاغ عنها في البحوث الفهمية (وهم المبحوثون عادة). ويعتبر هذا مشابها لمفهوم الموضوعية في البحوث الوضعية. ونظرًا لأن البحث الفهمي يرفض فكرة الواقع الموضوعي، فإن إثبات التأكيدية يتم من حيث "الذاتية المقارنية Inter-subjectivity"، أي في حالة موافقة المبحوثين في الدراسة على الاستنتاجات المستخلصة من الباحث. فعلى سبيل المثال، إذا وافق المبحوثون في الدراسة بوجه عام على الاستنتاجات أو الاستدلالات التي توصل إليها الباحث حول الظاهرة المدروسة (بناءً على مراجعة ورقة البحث أو التقرير) فإنه حينئذ يمكن القول أن النتائج مؤكدة.

رابعا: الانتقالية: Transferability تشير القابلية للنقل في البحوث الفهمية إلى مدى تعميم النتائج على السياقات الأخرى. هذه الفكرة مشابهة لفكرة "الصدق أو الصلاحية

الخارجية External validity في البحث الوضعي. يجب على الباحث تقديم وصف مفصل غني لسياق البحث ("الوصف الكثيف") ويصف بدقة الهياكل والافتراضات والعمليات التي تم الكشف عنها من البيانات حتى يتمكن القراء من تقييم مستقل لما إذا كانت النتائج التي تم التوصل إليها قابلة للنقل إلى سياقات أخرى أم لا.

الفصل الخامس

استراتيجيات البحِوث النوعية

سبق وأن أشرنا إلى أن البحوث النوعية تعتمد على فهم الظاهرة المراد دراستها وعلى "استخراج المعاني Sense making"، وليس على التوقع أو التعرف على الأسباب والعواقب للظاهرة المدروسة. ولذلك تتطلب البحوث النوعية عقلية ابداعية إبتكارية تعتمد على اتجاه أخلاقي مستنير يستطيع الانغراس في سياق الظاهرة بالإضافة إلى عدد من الاستراتيجيات التي نوردها فيما يلي:

أولا: النظرية المجذرة: Grounded Theory

ليس من السهولة أن نقوم بتحليل البيانات المتحصل عليها من أساليب متعددة مثل المقابلات الشخصية المعمقة، والملاحظة الموضوعية، والملاحظة بالمشاركة، والجماعات البؤرية، والحكايات، والتسجيلات الصوتية والمرئية، والمصادر الثانوية. "اكتشفت" النظرية المجذرة، حسب قول أصحابها، كأسلوب للقيام بذلك، وهي أسلوب استقرائي Inductive لفهم البيانات المسجلة حول الظاهرة الاجتماعية لبناء نظريات حول هذه الظاهرة. وأصحاب هذه النظرية هم جليسار و ستراوس (Glaser and Strauss, 1967) ثم طورت ونقيت بعد ذلك بواسطة ستراوس و كوربن (Strauss and Corbin, 1990) حيث فصلا عملية الترميز، تلك العملية التي تقوم بتقسيم البيانات المكتوبة في سلسلة من الرموز (المفاهيم)، والفئات (المنشآت Constructs)، وعلاقات. تنبع هذه التفسيرات أو الفهميات وتتجذر (أو تعتمد) على البيانات الإمبيريقية المجمعة. ويتطلب مدخل النظرية المجذرة أن يتخلى الباحثون عن أية نظريات أو توقعات أو تحيزات سابقة قبل جمع البيانات، وأن يسمحوا للبيانات بأن تكون هي التي تفرض تكوين النظرية. يشير ستراوس و كوربن (Strauss and Corbin, 1998) إلى ثلاثة من أساليب الترميز لتحليل البيانات المكتوبة: الترميز المفتوح Open، الترميز المحوري Axial، والترميز الانتقائي Selective. الترميز المفتوح يهدف إلى تحديد المفاهيم والأفكار الأساسية المختبأة داخل البيانات المكتوبة والتي ترتبط بالظاهرة المراد دراستها. يقوم الباحث هنا بفحص البيانات المكتوبة سطرا سطرا لتحديد الأحداث والوقائع والأفعال

والمفاهيم والتفاعلات المحددة والمرتبطة والتي تسجل كـ "مفاهيم Concepts" في رموز البرنامج الإلكتروني Nvivo، ويربط كل مفهوم بأجزاء معينة من الوثيقة المكتوبة (وهي وحدة الترميز Coding unit) للتحقق من صدقها فيما بعد. وقد تكون بعض المفاهيم بسيطة وواضحة ومتميزة بينما قد تكون أخريات معقدة غامضة أو مبهمة أو قد ترى برؤى مختلفة من قبل المبحوثين. وقد تختلف وحدة الترميز مع اختلاف المفاهيم المستخلصة. وقد تحتوي المفاهيم البسيطة مثل "حجم المنظمة" على كلمات قليلة بينما قد تحتوي المفاهيم المعقدة مثل "رسالة المنظمة" على كلمات كثيرة قد تصل إلى عدة صفحات. وقد يطلق على المفاهيم أسماء أو مصطلحات خاصة بالباحث أو يمكن أن تسمى بمصطلحت مألوفة موحدة مأخوذة من الأدب العلمي. وبمجرد تحديد مجموعة أساسية من المفاهيم يمكن عندئذ استخدام هذه المفاهيم لترميز باقي البيانات مع البحث في الوقت نفسه عن مفاهيم جديدة وتحسين المفاهيم القديمة. ومن المهم جدا أثناء الترميز أن نحدد الصفات المدركة لكل مفهوم مثل الحجم أو اللون أو المستوى (عال أو منخفض مثلا) حتى يمكن تجميع المفاهيم المتشابهة في فئات فيما بعد. ويسمى هذه الأسلوب الترميزي "مفتوحا" لأن الباحث مستعد هنا لقبول، بل وللبحث عن مفاهيم جديدة مرتبطة بالظاهرة المراد دراستها.

وتتمثل الخطوة التالية في تجميع المفاهيم (الرموز) المتشابهة في فئات Categories. وبينما تكون المفاهيم مرتبطة بالسياق نجد أن الفئات تميل لكونها شاملة أو عريضة وقابلة للتعميم وتطور في النهاية لتكون "أبنية أو منشآت Constructs" في النظرية المجذرة. وتقوم الفئات بمهمة تقليل كمية المفاهيم التي يتعامل معها الباحث لكي نبني صورة كبيرة لفهم القضايا المهمة اللازمة لفهم الظاهرة المراد دراستها. ويمكن أن تتم عملية بناء الفئات على مراحل وذلك من خلال تجميع المفاهيم في فئات فرعية ثم تجميع الفئات الفرعية بدورها إلى فئات أعلى مستوى. ويمكن أن تستعمل الأبنية أو المنشآت الموجودة في الأدب العلمي وذلك لغرض تسمية هذه الفئات خاصة إذا كان هدف البحث يتمثل في تطوير النظرية القائمة. ولكن يجب الحذر عند استعمال تلك الأبنية أو المنشآت لأنها قد تجلب معها عقائد أو تحيزات راسخة من قبل. هذا ويجب تحديد الخصائص أو المحاور الخاصة بكل خصيصة في كل فئة. ويمثل المحور قيمة لأي خاصية على متصل متدرج. فعلى سبيل المثال، قد تمتلك فئة مثل "وسيلة الاتصال" خاصية معينة تسمى "السرعة"، والتي يمكن أن تكون

محاورها "سريعة، متوسطة، بطيئة." ويساهم مثل هذه التفييء (تكوين الفئات) في التمييز بين مختلف وسائل الاتصال، كما يمكن الباحث من تحديد الأنماط في البيانات مثل "أي وسائل الاتصال تستعمل لكل نوع من الواجبات أو المهام.

أما المرحلة الثانية من النظرية المجذرة فتتمثل في الترميز المحوري حيث تركب الفئات والفئات الفرعية لتكون علاقات سببية أو فروضا بحثية يمكن أن تفسر مبدئيا الظاهرة المراد دراستها. وبالرغم من تميز الترميز المحوري عن الترميز المفتوح فإنه يمكن أن يستعمل تزامنيا مع الترميز المفتوح. ويمكن أن تكون العلاقات بين الفئات واضحة أو قد تكون ضمنية وأكثر غموضا. وفي الحالة الأخيرة قد يستعمل الباحثون نظام الترميز المسمى في غالبية الأحيان "نمط الترميز Coding paradigm"وذلك لغرض إدراك أي الفئات تمثل الظروف والأفعال/والعلاقات التي تمثل استجابة الناس لتلك الظروف، والعواقب المترتبة على تلك الأفعال أو العلاقات والتي تنغرس أو تتجذر فيها الظاهرة. وعند تحديد هذا الثالوث من الظروف، والأفعال/العلاقات، والعواقب تبدأ الفروض البحثية في الظهور، وحينئذ يمكن أن يبدأ الباحثون في تفسير سبب حدوث الظاهرة، وتحت أي ظروف تتم، وبأي عواقب تنتهي.

وأما المرحلة الثالثة والأخيرة من النظرية المجذرة فهي الترميز الانتقائي Selective coding، والتي تتمثل في تحديد الفئة المركزية أو المتغير الجوهري مع الربط التسلسلي والانتظامي والمنطقي بالفئات الأخرى. ويمكن أن تنشأ الفئة المركزية من الفئات الموجودة أو قد تكون فئة أعم وأعلى تحتوي على الفئات الموجودة سابقة الترميز. وهنا يمكن المعاينة الانتقائية لبيانات جديدة للتحقق من صدق الفئة المركزية وعلاقاتها بالفئات الأخرى (أي النظرية المبدئية). هذا ويحد الترميز الانتقائي من نطاق التحليل كما يسرع من أدائه. ويجب على الباحث في نفس الوقت أن يراقب الفئات الأخرى التي قد تنشأ من البيانات الجديدة والتي يمكن أن ترتبط بالظاهرة المراد دراستها (الترميز المفتوح)، والذي يمكن أن يؤدي إلى المزيد من تنقية النظرية المبدئية. وهكذا يمكن أن يتم أداء كل من الترميز المفتوح والترميز المحوري والترميز الانتقائي في تزامن أي في نفس الوقت. ويستمر الباحث في ترميز البيانات الجديدة وتنقية النظرية حتى نصل إلى مرحلة التشبع Saturation، وهي

التي تعنى أنه عندما تضاف بيانات جديدة فإنها لا تؤدى إلى تغير ملحوظ في الفئات الجوهرية أو العلاقات المتوصل إليها.

ويترتب على عملية المقارنة المستمرة إعادة ترتيب وتجميع وتنقية الفئات، والعلاقات، والتفسيرات المبنية على ازدياد الفهم المتعمق والتكرار أو العلاقة التبادلية بين مراحل الأنشطة التالية:

١. مقارنة الأحداث والمخطوطات الخاصة بكل فئة (من أجل التحقق من صدقية الفئة.)
٢. دمج الفئات وخصائصها.
٣. تحديد النظرية (بالتركيز على المفاهيم الجوهرية أو الرئيسية وتجاهل المفاهيم غير المرتبطة أو الأقل ارتباطا).
٤. كتابة النظرية (باستخدام أساليب مثل كتابة المذكرات Memoing، سرد القصص Story lining، والتخطيط أو رسم الأشكال Diagramming).

ولا يعني وجود فئة مركزية أنه يمكن لجميع الفئات الأخرى أن تدمج بطريقة سلسة حولها. وقد قام ستراوس و كوربن (Strauss and Corbin, 1990) باقتراح عدة أساليب للدمج مثل سرد القصص Story lining وكتابة المذكرات Memoing وتخطيط المفاهيم Concept mapping وذلك من أجل تحديد الفئات الرئيسة التي تمثل الظروف، والأفعال/والعلاقات، والعواقب الخاصة بالفئة الجوهرية أو المركزية. ويتم في سرد القصص استخدام الفئات والعلاقات لتوضيح أو تحسين قصة الظاهرة المدروسة. أما المذكرات فهي عبارة عن كتابات نظرية للأفكار حول المفاهيم الموضوعية وعلاقاتها المرمزة نظريًا أثناء تطورها خلال تحليل النظرية المجذرة، وهي أدوات مهمة لتتبع الأفكار التي تتطور أثناء التحليل وتنقيحها. وتمثل عملية كتابة المذكرات استخدام هذه المذكرات لاكتشاف الأنماط والعلاقات القائمة بين الفئات باستخدم الجداول الرباعية، والأشكال، والرسوم التوضيحية أو العروض التوضيحية الأخرى. وتمثل عملية تخطيط المفاهيم تمثيلا رسوميا للمفاهيم والعلاقات بين تلك المفاهيم (على سبيل المثال، استخدام الصناديق والأسهم). ويتم وضع المفاهيم الرئيسية عادةً على ورقة أو أكثر من الأوراق، أو السبورات، أو استخدام برامج

رسومية مرتبطة ببعضها البعض باستخدام الأسهم، وإعادة ضبطها لتناسب البيانات المرصودة بشكل أفضل.

ويجب على الباحث بعد قيامه بتوليد النظرية المجذرة أن يقوم بتنقية المنطق والاتساق الداخلي الخاص بها. ويجب التأكد من أن المنشأ أو البناء الرئيسي يتسم بالخصائص والمحاور المبينة بالنظرية وإلا فيجب إعادة تحليل البيانات. وفي نفس الوقت يجب على الباحث أن يتأكد من تباين الخصائص والمحاور الخاصة بجميع الفئات. فعلى سبيل المثال، إذا كان "تكرار السلوك" أحد هذه الفئات فلابد أن توضح البيانات دلائل كل من المكررين وغير المكررين للسلوك المركزي أو المحدد. وأخيرا يجب أن يتم التحقق من صدق النظرية من خلال مقارنتها بالبيانات الخام. فإذا تناقضت النظرية مع البيانات المجمعة فيجب حينئذ تكرار عملية الترميز للتوفيق بين هذه المتناقضات أو التباينات غير المفسرة.

ثانيا: تحليل المحتوى أو المضمون: Content analysis

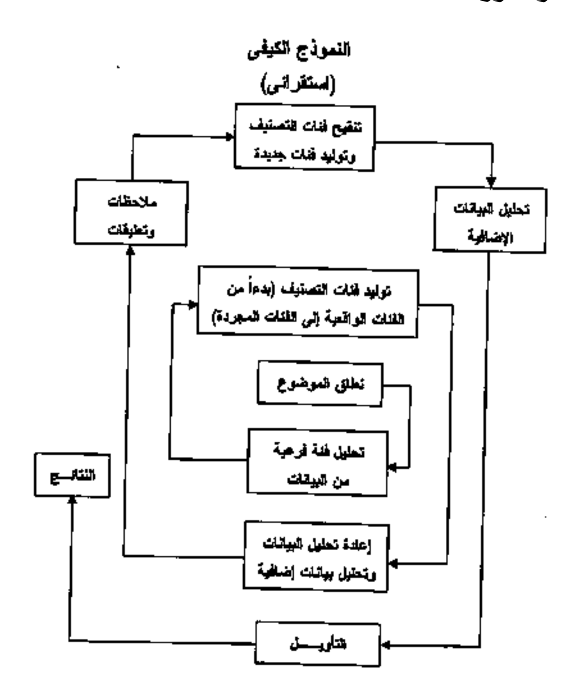
١. يحدد الباحث ويطبق القواعد لتقسيم كل نص إلى مقاطع أو "قطع" يمكن معالجتها كوحدات منفصلة للتحليل. وتسمى هذه العملية Unitizing. فعلى سبيل المثال، قد تشكل المفترضات أو العوامل التمكينية أو المعوقات المذكورة في النص هذه الوحدات.

٢. يقوم الباحث بإنشاء وتطبيق واحد أو أكثر من هذه المفاهيم على كل مقطع نصي متطور في عملية تسمى الترميز. ولأغراض الترميز هذا، يتم استخدام مخطط ترميز Coding diagram استنادًا إلى القضايا أو الموضوعات التي يبحث عنها الباحث أو يكتشفها أثناء تصنيفه للنص.

٣. أخيرًا ، يتم تحليل البيانات المرمزة كميا ونوعيا في غالب الأحيان وذلك لتحديد أي من الموضوعات التي تحدث بتكرار أكثر، وفي أي سياقات، وكيف ترتبط بكل منها.

ويذكر نويندورف (Neuendorf, 2001) كما هو مستشهد به في هس-بايبر و ليفي (Hiss-Biber and Leavy, 2011) أن الباحث يبدأ في تحليل المضمون بفحص البيانات المتعلقة بقضية معينة ثم يتساءل عنها ويتأمل فيها انطلاقا من موقفه الفكري. ثم يقوم الباحث بفحص علاقة هذه القضية بسؤال البحث. ولا يبدأ بفئات تصنيفية مسبقة

وإنما يقوم بتوليد فئات التصنيف باستخراجها مباشرة من البيانات. ويقوم الباحث بترتيب هذه الفئات بدءًا بالفئات الواقعية وانتهاءً بالفئات المجردة. ثم يقوم الباحث بإعادة التأمل في البيانات باستخدام فئات التصنيف الجديدة. ويقوم الباحث أيضا بكتابة الملاحظات والتدوينات والتعليقات على مدار هذه العملية من أجل تفسير البيانات وتأملها خلال إجراء البحث. ويتم كل ذلك بصورة استقرائية بمعنى فحص البيانات في سياقها الاجتماعي وعرض المعرفة البازغة بأساليب عديدة. ويمثل الشكل التالي خريطة مسار عملية تحليل المضمون كما رآها نويندورف (Neuendorf).



شكل ٢. خريطة مسار عملية تحليل المضمون

المصدر: هس-بايبر، شارلين و باتريشيا ليفي (٢٠١١) ، ص ٤٨٧ بتصرف عن:

Neuendorf, K. A. (2001). The Content Analysis Guidebook. Thousand Oaks, CA: Sage.

وهناك نوع بسيط من تحليل المحتوى يسمى "التحليل الشعوري Sentiment analysis" إذ أنه أسلوب يسعى لتحديد آراء واتجاهات الناس نحو شيء معين أو شخص

معين أو ظاهرة معينة. مثال هذا التحليل قراءة الرسائل عبر الإنترنت حول مرشح سياسي منشورة على منتدى عبر الإنترنت وتصنيف كل رسالة على أنها إيجابية أو سلبية أو محايدة. ويساعد هذا التحليل في التعرف على إذا ما كانت عينة معينة تحمل اتجاها إيجابيا أم سلبيا أم محايدا نحو هذا المرشح. وهناك مثال آخر يتمثل في فحص محتوى المراجعات عبر الإنترنت بطريقة مماثلة. وعلى الرغم من أنه يمكن إجراء هذا التحليل يدويًا، إلا أنه بالنسبة لمجموعات البيانات الكبيرة جدًا (ملايين السجلات النصية)، تتوفر برامج الكترونية لمعالجة اللغات الطبيعية وتحليلات النصوص لإتمام عملية الترميز، والاحتفاظ بسجل لكيفية تقلب مشاعر الناس مع مرور الوقت. ومن الانتقادات المتكررة لتحليل المحتوى أنه يفتقر إلى مجموعة من الإجراءات المنهجية التي تسمح بتكرار التحليل من قبل باحثين آخرين. وقد تناول شيلينج (Schilling, 2006) هذا النقد من خلال تنظيم إجراءات تحليلية مختلفة للمحتوى في نموذج حلزوني. يتكون هذا النموذج من خمسة مستويات أو مراحل في تفسير النص:

١. تحويل الأشرطة المسجلة إلى بيانات نصية خام أو نصوص لتحليل المحتوى.
٢. تحويل البيانات الخام إلى بروتوكولات مكثفة.
٣. تحويل البروتوكولات المكثفة إلى نظام فئوي أولي.
٤. استخدام نظام الفئة الأولية لإنشاء بروتوكولات مرمزة.
٥. تحليل البروتوكولات المرمزة لتوليد تفسيرات للظاهرة موضع الدراسة.

ولا شك أن تحليل المحتوى يواجه بعضا من القيود، فعلى سبيل المثال، تقتصر عملية الترميز على المعلومات المتوفرة في نموذج نصي كما هو الحال إذا كان الباحث مهتماً بدراسة وجهات نظر الأشخاص بشأن عقوبة الإعدام مثلا، ولكن لا يتوفر أرشيف للوثائق النصية، فلا يمكن حينئذ إجراء التحليل. كما يوجد هناك قيد آخر حيث يجب أن يتم أخذ العينات بعناية لتجنب تحيز أخذ العينات. ولكن إذا كانت شاملة الباحث هي البحوث المنشورة حول موضوع معين، فإن الباحث بذلك يكون قد حذف بشكل منهجي جميع الأبحاث غير المنشورة أو أحدث الأعمال التي لم يتم نشرها بعد.

ثالثا: التحليل التأويلي: Hermeneutic Analysis

يعتبر التحليل التأويلي نوعا خاصا من تحليل المحتوى حيث يحاول الباحث أن "يفهم Interpret" المعنى الذاتي لنص معين في نطاق سياقه الاجتماعي التاريخي. واختلافا عن النظرية المجذرة أو تحليل المحتوى اللذان يتجاهلان سياق النص ومعناه خلال عملية الترميز فإن التحليل التأويلي هو أسلوب فهمي بمعنى الكلمة لتحليل البيانات النوعية.

يفترض هذا الأسلوب أن النصوص المكتوبة تحكي خبرة المبحوث داخل نطاق خبرة تاريخية اجتماعية، ويجب أن تفهم كذلك داخل هذا السياق. ومن هنا فعلى الباحث أن يعاود باستمرار بين التفسير المفرد للنص (الجزء) والفهم الكلي للسياق (الكل) للتوصل لفهم أكمل للظاهرة في سياقها الموضعي، والتي أطلق عليها الفيلسوف الألماني مارتن هايديجار Martin Heidegger "الدائرة التأويلية". وتشير كلمة التأويل المفرد إلى طريقة أو حيلة معينة للتفسير.

وتعنى التأويلية بصفة عامة دراسة الفهم ونظرية "ممارسة الفهم." وهي قد نشأت أصلا من الدراسات الدينية واللغويات، حيث تعنى التأويلية الأصلية (مثل التأويلية الإنجيلية" تأويل النصوص المكتوبة وخاصة في مجالات الأدب والدين والقانون. وأتى هايديجار Heidegger في القرن العشرين وادعى أن الطريقة الأصيلة والمباشرة غير الوساطية لفهم الحقائق الاجتماعية هي الممارسة الفعلية لها وليس مجرد ملاحظتها واقترح بذلك الفلسفة التأويلية أو "التأويل الفلسفي Philosophical hermeneutics". ومن هنا حدث التحول نحو التركيز على الفهم الوجودي Existential understanding أكثر من الفهم أو التفسير Interpretation.

وقد ادعى هايديجار Heidegger أن النصوص هي الوسيلة التي لا يمكن للقراء من خلالها الاطلاع على تجربة المؤلف فحسب، وإنما يمكنهم أيضًا استرجاع تجارب المؤلف. وفي علم التأويل المعاصر أو الحديث طور طلاب هايديجار Heidegger، أمثال جادامير (Hans-Georg Gadamer) الذي بحث في نقائص النصوص المكتوبة في التعبير عن التجارب الاجتماعية، واستمر في اقتراح إطار للعملية الفهمية مشتملا أشكال الاتصال المكتوب واللفظي وغير اللفظي واستمر في استكشاف القضايا التي تحد من القدرة

الاتصالية للنصوص المكتوبة مثل الافتراضات المسبقة، والهياكل اللغوية (مثل قواعد اللغة، وبناء الجمل)، والسيميائية (أي دراسة العلامات المكتوبة مثل الرمزية، والاستعارة، والقياس، والسخرية). ويستخدم مصطلح التأويل في بعض الأحيان بالتبادل غير الدقيق مع مصطلح التفسير Exegesis، والذي يشير إلى التفسير أو التفسير النقدي للنصوص المكتوبة فقط وخاصة النصوص الدينية.

رابعا: البرامج الإلكترونية للتحليل النوعي

Computer Assisted Qualitative Data Analysis (CAQDAS)

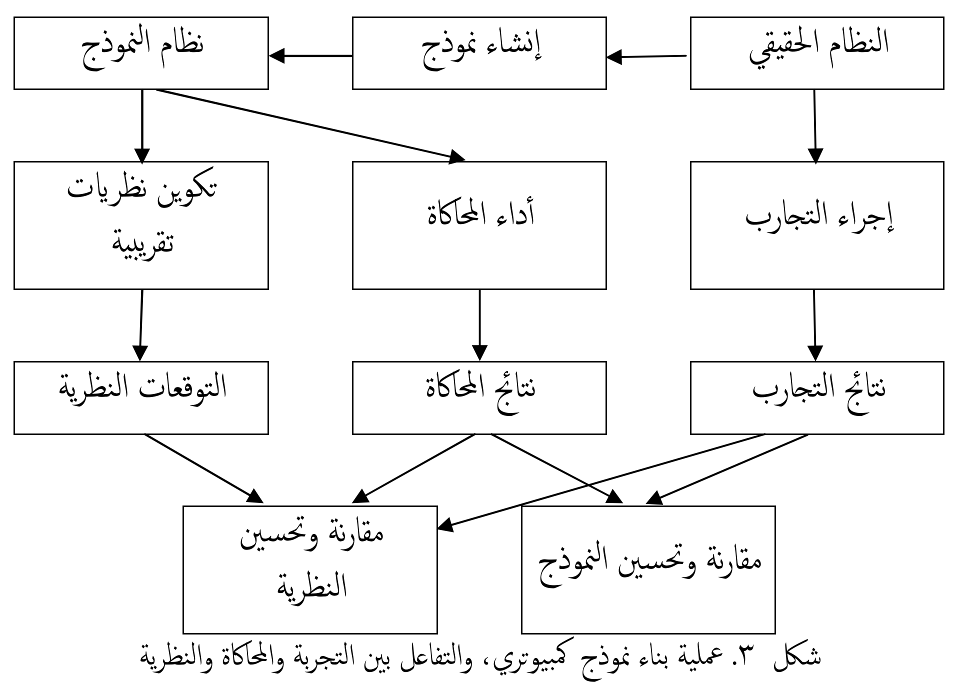
لقد ظهرت برامج إلكترونية عديدة للتحليل النوعي مثل ATLAS.ti.5, NVivo, and QDA Miner يمكن استعمالها لميكنة عمليات الترميز في طرق البحث النوعي. وتستطيع هذه البرامج وبسرعة فائقة أن تقوم بتنظيم وبحث وتصنيف ومعاملة أحجام ضخمة من البيانات النصية باستخدام قواعد يضعها الباحث نفسه. ولإدارة هذا التحليل الأتوماتيكي يجب على الباحث أن ينشيء مخطط ترميز، ويحدد الكلمات الرئيسية أو رموزا للبحث عنها في النص، بناءًا على الفحص اليدوي الأولي لنماذج البيانات النصية. ويمكن تنظيم المخطط بطريقة هرمية لتنظيم الرموز في رموز عالية المستوى أو بنيانات. ويجب التحقق من صحة مخطط الترميز باستخدام عينة مختلفة من النصوص للتأكد من دقتها وكفايتها. ومع ذلك، فإذا كان مخطط الترميز متحيزًا أو غير صحيح، فقد يكون التحليل الناتج لمجموع النص بأكمله معيبًا وغير قابل للتفسير. هذا ولا يمكن لبرامج الكمبيوتر فك رموز المعنى الكامن وراء بعض الكلمات أو العبارات أو السياق الذي يتم فيه استخدام هذه الكلمات أو العبارات (مثل تلك الموجودة في التهكم أو الاستعارات)، مما قد يؤدي إلى سوء تفسير كبير في حالات التحليل النوعي التي تتم على نطاق واسع.

الفصل السادس

دراسة الحـــالـة

مفهوم دراسة الحالة

تعتبر دراسة الحالة إحدى الطرق البحثية في العلوم الاجتماعية. ومن بين الطرق الأخرى: (١) أسلوب الملاحظة بالمشاركة Participant observation، (٢) تقارير المبحوثين Participants reports، (٣) المسح الاجتماعي Social survey، (٤) دراسة المجتمع المحلى Community study، (٥) الطريقة الإحصائية Statistical method، (٦) الطريقة التاريخية Historical method، (٧) طريقة الجماعات البؤرية Focus groups method، (٨) طريقة أو أسلوب ديلفي Delphi technique، (٩) الطريقة التجريبية Experimental method (جامع، ٢٠٠٩). ولا زالت هناك طرق أخرى نذكرها أيضا لأنها، كما سيتضح فيما بعد، يمكن إجراؤها ضمن طريقة الحالة من أجل التحقق من البيانات ودعم صدقها من خلال عملية التثليث Triangulation. ومن هذه الطرق الأخرى طريقة المحاكاة الكمبيوترية Computer simulation وهي إعادة إنتاج أو بناء نظام باستخدام الكمبيوتر من أجل محاكاة النتائج المتحصل عليها من النموذج الرياضي المتعلق بهذا النظام مما يساهم في التحقق من ثبات أو اعتمادية النماذج المنشأة (Strogatz, 2007).



شكل ٣. عملية بناء نموذج كمبيوتري، والتفاعل بين التجربة والمحاكاة والنظرية

المصدر:

Strogatz,2007. "The End of Insight," In Brockman, John, ed. What is your dangerous idea? Harper Collins. ISBN 9780061213950

ومن بين الطرق الأخرى كذلك طريقة البحث الإجرائي Action research والتي تم شرحها أعلاه، والتي تستخدم لحل مشكلة معينة، وقد تعتبر دراسة الحالة من هذا المفهوم جزءًا من البحث الإجرائي أو قد تكون إحدى طرقه. وهناك أخيرا الطريقة الإثنوجرافية Ethnography وهي دراسة الظاهرة في سياق ثقافتها، حيث ينغمس الباحث في ثقافة معينة لمدة طويلة قد تصل إلى سنوات خلالها يشارك ويلاحظ ويسجل مدوناته اليومية عن تلك الثقافة ثم ينظر ويعيد بناء النظرية حول تطور السلوك الاجتماعي في هذه الثقافة.

وعودا لدراسة الحالة يقدم هارلنج (Harling, 2012) واحدا من أفضل مفاهيم دراسة الحالة حيث يقول أن دراسة الحالة هي استعلام كلي شامل يبحث في ظاهرة كائنة في حدود سياقها الحياتي الطبيعي. يمكن أن تكون هذه الظاهرة أشياءً عديدة، برنامجا معينا، حادثة معينة، نشاطا معينا، مشكلة معينة، أو شخصا (أو أشخاصا) معينين. أما السياق

الحياتي الطبيعي فهو الظروف التي تتواجد فيها الظاهرة. ومن أهمية هذا السياق أن هناك عوامل كثيرة فيه تشكل وتؤثر على الظاهرة ومن ثم فلا يمكن الفصل بين الظاهرة وسياقها. وتعتبر الظاهرة وسياقها نظاما مرتبطا مقيدا بمعنى أنه توجد حدود لما يمكن أن يكون مرتبطا بهما أو غير مرتبط. وتتمثل هذه الحدود في الوقت، والمكان، والأحداث، والعمليات أو الأنشطة. أما الاستعلام الكلي الشامل فيتحقق من خلال جمع بيانات متعمقة وتفصيلية ثرية المحتوى وتشكل مصادر متعددة للمعلومات منها الملاحظة المباشرة، والملاحظة بالمشاركة، والمقابلة الشخصية، والمواد السمعية والبصرية، والوثائق، والتقارير، والمصنوعات المادية والتحف تساهم كلها في تعميق الدراسة.

ويؤكد جيرينج (Gerring, 2007) على أنه بالرغم من أن دراسة الحالة هي دراسة مكثفة لحالة واحدة إلا أن الهدف منها، ولو جزئيا على الأقل، هو تسليط الضوء على مجموعة أكبر من الحالات (المجتمع أو الشاملة Population)، وهنا عندما ينتقل التركيز إلى عينة من الحالات فهنا تصبح الدراسة دراسة مقطعية مقارنية Cross-case study. ومن هنا فهو يشير إلى أن دراسة الحالة يجب أن تكون موجهة صوب النظرية الاجتماعية وألا تكون إيديوجرافية صرفة. ومن ثم فيجب أن تستعمل دراسة الحالة لتكتشف وتضيء وتتعمق وتختبر الفروض البحثية حول اكتشاف أسباب وعواقب الظاهرة المدروسة. وقد أشار جيرينج (Gerring, 2004) إلى أنه قد تم الخلط بينما إذا ما كانت دراسة الحالة نوعا أو طريقة من طرق البحوث النوعية.

ويرى بعض الباحثين أن دراسة الحالة هو نوع من البحوث النوعية (Baxter and Jack 2008; Flyvbjerg, 2011; Sagadin 2004; Simons 2009; Stake 2005; Sturman 1997; Verschuren 2003) بينما يرى آخرون أنها طريقة من طرق البحوث النوعية (George and Bennett 2005; Gerring 2004). وفي تقدير المؤلف إن دراسة الحالة هي نوع من تصاميم البحوث النوعية كما سبق الذكر أعلاه.

هذا ويعرف ين (Yin, 1984: 23) بحث طريقة دراسة الحالة بأنها "استعلام امبيريقي يبحث ظاهرة معاصرة في حدود سياقها الحياتي الواقعي وذلك عندما تكون الحدود بين الظاهرة وسياقها غير واضحة وعندما توجد مصادر عديدة للاستدلال والبرهان."

ويذكر جامع (٢٠٠٩) أن دراسة الحالة "تستهدف فحص وتحليل الحياة الخاصة بأية وحدة اجتماعية شخصية إنسانية كانت أو عائلة أو منظمة أو مؤسسة أو ثقافة أو جماعة أو حتى مجتمع بأكمله. ويقوم الباحث فيها بمحاولة تحديد العوامل المسئولة عن الأنساق السلوكية المعقدة لهذه الوحدة وعلاقتها بالوحدات الأخرى المحيطة بها. وتتعدد مراجع البيانات في هذه الطريقة حيث قد تكون مثلاً التقارير الشخصية والمذكرات والخطابات والاعترافات وبيانات خاصة بتاريخ الحياة والتقارير الموجودة في المؤسسات الاجتماعية المختلفة. وعموماً يتميز هذا الأسلوب بالتفاصيل البياناتية الواسعة عن الوحدة الاجتماعية المراد دراستها، ولكن هذا في نفس الوقت يشكل صعوبة في عملية تفسير البيانات وبالذات التفسير الذي يتبع فيه الطريقة العلمية الإحصائية، حيث أنه من الصعب جداً ترقيم هذه البيانات وتحويلها إلى متغيرات عددية تلزم لإجراء التفسير العلمي.

ويذكر ميسيك (Mesec, 1998: 383) تعريفا مميزا لدراسة الحالة حيث يقول "دراسة الحالة هي وصف وتحليل لحالة فريدة بغرض تحديد المتغيرات والبنيانات والأشكال ومسارات التفاعلات بين المبحوثين في سياق معين (غرض نظري) أو من أجل تقييم الأداء أو تقدم العمل (غرض عملي)." ويشير إلى أن دراسة الحالة يمكن أن تحقق الغرضين في نفس الوقت.

ومن أكثر التعاريف تفصيلا ما ذكره ساجادين (Sagadin, 1991: 31) "تستعمل دراسة الحالة عندما نرغب في تحليل أو وصف كل شخص مثلا بطريقة منفردة (نشاطه، حاجاته الخاصة، سياقه الحياتي، تاريخ حياته... إلخ)، أو وصف جماعة من الناس (قسم مدرسي أو جامعي، جماعة من التلاميذ من ذوي الحاجات الخاصة، هيئة التدريس ... الخ)، أو منشأة معينة أو مشكلة معينة (أو عدة مشكلات)، أو عملية معينة، أو ظاهرة معينة، أو حادثة معينة في منشأة معنية بالتفصيل. وإذا بقينا في هذه الدراسة على مستوى الوصف هنا تكون دراسة الحالة نوعا من الطريقة الوصفية، ولكن إذا ارتقينا إلى مستوى السببية فإن دراسة الحالة تتوجه إذن نحو الطريقة السببية الإمبيريقية".

وقد ابتكرت سايمونز (Simons, 2009 :21) التعريف التالي لدراسة الحالة على أساس مراجعة أدبية نقدية سعت من خلالها للحصول على قواسم تعريفية مشتركة لدراسة الحالة

حيث قالت إن: "دراسة الحالة هي استكشاف متعمق من وجهات نظر متعددة من التعقيد والتفرد لمشروع معين أو سياسة أو مؤسسة أو برنامج أو نظام معين في "الحياة الحقيقية"، وأكدت أيضا أنه لا ينبغي اعتبار دراسة الحالة كطريقة بحثية في حد ذاتها وإنما هي إطار تصميم بحثي قد يتضمن عددا من الطرق. وبذلك فإن دراسة الحالة ليست اختيارًا منهجيًا، بل هي اختيار لما يجب دراسته بأي طريقة نختارها لدراسة الحالة. عند القيام بذلك، يمكننا دراستها تحليليًا وشموليًا وتوافقيًا وثقافيًا وبطرق مختلفة.

ومن ثم فيرى المؤلف الحالي أنه يمكننا أن نقول أن دراسة الحالة هي تحقيق امبيريقي يبحث ظاهرة، في زمن سابق، أو معاصرة في سياقها الحياتي الواقعي، وخاصة عندما تكون الحدود بين الظاهرة والسياق غير واضحة، وهي بذلك تتعامل مع موقف معين يحتوى على متغيرات معقدة عديدة مما يتطلب الاعتماد على مصادر وطرق مختلفة ومتعددة تشتمل على بيانات متعددة تحتاج للدمج والتقريب من خلال عملية التثليث Triangulation، كما تتعامل دراسة الحالة مع فروض النظرية الاجتماعية السائدة وتستفيد منها من أجل توجيه جمع وتحليل البيانات المتحصل عليها من دراسة الحالة. ويمكن لدراسة الحالة أن تستخدم بطريقة وضعية لغرض اختبار النظرية أو بطريقة تفسيرية أو فهمية لغرض بناء النظرية.

ويقول بينيت (Bennitt, 2015) أن طرق دراسة الحالة كانت موجودة عبر التاريخ المسجل، وأنها تمثل حاليا جزءًا كبيرا من الكتب والمقالات المنشورة في علوم الأنثروبولوجي، والبيولوجي، والاقتصاد، والتاريخ، والسياسة، والسيكولوجي، والاجتماع، والعلوم الطبية.

ونجد في العصر الحاضر، بالإضافة إلى ما سبق من عصور، أن دراسات الحالة قد جذبت اهتمام الباحثين الاجتماعيين لدرجة أنها الآن تستخدم في مجالات يصعب حصرها منها فقط ما يلي على سبيل المثال:

١. البيوجرافيا الصحية أو التاريخ الصحي للأفراد.
٢. مهن سوق العمل.
٣. العمليات الإنتاجية.

٤. الابتكارات في المنظمات والشركات.
٥. أعمال الشغب والإضرابات والمسيرات الاحتجاجية.
٦. إجراءات الاختيار أو الترشيح.
٧. طقوس المرور لسن الرشد.
٨. الاندماجات الصناعية.
٩. اتخاذ القرارات الجماعية.
١٠.إجراءات ومعايير الرعاية الجيدة.
١١.محاولات التخلص من البيروقراطية في دمج قطاع الخدمات العامة.
١٢.الجهود المشتركة بين المنظمات لمكافحة تعاطي المخدرات.
١٣.عمليات تنفيذ السياسة الحكومية.
١٤.تشكيل التحالف أو إنهاء الحرب بين دول العالم.
١٥.عمليات التنشئة الاجتماعية.
١٦.الحملات الانتخابية.
١٧.أسباب الحوادث المرورية.
١٨.آثار القيود المفروضة على "مجال السياسة" لصانعي السياسات.

وحتى عهد قريب أدى عدم تقنين منطق دراسة الحالة إلى ضعف ظهور مزاياها من أجل التحديث التراكمي للنظريات الاجتماعية. وتمكن الباحثون في العقود الثلاثة الماضية من تقنين منطق دراسة الحالة وربطه بالقضايا الخاصة بفلسفة العلم. وقد حاول الباحثون في محاولاتهم لتقنين دراسة الحالة اختلاس أو إساءة استخدام مصطلحات ومفاهيم من علم الإحصاء. وتطورت الدراسات النوعية الحالية حديثا نتيجة مقارنتها بالبحوث الإحصائية الكمية لكي يعترف بها إيجابيا نظرا لمنطقها المتميز والميزات النسبية لأساليبها. وقد أصبح من الواضح تماما أن الميزات النسبية لطريقة دراسة الحالة مع الأساليب الإحصائية أصبحا مكملين ومحققين لتقدم علمي أفضل معا عما هو الحال لأي منهما على انفراد.

ومن الأمور التى أدت إلى عزوف الباحثين عن دراسة الحالة والبحوث النوعية اعتقادهم بأنها تفتقد الدقة والمنهجية العلمية، ولا يمكن تعميم نتائجها، كما لم يتضح لديهم التمييز بين دراسات الحالات التدريسية وبحوث دراسة الحالة، كما أنها طويلة وذات نتائج ضخمة

ووثائق لا يمكن قراءتها أو الاستفادة منها، بالإضافة إلى عدم تقنين إجراءات جمع بياناتها (Yin, 2014).

وفي هذا السياق يجب التمييز بين بحوث دراسة الحالة والبحوث النوعية، فدراسة الحالة يمكن أن تعتمد على البراهين الكمية بجانب التحليلات النوعية. وتتميز بحوث دراسة الحالة بأنها تتعامل مع مواقف فريدة متميزة وتستعلم عن متغيرات كثيرة تفوق ما تشير إليه البيانات، ولذلك فهي تحتاج إلى تعدد مصادر البيانات وتستند إلى النظرية القائمة وتستفيد من فروضها التي يمكن أن تساهم في تعديلها أو دعمها أو رفضها.

ويخاطب الكاتب الحالي طلاب العلوم الاجتماعية في مرحلة الليسانس والبكالوريوس وفي مرحلة الدراسات العليا، وكذلك يخاطب شباب الباحثين في الجامعات والمراكز البحثية من حملة الماجستير والدكتوراه في مجالات الاجتماع والأنثروبولوجيا والسيكولوجيا والسياسة والاقتصاد والإدارة العامة وإدارة الأعمال وغيرها من المجالات المرتبطة وذلك من أجل المساعدة في استخدام البحوث النوعية ودراسة الحالة بصفة خاصة في مساعيهم من أجل تطوير المعرفة العلمية في مجالاتهم الخاصة، ذلك لما تزخر به دراسة الحالة من مميزات غابت عن عقول المختصين في منطقتنا العربية والإفريقية نظرا لسيطرة المنهج الوصفي والكمي، تحت غطاء الوضعية Positivism، على أبحاثهم وبحكم سابق إعدادهم الأكاديمي مع الوهن، المبرر أحيانا وغير المبرر أحيانا أخرى، في متابعة التطور العلمي الهائل والاستخدام المتكاثف للبحوث النوعية ودراسة الحالة في الدول المتقدمة بعد إدراك كنوزها ومزاياها في الأدب العلمي المعاصر للعلوم الاجتماعية.

وفي هذا المجال فنحن ندين جميعا لرواد هذا التحول نحو البحوث النوعية ودراسات الحالة وخاصة من المعاصرين منهم أمثال (Yin, 2014; Eisenhardt, 1989; Emmel, 2013; Stake, 1995; Gerring, 2004, 2007; Mills, 2010; Seawright, and Gerring 2008; Miller, 2018; Putney, 2010; Simons, 2009) ولا زال هناك آخرون كثيرون يضيق المجال عن ذكرهم.

تاريخ دراسة الحالة

نظرا لأن دراسة الحالة قد نبعت أو انبثقت من العديد من أنواع التراث العلمي فإننا نجد أن مصطلح "دراسات الحالة Case studies" قد استخدم من أجل أغراض عديدة. ولذلك فنحن نواجه بآراء أو مواقف مختلفة نحو بحوث دراسة الحالة. ويتضح ذلك من نظرة سريعة إلى الكتب الكلاسيكية الشائعة في هذا المجال مثل (Glaser and Strauss (1967); Stake (1995); Yin (1994, 1989) and Miles and Huberman 1984, 1994)، حيث نجد استخدامات مختلفة مثل "تقرير الحالة Case report"، "تاريخ الحالة Case history"، "سيرة الحالة Case biography"، "دراسة الحالة"، و "طريقة الحالة Case method". وقد انبثقت دراسة الحالة من تطور كل من الأدبيات التالية:

١. لقد واكبت دراسة الحالة نمو وتطور علوم كثيرة مثل العلوم الصحية والعلاج النفسي السريري والقانون. وكانت عمليات وصف وشرح خصوصيات الحالة تسبق التعميم، أو تكون جزءًا من خطوات نحو التعميم. وقد لعبت الحالات دورا مهما كأداة تعليمية في تدريس هذه التخصصات. ويمكن ملاحظة اتجاه مماثل في مجالات تم تطويرها لاحقًا، مثل العلوم السياسية والدراسات المنظمية.

٢. لقد تشكل مصدر مهم للإلهام في العلوم الاجتماعية من خلال الدراسات التقليدية للقرية أو البيئة المحلية في علم الأنثروبولوجيا الثقافية (مالينوفسكي Malinowski، مارجريت ميد Margaret Mead، وغيرهما الكثير).

٣. كانت مدرسة شيكاجو الاجتماعية المصدر الثالث والمهم والذي انبثقت منه دراسة الحالة وخاصة الدراسة الشهيرة "مجتمع الناصية الشارعية Street Corner Society" (White, 1941) ودراسة "قاعة رقص التاكسي The Taxi Dancing Hall" (Cressey, 1932) ودراسة "الأولاد ذوي اللون الأبيض Boys in White" (Becker, et. al., 1961).

٤. دراسات سيغموند فرويد Sigmund Freud وغيره من المحللين النفسيين في مجال علم النفس. ونشأت لاحقا دراسة الأفراد (الحالات) في مجالات أخرى مثل علم نفس الشخصية وعلم النفس السريري.

٥. في الآونة الأخيرة، استخدمت دراسة الحالة في العديد من المجالات السياساتية (مثل الخدمة الاجتماعية، ودعم الشباب، ووسطاء سوق العمل، ودمج الأقليات العرقية). ولا يُنظر إلى دراسة الحالة في هذه المجالات على أنها اعتراف بالضعف، كما هو الحال في بعض المجالات، ولكن كأحد الاستراتيجيات المركزية للبحث.

٦. ازدياد الغموض حول دراسة الحالة في العقود الأخيرة نظرا لتغير طبيعة دراسة الحالة مع التطور الحديث في العلوم السلوكية. فبينما كانت هذه العلوم تركز في السابق على المدخل النوعي الاستكشافي تغير التركيز فيها نحو البحوث التطبيقية، فأصبحنا نرى انتشار مصطلحات مثل "التجربة السياساتية Policy experiment" و "البحوث التقييمية Evaluation research"، حيث تستخدم دراسة الحالة كاستراتيجيتها البحثية المفضلة. ومن التطورات الحديثة أيضا والتي غيرت من طبيعة دراسة الحالة تطور الدمج بين المداخل النوعية والمداخل الكمية البحثية.

أنواع دراسة الحالة

بعد أن يقرر الباحث أن الطريقة المثلى للإجابة على سؤاله (أو تساؤلاته) البحثية هي الدراسة النوعية للحالة (أو الحالات)، وبعد اختيار الحالة وتحديد حدودها فهنا يلزم تحديد نوع دراسة الحالة التي سيتم إجراؤها. وهذا بدوره يتحدد بمعرفة الهدف العام من الدراسة، وذلك إذا ما كنا على سبيل المثال نرغب في وصف الحالة، أو استكشافها، أو المقارنة بين الحالات.

ويستخدم الباحثان ين (Yin, 2003) و ستيك (Stake, 1995) مصطلحات مختلفة لوصف أنواع معينة من دراسات الحالة. يحددها ين (Yin) بالتفريق بين دراسة الحالة التفسيرية Explanatory، والاستطلاعية أو الاستكشافية Exploratory، والوصفية Descriptive، كما يفرق بينها أيضا بمنظور مختلف حيث يفرق بين دراسة الحالة الواحدة والشاملة، ودراسة الحالات المتعددة. أما ستيك (Stake) فيميز بين دراسة الحالة الداخلية

Intrinsic، والأدائية Instrumental، والجماعية Collective. ويتضح ذلك في الجدول التالي:

جدول ٦. أنواع دراسة الحالة

النوع	التعريف
التفسيرية Explanatory	هي ذلك النوع من دراسة الحالة التي تستخدم عند الإجابة على سؤال يستعلم عن الروابط السببية في الحياة الواقعية والتي يتعدى تعقيدها استخدام الدراسة المسحية أو التجريبية (Yin, 2003).
الاستطلاعية Exploratory	يستخدم هذا النوع من دراسة الحالة عند الرغبة في استكشاف المواقف التي لا تبدو واضحة والتي يمكن أن تتعدد آثارها ونتائجها (Yin, 2003).
الوصفية Descriptive	تستخدم لوصف ظاهرة معينة في سياقها الحياتي الواقعي الذي تحدث فيه (Yin, 2003).
دراسة الحالات المتعددة Multiple-case study	تستخدم الحالات المتعددة عند رغبة الباحث في استكشاف الفروق داخل الحالة أو بين الحالات. والغرض هنا هو تكرار النتائج عبر الحالات المتعددة. ونظرا لإجراء المقارنات هنا فعلى الباحث أن يختار حالاته المتعددة بعناية حتى يتمكن من توقع النتائج المتشابهة عبر الحالات المتعددة أو أن يتوقع النتائج المتناقضة عبر الحالات اعتمادا على النظرية الاجتماعية السائدة (Yin, 2003).
الفريدة Intrinsic	يستخدم هذا النوع عندما يكون للباحثين رغبة عميقة خاصة في حالة معينة، ولا يهم في هذا النوع أن تكون الحالة ممثلة لحالات أخرى، أو أن تكون موضحة لخاصية أو مشكلة محددة ولكن لخصوصيتها الفريدة. والغرض هنا ليس الخروج بنمط نظري أو دراسة ظاهرة عامة، وليس الغرض أيضا بناء النظرية بصورة خاصة. (Stakes, 1995)

الأدائية Instrumental	يسنحدم هذا النوع عند الرغبة في تحقيق شيء يختلف عن فهم موقف معين، حيث أنه يستخدم لغرض التمعن في قضية معينة أو للمساعدة في التحقق من النظرية. الحالة نفسها ليست هي المقصد الأساسي، ولكنها تلعب دورها الداعم لتسهيل فهمنا لشيء آخر. وعادة ما تدرس الحالة بعمق، ويُمحص في سياقها، ويُفصل في أنشطتها العادية لأن ذلك كله يساعد الباحث في تحقيق غرضه الخارج عن الحالة نفسها. وهنا لا ينظر إلى الحالة على أنها ممثلة أوغير ممثلة لحالات أخرى (Stakes, 1995).
الجماعية Collective	تشابه دراسات الحالة الجماعية دراسات الحالات المتعددة وذلك من حيث طبيعتها وصفاتها (Yin, 2003).

وقد أضاف سكابينز ((Scapens, R. W. (1990) نوعين آخرين هما دراسة الحالة التوضيحية Illustrative case study ودراسة الحالة التجريبية Experimental case study.

وقد قدم ساجادين (Sagadin, (2004) مساهمة واضحة وشاملة فيما يتعلق بالتصنيفات المختلفة لدراسات الحالة التي ستُستكمل ببعض التحذيرات الإضافية.

وبالنسبة لدراسات الحالة الأحادية والمتعددة، يقترح توماس (Thomas 2011: 517) تصنيفًا إضافيًا لنوع البعد الزمني:

١. **دراسات الحالة بأثر رجعي** Retrospective case studies: وهي أبسط نوع من الدراسة، حيث تنطوي على جمع البيانات المتعلقة بظاهرة سابقة من أي نوع. يبحث الباحث عن ظاهرة أو موقف أو شخص أو حدث ويدرسه في سياقه التاريخي.

٢. **دراسات اللقطة:** Snapshot studies يتم فحص الحالة في فترة زمنية معينة، مثل حادثة حالية، أو يوم في حياة شخص، أو مذكرات، وما إلى ذلك، سواء في الشهر أو الأسبوع أو اليوم أو حتى في فترة قصيرة كساعة، ويتم التحليل بمساعدة التقاطع الزمني

للأحداث. مع تطور اللقطة، تعرض الصورة نفسها على شكل جشطالت (مجال) في إطار زمني محكم.

٣. **الدراسات الزمنية:** Diachronic studies وهي تتعلق بدراسة الحالة على مر الزمن مماثلة للدراسات الطولية Longitudinal studies.

٤. **الدراسات المتداخلة:** Nested studies وهي تتضمن المقارنة بين العناصر داخل حالة واحدة (العناصر المتداخلة). ويكون التقسيم أو التصنيف في الدراسات المتداخلة داخل الوحدة الرئيسية للتحليل. وتختلف الدراسة المتداخلة عن دراسة الحالات المتعددة من حيث أنها تكتسب كيانها وشمولها من الحالة الأكبر. فعلى سبيل المثال، قد يلاحظ الباحث ثلاثة أجنحة داخل مستشفى واحد تختلف في نظامها الإسكاني في المستشفى. ففي هذه الحالة لن تعتبر هذه الحالة متداخلة، لأن العناصر متداخلة فقط عندما تشكل جزءًا لا يتجزأ من صورة أوسع. في هذه الحالة، تتم ملاحظة الأجنحة من أجل تقديم صورة أوسع عن كيفية تأثيرها على رفاهية المرضى، وعلى شكل أجندة المستشفى، وعلى العلاقات والمواقف بين الأجنحة والمرضى، وعلى الموظفين.... إلخ.

٥. **الدراسات المتوازية:** Parallel studies تتم دراسة الحالات كلها في وقت واحد.

٦. **الدراسات المتتالية:** Sequential studies تدرس الحالات واحدة تلو الأخرى، حيث يفترض أن ما يحدث في وقت معين يمثل عاملا متداخلا يؤثر بطريقة ما على ما سيحدث بعد ذلك.

ولا زال هناك آخرون مثل جورج و بينيت (George and Bennett, 2005: 75-76) يقدمون ستة أنواع من دراسة الحالة حسب معيار إذا ما كانت هذه الأنواع تساهم في بناء أو توليد النظرية أم لا:

١. **دراسات الحالة اللانظرية/التكوينية:** Atheoretical confingurative case studies وهي دراسات حالة توضيحية لا تتراكم ولا تساهم بشكل مباشر في النظرية.

٢. **دراسات الحالة التكوينية المنضبطة:** Disciplined configurative case studies وهي الدراسات التي تستخدم النظريات المقبولة لشرح الحالة.

٣. **دراسات الحالة الاستكشافية:** Heuristic case studies وهي التي تحدد مسارات جديدة غير متوقعة. وفي مثل هذه الدراسات قد تكون الحالات الهامشية أو المنحرفة أو البعيدة مفيدة بشكل خاص.

٤. **دراسات الحالة الخاصة بالاختبار النظري:** Theory building case studies وهي دراسات تقيّم صحة ونطاق شروط النظريات الفردية أو المتنافسة.

٥. **دراسات تقييم المعقولية:** Plausibility probes وهي دراسات مبدئية تستخدم لتحديد ما إذا كان هناك ما يبرر إجراء مزيد من الفحص أم لا.

٦. **دراسات "العنصر الأساسي":** Building Block studies وهي دراسات لأنواع معينة أو أنواع فرعية لظاهرة ما، والتي عندما تُجمع تسهم في بناء نظرية أكثر شمولاً.

متى نستخدم دراسة الحالة؟

يقول ين (Yin, 2003)، كما يتفق معه هارلنج (Harling, 2012) أنه يمكن استخدام تصميم دراسة الحالة في الحالات التالية: (أ) عندما يكون الهدف من الدراسة وتركيزها على إجابة السؤالين كيف؟ و لماذا؟ (ب) عندما لا يمكن التحكم في سلوك المبحوثين. (ج) عندما يراد تغطية الظروف السياقية المعتقد بأنها ترتبط بالظاهرة المراد دراستها. (د) في حالة عدم وضوح الحدود بين الظاهرة المراد دراستها والسياق الذي تتواجد فيه. (هـ) أن حين تتطلب دراسة ظاهرة معينة تحقيقا شاملا لها مما يتطلب تعمقا شاملا يستلزم جمع بيانات تفصيلية عميقة شاملة ثرية المحتوى من مصادر متعددة تشمل الملاحظة بالمشاركة، والمقابلات الشخصية، المواد السمعية والبصرية، الوثائق، والتقارير، والتحف والمصنوعات المادية، وذلك حسبما يقول هارلنج (Harling, 2012).

وعلى سبيل المثال تتوافر هذه الظروف كلها في حالة دراسة الاقتصاد غير الرسمي Informal economy حيث نجد أن العاملين في هذا النشاط يتأثر نشاطهم فيه

بالظروف الأسرية التي قد تشجع أو تيسر اختيار نوع معين من النشاط، كما يتأثر النشاط نفسه واختياره بالطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها العامل في هذا النشاط، كما يتأثر النشاط بطبيعة المجتمع المحلي والقيم الشخصية والمجتمعية السائدة في المجتمع نفسه أو لدي شخصية العامل نفسه.

مواطن القوة ومواطن الضعف في دراسة الحالة

مواطن القوة: تتميز بحوث دراسات الحالة بمواطن قوة فريدة لا تتوافر في البحوث التجريبية أو المسحية وهي كما يلي:

أولا: يمكن أن تستخدم دراسة الحالة إما لبناء النظرية أو لاختبار النظرية بينما لا تقوى الطرق الوضعية إلا على اختبار النظرية فقط. هذا ولا يلزم لنا في البحوث الفهمية أو التفسيرية Interpretive case research سابق المعرفة بالبناء النظري المتعلق بهدف الدراسة حيث أنه يمكن أن ينشأ من البيانات مع الاستمرار في البحث.

ثانيا: يمكن تعديل أسئلة البحث أثناء عملية البحث إذا تبين أن الأسئلة الأصلية أقل أهمية أو ارتباطا بالمشكلة البحثية، وهذا لا يمكن إجراؤه مع الطرق الوضعية بعد جمع البيانات.

ثالثا: يمكن لدراسة الحالة أن تستنبط تفسيرا للظاهرة المراد دراستها يكون أكثر ثراءًا، وأكثر ارتباطا بالسياق المحيط بالظاهرة، وأكثر أصالةً أو صدقاً مما هو الحال في معظم الطرق البحثية الأخرى وذلك نظرا لقدرتها على تحصيل مجموعة من البيانات السياقية.

رابعا: يمكن أن تدرس قضية البحث من خلال وجهة نظر العديد من المشاركين أو المبحوثين، وكذلك باستخدام مستويات تحليل متعددة (مثل الأفراد والمنظمات).

وقد أشار جورج و بينيت (George and Bennett, 2005: 19) إلى أن دراسات الحالة تكون قوية بوجه عام على وجه التحديد عندما تكون الدراسات الكمية أضعف. وقد حدد أربع مزايا لدراسات الحالة مقارنة بالطرق الكمية: قدرتها على تحقيق صدق أو صحة فهمية عالية، وإجراءات قوية لبناء فرضيات جديدة، وفائدتها في دقة دراسة الدور

المفترض للآليات السببية في سياق الحالات الفردية، وأخيرا، النمذجة وتشخيص العلاقات السببية المعقدة. وفيما يلي شرح لهذه المزايا الأربع:

أولا: الصدق الفهمي: Conceptual validity يشير الصدق الفهمي إلى تحديد وقياس المؤشرات التي تقدم المفاهيم النظرية التي يريد الباحث قياسها. ويصعب قياس العديد من المتغيرات التي يهتم بها علماء الاجتماع، مثل الديمقراطية، والسلطة، وما إلى ذلك. لذلك يتعين على الباحث إجراء "مقارنة سياقية"، والتي تبحث تلقائيًا عن ظواهر مكافئة تحليليًا حتى ولو تم التعبير عنها بعبارات وفي سياقات مختلفة. ويتطلب ذلك دراسة تفصيلية للعوامل السياقية، وهو أمر صعب للغاية في البحث الكمي ولكنه شائع جدًا في دراسات الحالة. وبينما يتعرض البحث الكمي لخطر "الامتداد المفاهيمي Conceptual stretching" من خلال الجمع بين الحالات المتباينة للحصول على عينة أكبر، فإن دراسات الحالة تسمح بإجراء تحسينات فهمية بمستوى صحة وصدق أعلى على عدد أقل من الحالات (George and Bennet, 2005: 19).

ثانيا: استنباط الفروض البحثية الجديدة: Deriving new hypotheses تعتبر دراسات الحالة مناسبة للغاية لخدمة الغرض الاستكشافي للتحديد الاستقرائي لمتغيرات إضافية وافتراضات جديدة. وتفتقر الدراسات الكمية إلى إجراءات لتوليد فرضيات جديدة بشكل حثيث. علاوة على ذلك، يمكن لدراسات الحالة تحليل الأحداث المعقدة نوعيًا وتأخذ في الاعتبار العديد من المتغيرات لأنها لا تتطلب العديد من الحالات أو عددًا محدودًا من المتغيرات. ولا يقتصر الباحثون في دراسة الحالة على المتغيرات الكمية الجاهزة أو المتاحة أو مجموعات البيانات الموجودة مسبقًا والمحددة جيدًا (ibid.: 45). ويمكن استخدام البحث الكمي لتحديد الحالات المنحرفة التي قد تؤدي إلى فرضيات بحثية جديدة ولكن، في حد ذاتها، تفتقر إلى أي وسائل واضحة للتحديد الفعلي لفرضيات جديدة. وبدون فحص إضافي، مثل المقابلات المفتوحة، لا يمكن العثور على وسائل استقرائية لتحديد المتغيرات المحذوفة (ibid.; 21).

ثالثا: استكشاف الآليات السببية: Exploring causal mechanisms تبحث دراسات الحالة في كيفية عمل الآليات السببية في الحالات الفردية بالتفصيل. وفي داخل

الحالة الواحدة ينظر الباحث إلى عدد كبير من المتغيرات المتداخلة ويلاحظ بطريقة استقرائية أي جانب غير متوقع من تأثير أي متغير سببي معين كما يحاول تحديد الظروف الموجودة التي تفعل الأثر السلبي للمتغيرات السببية. وهنا تفتقر الدراسات الكمية إلى هذه السببية. ففي الوقت الذي تتضمن فيه البحوث الكمية العلاقات السببية فإنها لا تقدر على مراعاة العوامل السياقية غير تلك المقننة ضمن المتغيرات التي يتم قياسها.

رابعا: النمذجة وتشخيص العلاقات السببية المعقدة: Modelling and assessing complex causal relations تستطيع دراسات الحالة أن تتعامل مع العلاقات السببية المعقدة مثل "حتمية التشابه النهائي (كما سماها جامع من قبل) Equifinality" (أي كل الطرق تؤدي إلى روما)، كما تستطيع دراسات الحالة التعامل مع آثار التفاعل التآزري المعقد، وأخيرا "الاعتماد الممري Path dependency" (George and Bennett, 2005: 22). وتعتبر هذه المزايا أمرا نسبيا. وتتعامل دراسات الحالة مع حتمية التشابه النهائي من خلال بناء تعميمات أضيق نطاقا وأكثر ارتباطا بالسياق.

وتمتلك دراسات الحالة مزايا إضافية، فالإرتباط بالحياة الواقعية اليومية وتعدد العناصر الفردية والتفصيلية تعتبر أمورا هامة للباحثين من وجهتى نظر معينتين: أولا، القدرة على امتلاك أكثر من وجهة نظر للواقع الاجتماعي بما في ذلك إدراك أن سلوك الإنسان لا يمكن أن يفهم على أنه مسير بقاعدة أو نظرية معينة. ثانيا، تستطيع دراسة الحالة أن تساهم في تطوير المهنية لدي الباحث حيث أنها كما قال فليبجيرج (Flyvbjerg, 2006: 223) يمكن أن تمكنه من خبرات محددة تكون مرتبطة بالسياقات المختلفة مما تزيد من مهاراته البحثية.

مواطن الضعف في دراسات الحالة: لا تخلو دراسة الحالة من بعض مواطن الضعف الموروثة منها:

أولا: نظرا لعدم استخدام التحكم أو الضبط التجريبي فإن الصدق الداخلي للاستدلالات يبقى ضعيفا. ويراعى هنا أن هذا العيب يتواجد في جميع طرق البحث الأخرى عدا الطريقة التجريبية. ومع ذلك، فإن عملية الضبط هذه يمكن علاجها في بحوث دراسة الحالة باستخدام تصميمات الضبط الطبيعي Natural controls.

ثانيا: تعتمد صحة الاستدلالات في دراسة الحالة بدرجة كبيرة على القدرة التكاملية أو التكوينية للباحث فقد يرى باحث متمرس مفاهيم وأنماطا في بيانات الحالة قد يغفلها باحث مبتدئ، ومن ثم فيمكن نقد النتائج في بعض الأحيان باعتبارها ذاتية.

ثالثا: يصعب تعميم النتائج إلى سياقات أخرى أو منظمات أخرى نظرا لأن الاستدلالات تكون شديدة الارتباط بسياق الحالة موضوع الدراسة.

هذا وقد انتقد بنباسات وآخرون (Benbasat et. al., 1987) دراسة الحالة من خلال الأخطاء التي يمكن أن يقع فيها الباحثون كما يلي:

أولا: عدم البدء بأسئلة بحثية محددة مما يؤدي إلى عدم الوصول لإجابات محددة أو استدلالات عميقة.

ثانيا: اختيار منطقة البحث على أساس التوافر وسهولة الوصول إليها وليس على أساس المطابقة مع أسئلة البحث، ومن ثم فلا يمكن الإجابة على أسئلة البحث المستهدفة.

ثالثا: كثيرا ما لا يقوم الباحثون بالتحقق من صدق البيانات المجمعة من خلال عملية التثليث واستخدام الوسائل البحثية المتعددة مما يؤدي إلى تفسير متحيز بناءً على استجابات مبحوثين متحيزين.

رابعا: لا تعرض كثير من الدراسات تفاصيل كاملة عن كيفية جمع البيانات (مثل أسئلة المقابلة الشخصية، ما هي الوثائق المستخدمة، ما هي خصائص المبحوثين...إلخ).

خامسا: بالرغم من قوة دراسة الحالة وصلاحيتها للدراسات الطولية Panel studies فإن كثيرا من دراسات الحالة لا تلجأ إلى متابعة الحالة على فترات زمنية وإنما يتم الاكتفاء بالدراسات المقارنية والمحدودة للعمليات والظواهر التنظيمية ذات الطبيعة الزمنية.

هذا ولا تعني مواطن الضعف هذه أنه لا يمكننا مواجهتها والتدنية من شأنها بدرجة كبيرة. فكما سيتضح فيما بعد، وخاصة في الفصل التاسع الذي يتناول توجهات دعم الثقة في دراسة الحالة، أن تقوية ثقوية أو صدق الدراسات النوعية عموما ليس كما هو الحال في الدراسات الكمية يعبر عنه بالوجود من عدمه، بمعنى أنها تكون إما صادقة أو غير صادقة، وإنما يجب النظر إلى الدراسة النوعية عند التحقق من صدقها أو دعمه أن نفكر في أن كل دراسة

تحتوى على العديد من المقولات المختلفة، كل منها قد يكون صادقا أو قد لا يكون كذلك، وأن الهدف من دعم الصدقية هنا هو محاولة تحقيق الصدقية لأكبر عدد ممكن من هذه المقولات، ومن ثم يمكن تحقيق صدقية الدراسة كلها. ولو كانت قضيتا الصدقية والموثوقية يسهل تناولهما في البحوث الكمية وفي ظل منظور الوضعية لما احتجنا إلى البحث الدائم واللامتناهي عن الحقيقة المطلقة. وليس هذا فقط في إطار العلوم الاجتماعية، وإنما يكشف العلم الطبيعي دائما عن خطئية مكتشفات سابقة، فقد كذب أينشتاين بنظرية النسبية نطرية الأثير المضيء، كما ثبت خطأ نظرية اللائحة البيضاء أو السجل الفارغ بإثبات دور الوراثة في البناء الجسدي والمعرفي لدي الإنسان حيث لا يولد الإنسان بلائحة بيضاء أو سجل فارغ يتم تكوين خصائصه الشاملة بالخبرة والمعايشة والاكتساب، كما ثبت خطأ نظرية الكون الثابت التي اقترحها أينشتاين عام ١٩١٧ عن طريق اكتشافات إدوين هابل التي أظهرت أن الكون يتمدد، ولا زال هناك الكثير مما يصعب حصره في هذا المقام.

الفصل السابع

موقف الباحثين من دراسة الحالة وبعض المفاهيم الخاطئة حولها

موقف الباحثين من دراسة الحالة

لقد أشرنا من قبل إلى أن بحوث دراسات الحالة والبحوث النوعية بوجه عام لا تلقى ذلك القدر من التقييم ليس فقط لدي الباحثين المصريين ولكن على مستوى العالم، وهذا ما جعل جيرنج (Gerring, 2004: 341) يقول أن دراسة الحالة تتواجد في طي النسيان المنهجي الغريب، والذي يعتقد أنه ناجم عن عدم فهم هذه الطريقة. لذلك سعى فليبجيرج (Flyvbjerg, 2006; 2011) إلى حل هذه المفارقة وذلك من أجل تحقيق قبول وتطبيق أوسع لبحوث دراسات الحالة. وقد حدد خمسة مفاهيم لسوء الفهم حول دراسات الحالة والتي تقوض من مصداقية وتطبيق هذا النوع من البحث. وتتعلق هذه المفاهيم المغلوطة في المقام الأول بالنظرية والموثوقية والصلاحية:

١. المعرفة النظرية العامة (المنفصلة عن السياق) أكثر قيمة من المعرفة العملية المحددة (المرتبطة بالسياق).

٢. من المستحيل التعميم على أساس حالة واحدة، ومن ثم فلا تستطيع بحوث دراسات الحالة أن تساهم في التطور العلمي.

٣. دراسات الحالة أكثر فائدة عند توليد أو استنتاج الفروض البحثية (وذلك في المرحلة الأولى من عملية البحث العلمي الكلية)، هذا في الوقت الذي فيه تكون البحوث الأخرى مناسبة لاختبار الفروض البحثية ولبناء النظرية.

٤. تتضمن بحوث دراسات الحالة تحيزا نحو التحقيق ودعم الفروض البحثية حيث تميل إلى تحقيق المفاهيم المبدئية للباحث.

٥. يصعب في كثير من الأحيان تلخيص وتطوير الفروض والنظريات العامة على أساس دراسات حالة محددة.

المفاهيم الخاطئة حول دراسة الحالة

أولا: المعرفة النظرية العامة أكثر قيمة من المعرفة العملية المحددة: العلوم الاجتماعية ليس لديها الكثير الذي يمكن أن تقدمه فيما عدا الحالات المحددة والمعرفة السياقية أي المعرفة المرتبطة بالسياق وذلك لأن الباحثين الاجتماعيين لم ينجحوا في الوصول إلى نظريات عامة غير مرتبطة بالسياق الاجتماعي. وهنا نجد أن دراسات الحالة هي المناسبة تماما لإنتاج مثل هذا النوع من المعرفة. ومن ثم فإن الادعاء الأول يمكن تصحيحه بإعادة صياغته كما يلي "المعرفة المحددة لدراسة الحالة هي أكثر قيمة وفائدة للعلوم الاجتماعية من السعي الفاشل لتحقيق النظريات التوقعية والتعميمات العامة (Flyvbjerg, 2006; 2011).

ثانيا: من المستحيل التعميم على أساس حالة واحدة: يرى نقاد دراسة الحالة أن التعميم لا يمكن أن يتم دون الأرقام. نحن نعلم أن الاستدلال في دراسات الحالة يعتمد على الاستقراء التحليلي (Analytic induction) أو التعميم التحليلي (Analytic generalization) وليس على العد أو الاستقراء الإحصائي. لا يهتم الباحث في الاستقراء الإحصائي بخصائص الارتباطات الهيكلية والوظيفية داخل وحدات الدراسة، وإنما يهتم فقط بوجودها أو غيابها ومعنويتها الكمية وتكراراتها والفروق بينها والارتباطات بينها. ولكن في الاستقراء التحليلي يقوم الباحث بفحص حالة واحدة مع العلاقات القائمة بين الخصائص والعمليات والأحداث الفردية وكيف ترتبط ببعضها البعض (Mesec, 1998: 50). وهنا يقول ميسيك (Mesec) أنه إذا وجد هذا الارتباط ولو حتى في حالة واحدة فقد يكون ذلك ذا أهمية نظرية عالية. ويعتقد الكليون Holistics في إمكانية التعميم حتى ولو كان على أساس حالة واحدة. فعلى سبيل المثال، يقول ديسينج (Diesing in Sturman, 1997: 63) إن العلم يسعى إلى النمطية Regularity من أجل الوصول إلى قواعد وقوانين عامة، كما يسعى إلى الابتكارية من أجل الوصول إلى حالات أصلية جديدة. فإذا كانت أولوية التركيز تقع على النمطية سوف تظهر الابتكارية، وإذا كان التركيز على الابتكارية فحينئذ تظهر القواعد العامة في النهاية. فهنا نجد أن

دراسات الحالة تشتمل على كلا الخصوصية والعمومية في نفس الوقت دون أن يكونا متمانعين وتتحرك بينهما في خطوات متدرجة.

ويتخذ ستيك (Stake) موقفا مشابها حيث يقول عبارة شبه معقدة وهي أننا نتوصل إلى حالة من التعميم الطبيعي من المعرفة الضمنية لكيفية الأشياء، وسببيتها، وكيف يشعر الناس حيالها، وكيف يمكن أن تتواجد هذه الأشياء فيما بعد في أماكن أخرى يكون هذا الشخص على دراسة بها. ومن ثم فإن التعميم يمكن أن يكون من خلال التعرف على أوجه التشابه بين الأشياء والقضايا في السياقات المختلفة وفهم التغييرات عند حدوثها (Stake 1980 in Sturman 1997: 69). إلا أنه يجب الإشارة إلى أنه إذا كان من الممكن فرض هذا التعميم فإنه من الضروري أن توثق الملامح البارزة للحالة حتى يمكن إلقاء الضوء على المواقف الجديدة من خلال الفهم العميق للحالة المعروفة.

وتعتبر دراسة الحالة مثالية لتعميم النتائج باستعمال نوع الاختبار الذي أسماه كارل بوبار (Karl Popper) بالتخطيء Falsification في العلوم الاجتماعية (Popper, in Flyvbjerg, 2006: 228). يعتقد بوبار (Popper) أن كل نظرية علمية صحيحة تحتمل التكذيب أو الرفض. ومن ثم فإن "التخطيء" يعنى أن الفرض البحثي يعتبر علميا عندما يستطيع المتبني له أن يحدد الظروف التي يمكن أن يرفض الفرض في ظلها. ويعتبر التخطيء واحدا من أدق الاختبارات وأكثرها صرامة والتي يمكن أن يتعرض لها فرض بحثي إذا لم تتفق مشاهدة واحدة فقط مع هذا الفرض، وهنا يعتبر الفرض غير صحيح أو يجب تعديله (Flyvbjerg, 2011: 305). ومن ثم فيجب الاهتمام بالحالات المنحرفة والتخطيئات التي تنتج عنها المصادر الرئيسية لبناء النظرية لأنها تشير إلى مفاهيم ومتغيرات وآليات سببية جديدة تعتبر ضرورية من أجل تفسير الحالة المنحرفة والحالات الأخرى المشابهة لها.

ومن ثم، يصحح فليبجيرج (Flevbjerg) المفهوم الخاطئ الثاني كما يلي: "يمكن أن يتم التعميم في كثير من الأحيان على أساس حالة واحدة، وتعتبر دراسة الحالة مركزية في سبيل السعي نحو التطور العلمي من خلال التعميم كوسيلة دعم أو بديل للطرق الأخرى." (Flyvbjerg, 2011: 305).

ويعتبر التتبع التاريخي لمسار نشاط أو عملية معينة Process tracing وسيلة فعالة للوصول إلى علاقات سببية، وذلك من خلال تجزيء الارتباطات المتباعدة (مثل نظام الشركات الصيني وسياستها الاستباقية الشمسية) واكتشاف ارتباطات سببية على مستوى وحدات أصغر (مثل عمليات الصناعة التي ترعاها "أو تدعمها" الحكومة، هذا من ناحية، ونشأة علاقات جديدة بنيت على تلك العمليات، من ناحية أخرى، وهكذا) والتي يمكن رصدها وفحصها وتقييم معقوليتها والتحقق منها إمبيريقيا. إلا أنه على الباحث أن يقرر ما إذا كان سيستمر عند رضائه واقتناعه بالوصول إلى علاقة سببية في مكون معين من قضيته البحثية أم لا. وهنا مرة أخرى يأتي أهمية دور الباحث في البحوث النوعية حيث أنه يجب أن يكون بارعا وملما بالظروف الخلفية والقوانين والأوضاع المؤسسية التي تميز أماكن وأوقات معينة، والتي تمكنه من الحكم على معقولية وأهمية بعض الأدلة التي يستشهد بها، واتخاذ قرار فيما يتعلق بما إذا كان هناك ما يبرر إجراء مزيد من التحقق أم لا.

ويمتلك الباحثون الممارسون لأساليب دراسة الحالة مجموعة واسعة من الأدوات تحت تصرفهم لتسهيل التعميم من حالات معينة إلى الأسئلة الأوسع التي تؤثر على السياسة والسياسات العامة. والعجيب أنه عندما يزعم نقاد دراسة الحالة أنه لا يمكن التعميم منها لأن هذا ينتهك شروط التحليل الإحصائي فإنهم يرتكبون، دون قصد، خطأً في التعميم عندما يتعدون بادعائهم هذا حدود ظروف تخصصاتهم دون تقديم مبرر منطقي. وعموما يتساءل شتاينبيرج (Steiberg, 2015: 172)" إذا كان التعميم من دراسات الحالة مستحيلاً منطقياً، فلماذا نهتم؟" ومما يدعو للأسف أن الباحثين النوعيين الذين يدرسون مشكلات اجتماعية حرجة يستغرقون فيها وينجذبون إلى تفاصيلها دون المساهمة فيما يهم العامة من الباحثين والذي يتعلق بتطوير النظريات عبر العلوم الاجتماعية كلها. ومن ثم فيجب ألا يكون السؤال ما إذا كان بإمكاننا التعميم من دراسات الحالة أم لا، ولكن ما إذا كنا على استعداد لتقديم التزام علمي للقيام بذلك أم لا.

ثالثا :دراسات الحالة أكثر فائدة عند توليد أو استنتاج الفروض البحثية: ينبع مصدر هذا الادعاء من سوء الفهم الثاني السابق الذي يدعي استحالة التعميم من دراسات الحالة. ويعتبر التعميم مرتبطا باختبار الفروض البحثية وهو الخطوة الثانية من اختيار الحالة، إلا أن جورج و بينيت (George and Bennett) يقتنعان بأن دراسة

الحالة مناسبة جدا لبناء النظرية لأنها تتعامل مع المهام التالية في عملية البحث العلمي بطريقة أفضل بكثير من الطرق الأخرى (George and Bennett, 2005: 6-9):

١. تتبع العملية التي تربط بين الأسباب والعواقب.
٢. الاستكشاف التفصيلي للآليات السببية المفترضة.
٣. بناء واختبار التفسيرات التاريخية.
٤. فهم وإدراك حساسية المفاهيم للسياق الاجتماعي.
٥. تكوين الفروض البحثية الجديدة والأسئلة البحثية الجديدة الناشئتين من الحالات المنحرفة.

رابعا: تتضمن بحوث دراسات الحالة تحيزا نحو التحقيق ودعم الفروض البحثية حيث تميل إلى تحقيق المفاهيم المبدئية للباحث: بالرغم من وجود تحيز الباحث في البحوث الكمية إلا أن هذا التحيز يبدو ظاهريا بدرجة أكبر في البحوث النوعية ودراسة الحالة عما هو الحال بالبحوث الكمية. ولكن ستورمان (Sturman, 1997: 65) يقول أن دراسة الحالة يمكن أن تحقق دقتها وصرامتها الخاصة، تلك الدقة التي يطلق عليها ولسون (Wilson) "الذاتية المنضبطة Disciplined subjectivity"، (Wilson, in Sturman, 1997). إن مبدأ التباين في دراسة الحالة يمكن أن يتحقق من خلال الوصف التفصيلي للعملية البحثية وخاصة عملية التحليل التي تتشكل فيها المفاهيم وتتحدد فيها التكرارية والنمطية الخاصة الخاصة بالسلوك والتفاعل والخبرة (Mesec, 1998: 45). ويقترح ستيرمان (Sturman, 1997: 65) الاستراتيجيات التالية من أجل تحقيق الصدق في دراسة الحالة:

١. ضرورة الشرح التفصيلي لطرق وإجراءات جمع البيانات.
٢. ضرورة عرض البيانات المجموعة وتهيئتها للتحليل.
٣. ضرورة عرض الحالات المنحرفة أو السلبية.
٤. ضرورة الاعتراف بالتحيزات.
٥. ضرورة توثيق التحليل الميداني أو الحقلي.

٦. ضرورة توضيح العلاقة بين الادعاءات (أو التأكيدات) من ناحية والأدلة من ناحية أخرى.
٧. يجب التمييز بين الدلائل الأولية والثانوية وأن يتم التمييز بين الوصف والتفسير.
٨. يجب استخدام المذكرات والسجلات لتتبع ما تم عمله بالفعل خلال مراحل الدراسة.
٩. يجب ابتكار طرق للتحقق من صحة البيانات.

ويجب ملاحظة أن مفهوم الموثوقية في الدراسات الكمية أو الوضعية لا ينطبق تماما على دراسة الحالة. فحسب هذا المفهوم إذا أعدنا دراسة الحالة مرة ثانية وتعطينا نفس النتائج فتكون الموثوقية ١٠٠%، ولكن بالنسبة لدراسة الحالة فإن الوضع يختلف لأنه عندما نعيد دراسة الحالة في وقت تالي تكون الحالة نفسها قد اختلفت وتغيرت إلى حد ما. ومن ثم فيكتفى في دراسة الحالة عند اختبار موثوقيتها أن نجد أن الدراسة الثانية توصلنا إلى نفس الاستنتاجات التي وصلت إليها الدراسة الأولى.

وفي هذا المقام يقول ميسيك (Mesec, 1998: 380) أن نتائج دراسة الحالة يجب أن تعتبر الفصل الأول وليس الأخير في أي مجال بحثي معين. ومن ثم فيجب أن توالى بدراسات أخرى من أجل دعم وتأكيد دقة نتائج الدراسة السابقة. ويجب أن يتم ذلك مع مراجعة المشاهدات والنتائج ونشر شبكة الارتباطات الجديدة المكتشفة بين الحالات. إن دراسات الحالة هي بالتأكيد أكثر من مجرد مقدمة للدراسات الكمية. إذا لم نكن نريد العد بالأرقام، فليس من المقرر علينا أن نفعل ذلك من أجل أن نتعلم شيئا.

استخدامات النظرية في دراسة الحالة

وبالنسبة لدراسة الحالة يؤسس كل من ستيك Stake (١٩٩٥) و ين Yin (٢٠٠٣) مدخليهما لدراسة الحالة على النموذج البنائي Constructivist paradigm. ويعتقد البنائيون أن الحقيقة نسبية حيث تعتمد على منظور الباحث نفسه. وفي الوقت نفسه كما يقول كل من باكستار و جاك (Baxter and Jack, 2008) "يعترف النموذج بأهمية الخلق الإنساني للمعاني، ولكنه لا يرفض كلية درجة من الموضوعية فيه. فالنموذج يركز على التعددية Pluralism وليست النسبية مع الإشارة إلى الاحتكاك الدائري بين الذاتية والموضوعية." ويؤكد سيرل (Searle, 1995) في نفس الوقت على أن البنائية تبنى على

مفترض "البناء الاجتماعي للحقيقة." ومن مزايا هذا المنظور وجود تناسق دقيق بين الباحث والمبحوث في الوقت الذي يمكن فيه المبحوثون من سرد قصصهم (Baxter and Jack, 2008. ومن خلال هذه القصص يتمكن المبحوثون من وصف وجهات نظرهم للحقيقة حيث يمكن ذلك الباحث من المزيد من فهم المبحوثين وأفعالهم (Lather, 1992).

ويتضح الأمر في الدراسات الكمية حيث تعتمد الفروض البحثية والأسئلة البحثية على النظرية والتي يحاول الباحثون التحقق منها، إلا أننا نجد أن استخدام النظرية في البحوث النوعية يكتنفه إشكاليات عديدة. ففي البحوث النوعية نجد أن النظرية غالبا ما تكون معدلة أو منقاة من خلال عملية البحث النوعي نفسها في محاولة لربط حقائق مختلفة وغير مترابطة بطريقة منطقية (Irvin and Gaffikin, 2006). وعادة ما يواجه الباحثون النوعيون مشكلات عديدة عندما يحاولون دمج النظرية في دراسات الحالة النوعية مثل كيفية توضيح دور النظرية في الدراسات النوعية والعلاقة بين النظرية والبيانات وكيفية تطبيق النظرية في بحوثهم. ومن ثم فيختلف الباحثون حول دور النظرية في دراسة الحالة.

يرى ستيك (Stake,1995) أن النظرية يمكن تجاهلها في حالة الدراسات التي تركز على وصف الحالة وقضاياها. أما ين (Yin, 1995) فيرى أن النظرية يمكن استخدامها لتوجيه دراسة الحالة بطريقة استكشافية. ويرى كريسويل (Creswell, 1994) أن النظرية تستخدم عند نهاية الدراسة مقدمةً منظور "ما بعد النظرية أو النظرية المعدلة Theory-after perspective"، حيث تناقش النظريات الأخرى وتقارن بالنظرية التي طورتها دراسة الحالة. ويرى هارلنج (Harling, 2012) أن النظرية القائمة (الموجودة) هي نقطة البداية حيث أنها توجه وتحدد بناء الأسئلة البحثية الأولية لدراسة الحالة، ثم يتعامل الباحث ويتفاعل مع البيانات التي يتحصل عليها أثناء الدراسة مستعملا النظرية لغربلة وتنظيم البيانات المتحصل عليها. بهذا سيتم دعم النظرية القائمة إلا أن الباحث يجب أن يكون حريصا بحيث لا يسمح للنظرية القائمة أن تحدد نتائجه مسبقا. ويعتقد نفس الباحث أننا نحتاج إلى النظرية القائمة لأنه يعتقد أنه لا يوجد هناك موقف لا ترتبط به معارفنا القائمة والمتعلقة به. وقد عبر ستيك (Stake, 1995: 7) عن هذه النظرة أيضا حيث يقول إن "دراسات الحالة نادرا ما تنتج مفاهيما جديدة كلية ولكنها تعدل التعميمات الكبرى والتي

يمكن تعديلها أكثر وأكثر بمزيد من دراسات الحالة. وتعتبر النظرية القائمة مهمة أيضا حتى ولو كان الغرض من دراسة الحالة هو بناء نظرية جديدة.

ومن جهة أخرى فقد حدد لويلين (Llewellyn, 2003) خمسة مستويات للتنظير في البحوث النوعية: التشبيه Metaphor، والتميز Differentiation، والتصور أو الفهم Conceptualization، التنظير المرتبط بالسياق Context-bound theorization، والتنظير العام غير السياقي Context-free grand theorizing.

إن استعمال التشبيه أو الاستعارة يعتبر طريقة يفهم الناس العالم من خلالها من خلال تجسيد صورتهم للحقيقة أو الخبرة في صورة مألوفة. أما بالنسبة لنظريات التميز فمن خلالها يتمكن الباحث من غربلة البيانات النوعية التي تم جمعها في فئات مميزة يتم وضعها في مقابل بعضها البعض. وبالنسبة للمستوى الثالث يتم تنظير المفاهيم من خلال الربط بين النظرية والبناء والممارسة. أما المستوى الرابع للتنظير فيتمثل في فهم العلاقات بين النظرية والبيانات في حدود سياق معين، حيث يوضح أن سياق الأنشطة يمثل أهمية خاصة لفهم البيانات. أما المستوى الخامس من التنظير فيختص بالنظرية الكبرى Grand theory حيث يتم التنظير من خلال شرح الجوانب الكبيرة والدائمة للحياة على المستوى المجتمعي الأكبر (Irvine and Deo, 2006). ويختص هذا النوع من البحوث بالأفكار والأسس الفلسفية والنظرية الفوقية Meta-theory التي تفسر العالم وتشرحه.

ويذكر بيريل و مورجان (Burrell and Morgan, 1979) أربعة نماذج نظرية تتوافر للباحثين عند دراسة ظاهرة معينة تمثل تقاطعات معينة على محورين أساسيين: محور الموضوعية-الذاتية Objective-subjective، ومحور التنظيم-الراديكالية Regulation-radical. ويؤدي هذا التقاطع إلى مصفوفة تتكون من أربعة نماذج اجتماعية أساسية: (أ) النموذج الوظيفي الذي يعترف بالواقعية الموضوعية ويهتم بالتنظيم. (ب) النموذج التفسيري الذي يرى الحقيقة على أنها منشاة ذاتيا ويهتم بالتنظيم. (ج) النموذج البنائي الراديكالي الذي يعترف بالواقعية الموضوعية ويهتم بالتغيير الراديكالي. (د) النموذج الإنساني الراديكالي الذي يعترف بالذاتية ويهتم بالتغيير الراديكالي. وهي بذلك كما يراها بيريل و مورجان Burrell and Morgan نظرات مستقلة متمانعة للحياة الاجتماعية. فالنموذج الإنساني الراديكالي

يهتم بعلم اجتماع التغير الراديكالي من المنظور الذاتي، ومن ثم فهو يركز على المفاهيم والتفسيرات الفردية غير الوضعية والطوعية الإيديوجرافية. وأما النموذج المعاكس فهو النموذج البنائي الراديكالي الذي يتعامل مع الحياة الاجتماعية على أنها مكونة من أشياء خارجية وعلاقات مستقلة عن الأفراد. وهو بذلك يتسم بصفات الواقعية، والوضعية، والجبرية، والتعميمية.

وتدعو النظريات المنتمية لهذا النموذج إلى التغيير الراديكالي من خلال النظرة الموضوعية. أما النموذج الوظيفي فيرى العالم مكونا من ظواهر أمبيريقية محددة تتواجد مستقلة عن الأفراد. ومن ثم يطبق الوظيفيون الطرق البحثية المتبعة في العلوم الطبيعية متبعين الحيادية والموضوعية والتحرر من القيم كما يرون أن نظام النفوذ والسلطة السائد هو أمر طبيعي لا مشكلة فيه.

وفي دراسة تقييمية ممتازة عرض يازان (Yazan, 2015: 148-150) مقارنة شاملة بين مداخل طرق دراسة الحالة لثلاثة من أقطاب الباحثين في هذا المجال وهم ين و ميريام و ستيك (Yin, Merriam and Stake)

جدول ٧. عرض مقارني لمداخل دراسة الحالة لكل من ين و ميريام و ستيك (Yin, Merriam and Stake)

محور التمييز	Yin (Case Study Research Design and Methods)	Stake (The Art of Case Study Research)	Merriam (Qualitative Research and Case Study Applications in Education)
الالتزامات المعرفية Epistemological Committments	الوضعية Positivism	البنائية والوجودية (اللاجبرية) Constructivism and existentialism (non-determinism	البنائية Constructivism
مفهوم الحالة	"الحالة" ظاهرة معاصرة في نطاق سياقها الحياتي، وخاصة عندما تكون الحدود بين الظاهرة والقياس غير	"الحالة" شيء محدد معقد نشط، وبصورة خاصة نظام متكامل له حدود ومكونات نشطة تسعى لهدف معين (في	"الحالة" شيء كياني منفرد، محاط بحدود (p.27) يمكن أن تكون شخصا، جماعة، سياسة معينة .. وهكذا. دراسة الحالة النوعية

	واضحة، وعندما لا يمتلك الباحث الكثير من التحكم في الظاهرة وسياقها (p. 13). دراسة الحالة هي استعلام إمبيريقي يبحث حالة أو حالات تتفق مع التعريف السابق من خلال توجيه أسئلة حول "كيف" و "لماذا" وتتعلق بالظاهرة المدروسة.	العلوم الاجتماعية والخدمات الاجتماعية) (p.2). دراسة الحالة النوعية دراسة لخصوصية وتعقيد حالة منفردة لفهم عملها في ظروف هامة (p. xi). الخصائص المميزة: كلية (ارتباطات بالسياق)، إمبيريقية (اعتماد الدراسة على المشاهدات الحقلية)، فهمية أو استبطانية (تعتمد على الحدس، ويرى الدراسة على انها تفاعل بين الباحث والحالة)، التعاطف (يعكس التجارب غير المباشرة للمبحوثين في منظور عاطفي).	عبارة عن "وصف مكثف كلي وتحليل لظاهرة محددة مثل برنامج، شخص، مؤسسة، أو وحدة اجتماعية. (p. xiii).
تصميم دراسة الحالة	التصميم هو "التتابع المنطقي الذي يربط البيانات الإمبيريقية بالأسئلة البحثية الأولية وبالمستخلصات في النهاية (P. 20). وهناك أربعة من تصميم الدراسة: الفردي الكلي، الفردي الجزئي، الكلي المتعدد، الجزئي المتعدد. يحتوي تصميم دراسة الحالة على خمسة أجزاء: أسئلة الدراسة، فروضها، وحدات تحليلها، منطق ربط البيانات بالأسئلة، ومعايير تفسير النتائج.	تصميم مرن يسمح للباحثين بإحداث تغييرات جوهرية ولو في مرحلة البحث. يحتاج الباحثون إلى اثنتين أو ثلاثة من القضايا المحددة (الأسئلة البحثية التي تساعد في بناء المقابلات والمشاهدات ومراجعة الوثائق (p. 20). يعتمد على ملاحظة بارليت و هاميلتون (Parlett and Hamilton's (1972)) الخاصة بـ "التركيز المتطور Progressive focusing"، ويبنى على مفترض أن مجرى الدراسة لا يمكن تخطيطه مقدما (cited in Stake, 1998: 22).	يمثل استعراض الأدب العلمي والنظري مرحلة ضرورية تؤدي لبناء النظرية وتصميم الدراسة. يساعد الإطار النظري الناتج عن الاستعراض المرجعي في بناء الأسئلة البحثية ونقاط الاهتمام والتركيز. هناك خمس خطوات للتصميم البحثي: الاستعراض المرجعي، البناء النظري، تحديد المشكلة البحثية، بناء وتحديد الأسئلة البحثية، واختيار العينة (عينة عمدية)

جمع البيانات	يجب استخدام مصادر الدلالة والبرهان الكمية والنوعية. تتأثر عملية جمع البيانات بمهارة الباحث، ضرورة التدريب لكل حالة معينة، بناء بروتوكول الدراسة، تصفية مسميات دراسة الحالة (اتخاذ القرار النهائي لاختيار الحالة)، وإجراء الدراسة الاستطلاعية. يستخدم باحثو دراسة الحالة ست أدوات لجمع البيانات: الوثائق، السجلات الأرشيفية، المقابلات، المشاهدة المباشرة، المشاهدة الإنعكاسية، والمصنوعات أو التحف المادية.	استخدام مصادر البيانات النوعية فقط. لكونها دراسة نوعية يتطلب الباحث "معرفة ما الذي يؤدي إلى الفهم الأعمق، معرفة المصادر الجيدة للبيانات، الاختبار الواعي لصدق عيونه ومتانة تفسيراته. ويتطلب ذلك كلا من الحساسية والشكية." (Stake, 1995: 50). يستخدم باحثو دراسة الحالة أدوات الملاحظة، المقابلات الشخصية، ومراجعة الوثائق لجمع البيانات.	استخدام مصادر البيانات النوعية فقط. تتطلب الدراسة النوعية تدريب الباحث لإكسابه مهارة ومتابعة إجراءات معينة لإجراء المقابلة الشخصية بكفاءة، وتسجيل المشاهدات بعناية، ويستخرج البيانات من الوثائق. يستخدم الباحثون في دراسات الحالة ثلاثة أساليب: المقابلات، الملاحظة، وتحليل الوثائق.
تحليل البيانات	تحليل البيانات "يتكون من فحص، وتقسيم، وجدولة، واختبار الدلائل أو الجمع بين الدلائل النوعية والكمية للتعامل مع الفروض الأولية للدراسة" (109). وهناك خمسة أساليب أساسية لتحليل البيانات: مطابقة الأنماط، بناء التفسيرات، تحليل السلاسل الزمنية، ومنطق البرنامج.	يمثل تحليل البيانات "نوعا من إضفاء المعاني على الانطباعات الأولى وكذلك على المخرجات النهائية" (p. 71). التزامن بين جمع البيانات والتحليل. وهناك طريقتان استراتيجيتان لتحليل البيانات: التجميع الفئوي Categorical aggregation ، والفهم المباشر Direct	يمثل تحليل البيانات "عملية إضفاء المعاني على البيانات والتي تتضمن تجميع، واستخلاص وفهم مقولات المبحوثين، وما رآه وما قرأه الباحث – إنها عملية صناعة المعاني" (p. 178). تزامن عمليتي جمع البيانات والتحليل. وهناك ست استراتيجيات لتحليل البيانات: التحليل الإثنوجرافي، تحليل السرد والحكايات، التحليل الظاهري،

		interpretation. "يحتاج كل باحث، من التجربة والتمعن، أن يجد أشكال التحليل التي تناسبه" (p. 77).	طريقة المقارنة المستمرة، تحليل المحتوى، والاستقراء التحليلي.
التحقق من صحة البيانات	يجب على باحثي دراسة الحالة ضمان صدق البنيان (من خلال التثليث لمصادر الأدلة المتعددة، سلاسل الدلائل، مراجعة المبحوثين، الصدق الداخلي (من خلال استعمال أساليب التحليل المعروفة مثل مطابقة النمط)، الصدق الخارجي (من خلال التعميم التحليلي)، والاعتمادية أو الثبات (من خلال بروتوكول دراسة الحالة وقواعد البيانات).	تمثل قضايا التحقق من صحة البيانات في عملية التثليث. وهناك أربع استراتيجيات للتثليث: التثليث لمصادر البيانات، تثليث الباحثين، تثليث النظرية، وتثليث الطرق البحثية.	تتناول البحوث النوعية قضيتي الصدق والاعتمادية عن البحوث الأخرى. هناك ست استراتيجيات لدعم الصدق الداخلي: (التثليث، مراجعة المبحوثين Member checks، الملاحظة طويلة المدى، مراجعة الزملاء من الباحثين، البحث بالمشاركة، وإعلان التحيزات البحثية.) وهناك ثلاثة أساليب لضمان الاعتمادية أو الثبات: شرح موقف الباحث من الدراسة، التثليث، واستخدام مسارات المراجعة والتدقيق Audit trail. وهناك ثلاثة أساليب لضمان الصدق الخارجي: استخدام الوصف الكثيف Use of thick description، النمطية أو الفئات النمطية، وتصميم المواقع المتعددة.

الفصل الثامن

خطوات دراسة الحالة

هناك خطوات يجب اتباعها عند إجراء دراسة الحالة يمكن توضيحها فيما يلي:

أولا: جمع جميع البيانات عن الحالة، فعلى سبيل المثال إذا أردنا أن ندرس حالة لرجل أعمال ناجح وهو ما يطلق عليه المؤلف الحالي لقب "المستثمر الخاص" Entrepreneur فإننا نختار أولا حالة تمثل الغالبية الشائعة من المستثمرين الخاصين في الاقتصاد المصري مثلا حيث أنها ليست كبار المستثمرين المعروفة أسماؤهم، تلك القلة المحتكرة تقريبا لما يقومون به، وإنما نختار هؤلاء الذين يمثلون أكثر من ٧٠% من الاقتصاد المصري وهو ما يطلق عليه الاقتصاد غير الرسمي أمثال الصعيدي الأمي الذي حضر إلى الإسكندرية ثم هداه فكره إلى بيع صندوق برتقال أو صندوقين على ناصية شارع في حي راقي ثم تطور عابرا مشاكل شرطة المرافق المعروفة وغيرها من مشاكل أخرى حتى وصل وأصبح من أصحاب إحدى محلات الفاكهة العظمى في نفس هذا الحي الراقي، أو قد نختار خريج زراعة ناضل في مختلف الأعمال ثم سافر للعمل بالخارج فترة ثم عاد وجاهد حتى أصبح من كبار المقاولين الذين يبنون أبراجا ضخمة في مختلف المناطق أمثال المهندس ص. ش.، أو قد نختار ريفيا بسيطا تحول إلى واحد من أكبر تجار الماشية وموردي الماشية إلى الجزارين .... وهكذا. وبعد هذا الاختيار نقوم بجمع المعلومات بمختلف الطرق عن هذه الحالة بما فيها وثائقه وتاريخه العملي، وخصائصه الديموجرافية وبيئته الاجتماعية التي نشأ فيها، ثم نستخدم وسائل أخرى مثل الاستبيان والمقابلة الشخصية والملاحظة ... إلخ.

ثانيا: تنظيم البيانات المجمعة بطريقة تبرز مركز اهتمام الدراسة فنرتب البيانات بصورة تاريخية تسلسلية زمنية تبين تطور عمل هذا المستثمر عبر الزمن، ثم نحاول تتبع الظروف الديموجرافية والبيئية عبر الزمن أيضا، ثم نحاول استخلاص وربط هذه الظروف بالتطورات المهنية.

ثالثا: كتابة قصة هذه الحالة Narrative بطريقة سهلة مقروءة بطريقة تتسم بالشمول والاكتمال والوضوح بحيث تكون كعين القارئ وأذنه بالنسبة لما حدث للحالة.

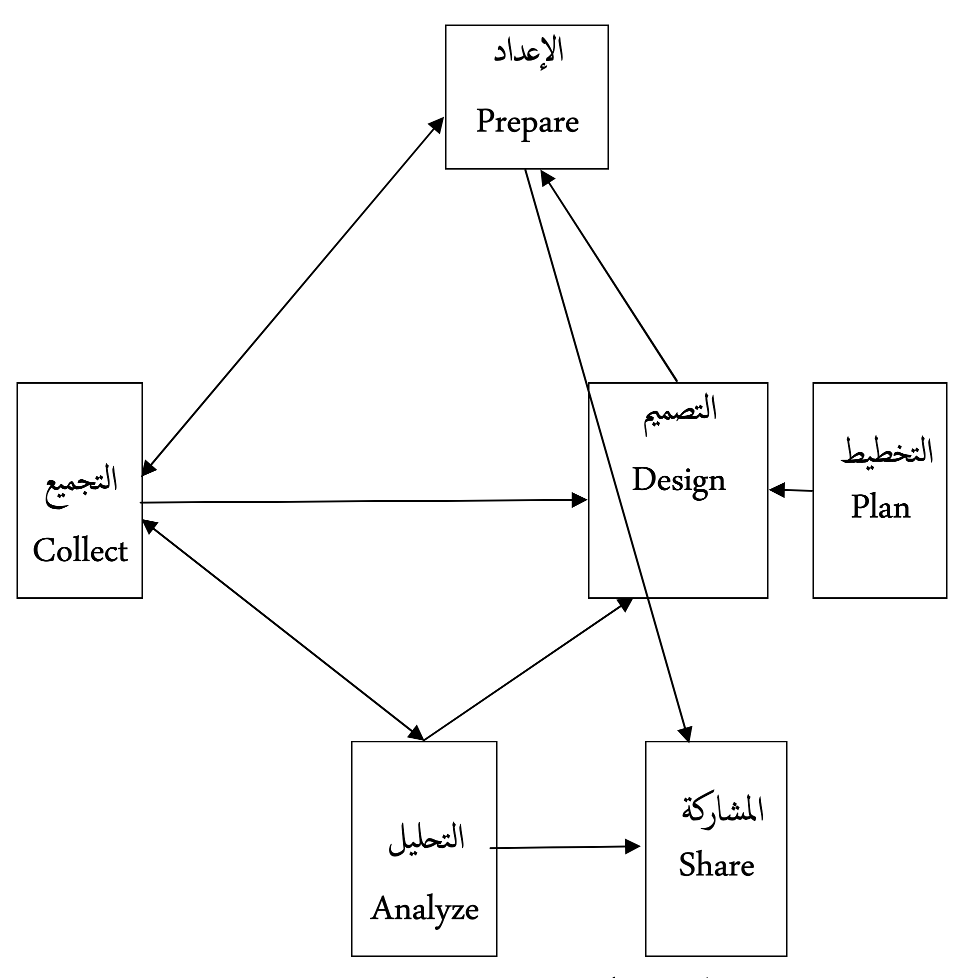
رابعا: يمكن التحقق من صحة القصة وصدقها بقصها على الحالة نفسها أي المستثمر الخاص في مثالنا السابق للتأكد من أن القصة قد اشتملت على أهم خبراته ونتائج أعماله.

خامسا: وفي النهاية يمكن إجراء مقارنة بين هذه الحالة وحالات أخرى تتخذ أيضا كدراسات حالة بحيث يمكن اكتشاف العناصر المشتركة بين مثالنا هنا وأمثلة مشابهة أخرى، وهنا يمكن التعرف على مواطن الضعف ومواطن القوة في تطور هذه الحالات بحيث يمكننا أن نقترب من التوصل إلى بعض التعميمات والتي تتعدى في هذه الحالة القدرات المعروفة لدراسة الحالة التقليدية.

ومن ثم فيمكن القول أن دراسة الحالة هي دراسة الظاهرة الاجتماعية في واحد من مظاهرها أو في عدد قليل منه، وذلك في سياقها الطبيعي خلال مدة معينة تركز على الأوصاف التفصيلية والتفسيرات والشروح التي يعبر عنها مبحوثون مختلفون نحو الظاهرة المدروسة، والتي فيها يبدأ الباحثون بسؤال بحثي عريض بالنسبة لعملية معينة مستخدما النظريات المتوافرة مع عدم التمسك بطرق محددة لجمع وتحليل البيانات مما يسمح للاستعداد للنظر إلى البيانات المجموعة حديثا حتى يمكن استكمال الخطوات البحثية التالية بمرونة كافية. وتستخدم دراسة الحالة مصادرة عديدة لجمع البيانات والتي يسمح فيها للمبحوثين أن يتعرفوا ويواجهوا مقولات ومفاهيم المبحوثين الآخرين وكذلك مع النتائج المبدئية لما تم إجراؤه من الدراسة.

تحديد الحالة (أو الحالات) موضع الدراسة Binding the Case

ينظم ين (Yin, 2014) كتابه في دراسة الحالة على أنها عملية خطية ولكن تكرارية Linear but iterative ويوضح ذلك في شكل يوجه الباحثين عند إجراء دراسة الحالة إلى أركان رئيسية متتابعة ولكن متداخلة كما يتضح في التنظيم التالي:



شكل ٤. الأركان الرئيسية لعملية إجراء دراسة الحالة.

المصدر: (Yin, 2014: 1)

ومن الأخطاء الشائعة التي يقع فيها الباحثون عند التخطيط لدراسة الحالة ميل الباحثين إلى محاولة الإجابة على سؤال عريض جدا أو اختيار موضوع ذي أهداف عديدة في دراسته. ومن أجل تفادي ذلك اقترح بعض الباحثين ومنهم ين (Yin, 2003) و ستيك (Stake, 1995ٍ) وضع حدود حول الحالة لنمنع حدوث هذا "الإنفجار." من هذه المقترحات (أ) تحديد الوقت والمكان (Creswell, 2003)، (ب) تحديد الوقت والنشاط

(Stake, 1995)، (ج) تحديد المفهوم والسياق (Miles and Huberman, 1994). وهكذا يؤدي تحديد الحالة إلى ضمان بقاء الدراسة في مجال معقول. ويشابه وضع حدود الحالة في الدراسات النوعية معايير الانتقاء والاستقصاء (أو الإدراج والاستبعاد) عند اختيار العينة في الدراسات الكمية إلا أن الفرق في حالة الدراسات النوعية يبين شمول وعمق الدراسة وليس مجرد العينة المنتقاه في الدراسات الكمية. وينطبق هذا القول بصورة خاصة على مجالات الاقتصاد غير الرسمي الذي تتراوح الحالات فيه من التجارة في الممنوعات إلى بيع المصاحف في الطرقات، أو من بيع الطعام المطبوخ في المنازل إلى تجارة "الروبابيكيا".

ولقد تعرض اختيار الحالة إلى بعض الانتقادات بواسطة الناقدين لدراسة الحالة. وقد ركز هذا الانتقاد بصورة أساسية على الاختيار الذاتي المحتمل للحالة. وهو نوع من التحيز الناتج عن المعرفة السابقة للباحث للحالة أو تفضيله لبعض الفروض النظرية والتي يمكن أن تؤثر على اختياره للحالة (George and Bennett, 2005: 24). إلا أنه عادة ما تؤدي المعرفة السابقة للحالة إلى خطة بحثية أفضل. فالحالات المختارة على أساس معرفة نظرية سابقة تزيد من قدرة الباحث على بناء قاعدة نظرية قوية للبحث مما يجعل عملية اختبار النظرية أكثر دقة وصرامة. وبالإضافة إلى ذلك هناك العديد من من الشروط المنهجية لحماية الدراسة من تأثير تحيز الباحث مثل الاجتهاد والاتساق في عملية التتبع. ويتضمن ذلك وصفًا دقيقًا وشاملاً لإجراءات جمع البيانات وتوثيق كل جزء من المعلومات من أجل تحقيق موثوقية دراسة الحالة.

اختيار عدد الحالات في دراسات الحالة

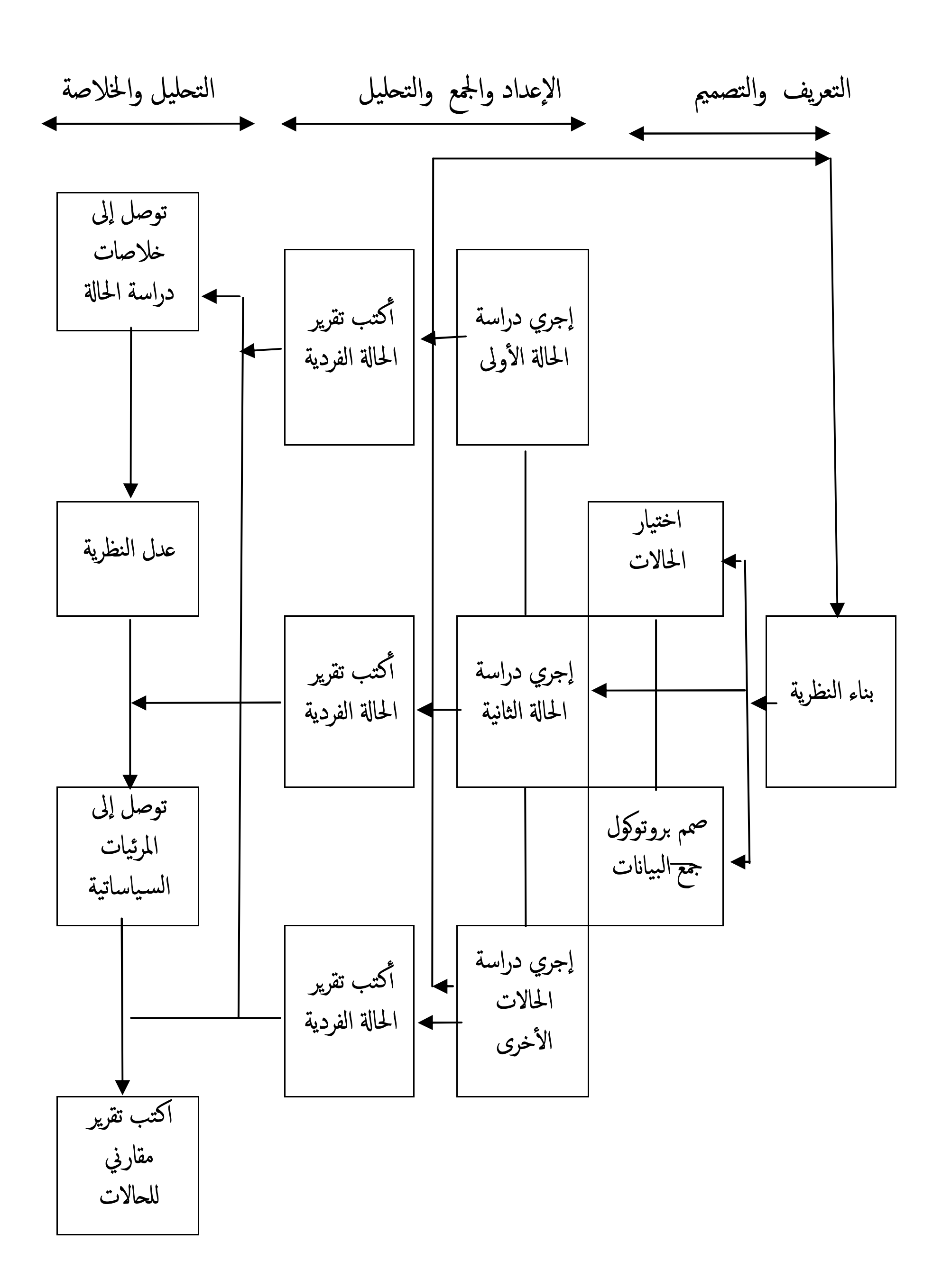
دراسة الحالة الواحدة: Single case على الباحث أن يقرر ما إذا كان من الحكمة دراسة حالة واحدة أم اللجوء إلى حالات متعددة من أجل فهم أفضل لحالات متعددة. فالحالة الواحدة تستخدم في حالة تشابه السياق الذي تتواجد فيه الحالات التي تمثل الظاهرة المراد دراستها. كما أن الحالة الواحدة تعتبر أكثر مناسبة عند البدء في توليد وبناء النظرية، وعندما يكون موقف الحالة فريدا أو متطرفا، وكذلك إذا ما كانت الحالة كاشفة

(تمثل وضعا يتعذر الوصول إليه في السابق من أجل البحث العلمي)، وكذلك إذا ما كانت الحالة تمثل حالة حرجة أو معاكسة لاختبار نظرية جيدة الصياغة.

دراسة الحالة الواحدة بوحداتها الفرعية: Single case with embedded units عندما تتكون الحالة من وحدة كبرى تتبعها فروع محددة فهنا يلزم اختيار هذه الحالة الكبرى وفروعها المختلفة لكي يتمكن الباحث من استكشاف الحالة تحت مختلف سياقات الفروع، فهنا تتعدد الحالات ولكن تحت حالة واحدة كبرى. وتمكننا المقارنات داخل حالات الوحدة الفرعية، أو بين وحدات فرعية معينة، أو بين جميع الوحدات الفرعية من إثراء فهمنا للحالة واستكشافها (Yin, 2003).

دراسة الحالات المتعددة: Multiple-case studies وهنا قد يتساءل الفرد عن الفرق بين النوع السابق، دراسة الحالة الواحدة بوحداتها الفرعية والنوع الحالي الذي تتعدد حالاته؟ الإجابة السريعة تتمثل في اختلاف السياق المحيط بكل من النوعين. فالنوع الحالي، متعدد الحالات، يمكن الباحث من تحليل ومقارنة السياقات المختلفة وكذلك داخل السياق الواحد، هذا في الوقت الذي تسمح فيه دراسة الحالة الواحدة بوحداتها الفرعية للباحث بأن يفهم حالة واحدة فريدة متميزة. ويعتبر تصميم الحالات المتعددة أكثر مناسبة لاختبار النظرية، وللتوصل لتعميمات استدلالية، وكذلك للتوصل إلى تفسيرات أكثر ثراءًا ودقة لظاهرة معينة. وهنا يوصي ين (Yin, 2014) باستخدام مواقع حالات متعددة مع منطق التكرار والنظر إلى كل حالة على أنها مشابهة لدراسة تجريبية واحدة واتباع قواعد الصرامة العلمية المماثلة لتلك المستخدمة في البحوث الوضعية.

وفي الحالات المتعددة يقوم الباحث بفحص الحالات العديدة لفهم التشابه والاختلاف بين الحالات. وهنا ينص ين (Yin, 2003) على أن دراسة الحالات المتعددة تستخدم إما (أ) لتوقع نتائج متشابهة مما يسمح بالتحقق من التكرار النظري، (ب) لتوقع نتائج متناقضة ولكن لأسباب متوقعة مما يسمح بالتحقق من التكرار النظري مرة أخرى. ويفيد التكرار في إضافة معلومات مفيدة للظاهرة المدروسة، كما يفيد التكرار في دعم وزيادة الثقة في دراسة الحالة إذا أدى التكرار لدعم النظرية التي تعتمد عليها الدراسة. ولا يعيب هذا النوع من الحالات المتعددة إلا أنه مكلف، كما يستغرق وقتا قد يفوق قدرات الباحثين الفرديين.

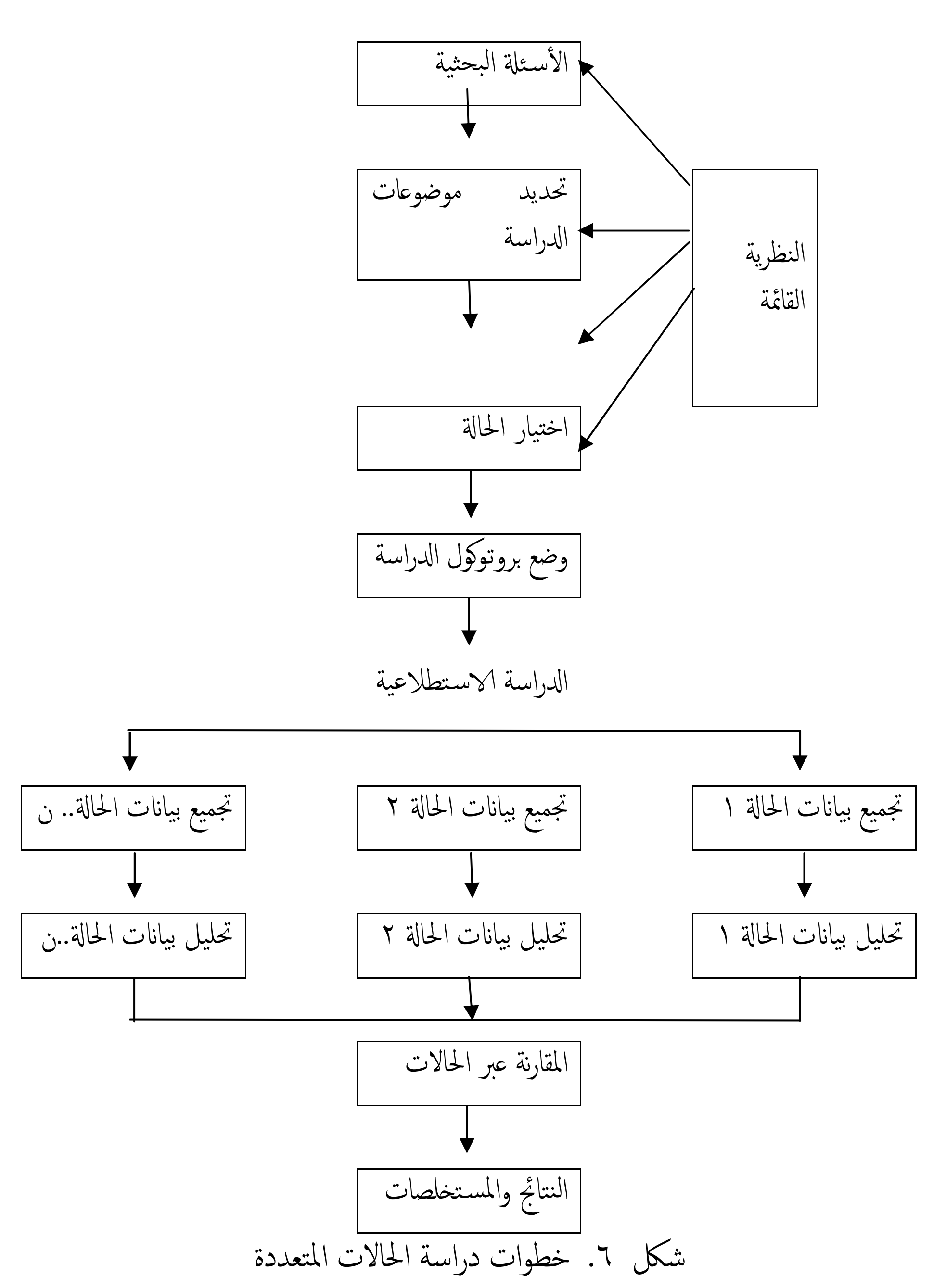


شكل ٥. المنهج التكراري لطريقة دراسة الحالة المصدر: Yin, 2003: P. 50

ومن ثم فيمكن القول، أنه بالرغم من أن جميع التصميمات البحثية يمكن أن تؤدي إلى دراسات حالة ناجحة إلا أنه لو توافر للباحث الموارد والاختيار فإنه من الأفضل إجراء تصميم دراسة الحالات المتعددة. وتزداد فرص نجاح الدراسة حتى لو استخدمنا حالتين فقط بدلا من حالة واحدة. غير إن اجراء دراسة حالة واحدة تبدو كوضع البيض كله في سلة واحدة، فإن اجراء الدراسة على حالتين على الأقل يمكن أن تضيف إضافة هائلة للمكاسب التحليلية للدراسة. هذا وعند الاختيار العمدي لحالتين تحت سياقات مختلفة فإنه يمكن اختبار تأثير هذا الاختلاف السياقي مما يضيف إضافة مهمة للنظرية. وعادة ما تثار الشكوك حول دراسة الحالة الواحدة نظرا لمحدودية الظروف المحيطة بالحالة وبالشكوك حول سهولة اختيارها أو وجود علاقة خاصة مع صاحب الحالة، ومن ثم فإن اختيار حالتين على الأقل تزيل هذه الشكوك وتعضد من صدق النتائج. ونظرا لضرورة استخدام الباحث للتصميمات البحثية المرنة دون تلك المغلقة، بمعنى إمكانية تعديل استراتيجية البحث أثناء اكتشاف نتائج معينة فإن هذا التعديل قد لا يمكن إجراؤه في الحالة الواحدة مما يقوض من البحث بأكمله.

الخطوات الإجرائية لمكونات تصميم ودراسة الحالة

والآن بعد تحديد الحالة وحدودها يلزم حينئذ النظر إلى الخطوات الإجرائية لمكونات تصميم ودراسة الحالة من أجل الدقة والصحة، وهذه تشمل (أ) وضع الفروض علما بأنها قد لا تكون مطلوبة (Yin, 2003; Miles and Huberman,1994) ، (ب) تطوير إطار مفهومي (Miles and Huberman)، (ج) استخراج أسئلة البحث (وعادة ما تكون أسئلة من نوع "كيف"، و "لماذا". (د) تحديد المنطق بالنسبة لربط البيانات بالفروض البحثية، (د) تحديد معايير تفسير ومناقشة النتائج (Yin, 2003).



شكل ٦. خطوات دراسة الحالات المتعددة

المصدر: (Rose, Suzan, Nigel Spinks & Ana Isabel Canhoto (2015). Management Research: Applying the Principles ©).

وفيما يلي مناقشة لبعض هذه العناصر:

أولا: وضع الفروض البحثية: يعتبر وضع الفروض في التحليل النوعي مفيدا ولكنه ليس ضروريا في جميع الأحوال. تساعد الفروض البحثية على قدرة الباحث على وضع حدود لمجال دراسته وتزيد من فرص إتمام دراسته. ولكن من أين تأتي الفروض البحثية؟ تأتي من الأدب العلمي لموضوع الدراسة، أي من المراجع العلمية ومن خبرة الباحث الشخصية والمهنية ومن النظريات الاجتماعية أو التعميمات الصادرة عن البيانات الإمبيريقية. ويمكن للباحث أن يضع عددا من الفروض البحثية لتوجيه دراسته ولكن يجب أن يكون لكل فرض هدف ومجال مميز. ويساهم كل فرض في تحديد مجال جمع البيانات وتحديد توجه ومجال الدراسة. وتساهم الفروض جميعها في وضع الأساس للإطار المفهومي للدراسة (Miles and Huberman, 1994; Stake, 1995). هذا وتجدر الإشارة إلى أن الفروض البحثية قد لا تتواجد في دراسة الحالة الاستكشافية أو دراسة الحالة الفريدة نظرا لأن الباحث لا يمتلك الخبرة أو المعرفة أو المعلومات الكافية من الأدب العلمي والتي عليها يمكن أن يؤسس لفروضه البحثية. وفي الوقت الذي يستخدم فيه معظم الباحثين مصطلح "الفروض البحثية" نجد أن ستيكس (Stakes) يستخدم بدلا من ذلك مصطلح "القضايا Issues،" حيث يشير إلى أن القضايا ليست بسيطة أو خالصة حيث أنها ترتبط ارتباطا عضويا بالسياقات السياسية والاجتماعية والتاريخية والشخصية بصورة خاصة (Stakes, 1995: 17). ولكن يتفق كل من ين (Yin) و ستيكس (Stakes) على أن المفترضات والقضايا تعتبر عناصر ضرورية في دراسات الحالة حيث أن كليهما يؤديان إلى بناء إطار مفهومي يوجه الدراسة.

ثانيا: الإطار المفهومي: بينما يتحدث ستيكس (Stakes) و ين (Yin) عن الإطار المفهومي إلا أنهما لم يقدما وصفا لهذا الإطار أو يعرضا نموذجا للإطار الفهمي يمكن الرجوع إليه. ولكن مايلز و هوبرمان (Miles and Huberman) قد نجحا في ذلك حيث يشيران إلى أن الإطار الفهمي يحقق أهدافا عديدة: (أ) تحديد من ومن لن تشمله الدراسة، (ب) وصف العلاقات القائمة بين المتغيرات بناءً على المنطق والنظرية والخبرة، (ج) إمداد الباحث بفرصة لجمع البنى العامة في "صناديق" فكرية (Miles and Huberman,

8 :1994). هذا ويمثل الإطار المفهومي مرتكزا للدراسة يرجع إليه في تفسير ومناقشة النتائج.

ثالثا: استخراج أسئلة البحث: لا تختلف دراسة الحالة عن الطرق البحثية الأخرى من حيث ضرورة البدء بتحديد الأسئلة البحثية المتميزة نظريا وعمليا بالإضافة إلى تصور بعض التوقعات الحدسية فيما يتعلق بالإجابات المحتملة لأسئلة البحث، وتصور بعض الأشكال السببية أو العلاقية التي يمكن أن توجه تصميم دراسة الحالة. نحن نعلم أن مثل هذه الأشكال العلاقية تعتمد في البحوث الوضعية على النظرية، ولكن في البحوث التفسيرية أو الفهمية لا ينظر إلى النظرية مسبقا. هذا ويمكن أن تعدل الأسئلة البحثية والأشكال السببية أو العلاقية فيما بعد أثناء إجراء الدراسة، وهو أمر لا يتم في البحوث الوضعية (Bhattacherjee, 2012).

رابعا: اختيار موقع الحالة: هنا يقوم الباحث بعملية المعاينة النظرية Theoretical sampling من أجل تحديد مواقع دراسة حالته. وتعتمد هذه المعاينة على الاختيار تبعا أو اعتمادا على اعتبارات نظرية، ليست إحصائية، مثل تكرار حالات سابقة، تطوير نظريات سابقة، أو لتكملة مكونات نظرية Theoretical categories أو نماذج مثالية معينة. ويجب التأكد من أن اختيار المواقع الدراسية يتناسب مع طبيعة أسئلة البحث، ويقلل من التباين الخارجي الراجع لمحددات خارجية، ويرفع قدر الإمكان من التباين في المتغيرات التابعة ذات الاهتمام في الدراسة. فعلى سبيل المثال إذا أراد الباحث اكتشاف الكيفية التي تتفوق فيها منشآت معينة في مجال الابتكار عن منشآت أخرى فعليه أن يختار منشآت ذات أحجام متشابهة داخل نفس الصناعة أو النشاط من أجل تقليل تأثير نوع الصناعة أو حجم المنشأة ثم يختار منشآت أكثر ابتكارا مع منشآت قليلة الابتكار من أجل زيادة التباين في مستوى ابتكار المنشأة. ويراعى أن يتم التواصل مع شخص تنفيذي في الحالات المختارة لديه السلطة التي تمكنه من الموافقة على الدراسة أو مع شخص يمكنه التواصل مع هذا الشخص التنفيذي وذلك بدلا من سبل التواصل المعتمدة على المكالمات التليفونية أو التواصل بالبريد مع الحالة المراد اختيارها. ويقوم الباحث في هذه المحادثات بوصف طبيعة وهدف الدراسة والمكاسب المحتملة للحالة وكيفية استعمال البيانات التي سوف تجمع

والأشخاص المعاونين في إجراء الدراسة والأشخاص المراد مقابلتهم في لقاءات المقابلة الشخصية وغير ذلك من إجابات على التساؤلات المحتملة من جانب هذا التنفيذي. كما يجب على الباحث أن يؤكد على سرية وخصوصية وعدم الإعلان عن المنشاة والأشخاص المبحوثين.

خامسا: اختيار المبحوثين: يمكن أن يختار الباحث المبحوثين على مستويات منظمية مختلفة أو أقسام مختلفة أو وظائف مختلفة لجمع وجهات نظر متباينة حول الظاهرة موضع الدراسة. ويجب اختيار المبحوثين المهتمين والمنخرطين في الظاهرة المدروسة والراغبين والقادرين على إجابة اسئلة المقابلة الشخصية.

سادسا: إجراء دراسة استطلاعية: تساعد الدراسة الاستطلاعية في اختبار وتنقية واحد او اكثر من جوانب الدراسة النهائية مثل تصميمها، أو الاجراءات الميدانية، أو أدوات جمع بياناتها، أو خطط تحليلها. وتتراوح المعلومات المتحصل عليها من الدراسة الاستطلاعية ما بين القضايا اللوجستية مثل معرفة الوقت اللازم لتغطية إجراءات محددة، إلى قضايا أكثر موضوعية مثل تعديل أو تنقية الأسئلة البحثية. ويجب إخطار المبحوثين بأن هذه دراسة استطلاعية لأنهم سيكونون تواقين للمشاركة لأنهم سوف يسعدون بتعديل الدراسة بالطريقة التي تكون أكثر تحقيقا لحاجاتهم. فعلى سبيل المثال قد يرغب المبحوثون في رؤية شخص خارجي يكون مرتبطا أو مؤثرا في قضايا مهمة بالنسبة لهم. وقد يرغبون أحيانا أن يفيدهم الباحث بنتائج هذه الدراسة الاستطلاعية بعد الانتهاء منها.

سابعا: تجميع البيانات: ما هي البيانات؟ البيانات هي المشاهدات المفردة لأي شيء ربما كان أم كلمة أم صورة أم شيئا ماديا، مثل الهرم الأكبر أو ارتفاعه أو وزن الحجر المبني منه، أما المعلومات فهي تطوير معنوي للبيانات مثل كتاب عن الهرم الأكبر، أما المعرفة فهي تطوير أعلى للمعلومات مثل تقرير يشرح الطريقة المثلى لصعود الهرم الأكبر، أو تقرير يشرح الهرم الأكبر ضمن الأعاجيب السبعة في العالم. ومن ثم يتضح أن البيانات هي الوحدات الأدنى والأصغر لعناصر مسجلة ناتجة عن المشاهدة والخبرة والتجربة.

وبالرغم من أن البيانات خارجية بالنسبة للباحث إلا أنها في الواقع ليست خارجية تماما، حيث أنها تكون في جمع البيانات من إخراج وتشكيل الباحث. وهذا يوضح مرة أخرى أهمية الباحث في البحوث النوعية. إن ما يسجله الباحث في تجميع البيانات هو نتيجة تفكيره الخاص والمعنى الذي يحمله هو لهذه البيانات.

وبالنسبة لجمع البيانات فيفضل تسجيل المقابلة الشخصية إلكترونيا لكي تكون مرجعا للمستقبل ولكن بعد موافقة المبحوثين. وعلى الباحث، حتى ولو كانت المقابلة الشخصية مسجلة، أن يقوم بتسجيل مدونات يسجل بها تعليقات المبحوث وانتقاداته واستجاباته الشكلية مثل لغة الجسد والانطباعات الشخصية حول المقابلة الشخصية. وبعد اكتمال كل مقابلة يجب أن تُسجَّل المقابلة بأكملها حرفيًا في مستند نصي للتحليل.

قاعدة البيانات: يعتبر تعدد مصادر البيانات من أهم مميزات بحوث دراسة الحالة، حيث أنها استراتيجية تدعم وتحسن من صدق البيانات Data credibility (Patton, 1990; Yin, 2003). وتشمل هذه المصادر من بين ما تشمل الوثائق، السجلات الأرشيفية، المقابلات الشخصية، المصنوعات المادية أو التحف، الملاحظة المباشرة، والملاحظة بالمشاركة. كما يمكن أيضا للباحث أن يجمع بيانات كمية ويستدخلها في دراسته النوعية وهذا لما يسر من تحقيق الفهم الكلي للظاهرة المدروسة. هذا وتجمع البيانات من المصادر المتعددة وتدمج في عملية التحليل وليس مجرد دراسة كل منها على انفراد. ويؤدي هذا الدمج وذلك التكامل إلى زيادة قوة النتائج. وبالرغم من جاذبية جمع البيانات من مصادر متعددة إلا أنه على الباحث أن يحذر من التمادي فيها وإلا سيصعب عليه إدارة هذه البيانات والاستفادة منها. وتساعد برامج التحليل النوعي للبيانات Computer Aided Qualitative Data Analysis Software (CAQDAS) في توفير صناديق "Bins" تنظم فيها البيانات. وبالإضافة إلى إنشاء هذه الصناديق فإن هذه البرامج تيسر من ترميز تفاصيل المصدر البياناتي، وتسجل تاريخ ووقت جمع البيانات، وتخزين البيانات والبحث فيها (Wickham and Woods, 2005).

وحيث أن "المقابلة الشخصية" هي الأداة الرئيسية لجمع البيانات فيجب أن يصمم بروتوكول المقابلة الشخصية لتوجيه عملية المقابلة. ويتمثل ذلك بصورة أساسية في قائمة من

الأسئلة المفتوحة أو المقفلة أو خليط منها. ويجب الالتزام ببروتوكول المقابلة وعدم تغيير الأسئلة أو ترتيبها أو تخطى أسئلة معينة أثناء المقابلة الشخصية. ومع ذلك فيمكن أن يسمح ببعض الانحرافات من أجل التعمق أكثر في تعليقات المبحوثين التي قد تكون شيقة أو مهمة أو قد تكون غير واضحة. ويجب أن يحافظ الباحث على لهجة محايدة حتى لا يقود المبحوثين إلى اتجاه معين مثل إظهار الموافقة أو الرفض لإجابات معينة.

وهناك أربعة أنواع وطرق بحثية لتجميع بيانات البحوث النوعية ذكرها ين (Yin, 2011) في الجدول التالي:

جدول ٨ . أنواع وطرق جمع البيانات في البحوث النوعية

طريقة جمع البيانات	نماذج توضيحية للبيانات	أمثلة محددة من البيانات
المقابلة والمحادثة	اللغة (القولية والجسدية)	تفسير إنسان آخر لسلوك ما أو لذكريات معينة
المشاهدة	إشارات أو إيماءات الناس، التفاعلات الاجتماعية، المناظر والبيئة الطبيعية.	مقدار وطبيعة التنسيق بين الناس، والترتيبات المكانية.
جمع وفحص البيانات	محتويات الوثائق الشخصية، المواد المطبوعة، الرسومات، السجلات الأرشيفية، والتحف.	العناوين، والنصوص والتواريخ، والتسلسل الزمني، والكلمات المكتوبة الأخرى، والإدخالات في سجلات المحفوظات.
المشاعر	الأحاسيس	برودة أو دفء المكان، مفهوم الوقت، فهم وتقدير إحساسان الناس بالراحة أو التعب.

المصدر: (Yin, 2011: 131).

طرق جمع البيانات

١. المقابلة والمحادثة: تعتبر المقابلة الشخصية من الطرق الاساسية لجمع البيانات في دراسات البحوث النوعية، ومن ثم فيعتبر بروتوكول المقابلة الشخصية أحد أهم المجالات الهامة في تصميم البحوث النوعية، حيث توفر المقابلة الشخصية قدرا كبيرا متعمقا من المعلومات المتعلقة بالمبحوثين بالنسبة لوجهة نظرهم في موضوع محدد (Turner, 2010).

وتعتبر المقابلة من أحد أهم وسائل البحث العلمي، و التي تستخدم في بعض أنواع الأبحاث العلمية الهامة، فهي تؤدي دورا حيويا في جمع المعلومات والحقائق اللازمة في إنجاز البحث العلمي المطلوب.

وهناك ثلاثة أشكال لتصميم المقابلة الشخصية وذلك من أجل التوصل إلى بيانات غنية ثرية في البحوث النوعية (Creswell, 2007). يلخص جول وآخرون (Gall, et.al., 2003) هذه الأشكال فيما يلي: المقابلة باتباع المحادثة غير الرسمية Informal conversational interview، المقابلة باتباع دليل عام General interview guide approach، وأخيرا المقابلة القياسية المفتوحة Standardized open-ended interview.

٠١. **المقابلة باتباع المحادثة غير الرسمية:** تعتمد هذه الطريقة كلية على التوليد التلقائي للأسئلة من خلال حديث تفاعلي تلقائي، وهي ما تحدث عادة أثناء الملاحظة بالمشاركة. ولا يقوم الباحث في هذه الطريقة بسؤال أسئلة محددة مسبقا، ولكن يعتمد على التفاعل مع المبحوثين ليوجه عملية المقابلة (McNamara, 2017).

٠٢. **المقابلة باتباع دليل عام:** هذه المقابلة أكثر بناءًا من السابقة، ولكن لا زال هناك قدر كبير من المرونة في بنائها (Gall, et.al., 2003). ويتسم هذا النوع من المقابلة بأن الأسئلة فيها ليست متسقة تماما، وذلك لأن الباحث يمكن أن يبدل أو يغير الطريقة التي يضع بها السؤال. ومن ثم فإن المبحوثين قد لا يجيبوا على الأسئلة بطريقة ثابتة اعتمادا على الطريقة التي يوضع بها السؤال أو الأسئلة (McNamara, 2017).

٠٣. **المقابلة القياسية المفتوحة:** هذا النوع من المقابلة الشخصية يتسم بقوة البناء بالنسبة لصياغة الأسئلة. فهنا يتم سؤال المبحوثين بنفس الأسئلة دون تحوير فيها، ولكن

تصاغ الأسئلة بحيث تكون مفتوحة (Gall, et.al., 2003). ويسمح انفتاح الأسئلة للمبحوثين بإدلاء التفاصيل المرغوبة في إجاباتهم. كما يسمح للباحثين بتوجيه أسئلة تحققية كنوع من المتابعة والتأكد من النتائج. وغالبا ما يكون هذه النوع من المقابلة هو الأكثر تفضيلا بين الباحثين.

وبالرغم من أن ين (Yin, 2011: 132-133) يعترف بأن المقابلة الشخصية يمكن أن تأخذ أشكالا كثيرة إلا أنها جميعا يمكن أن تندرج تحت نوعين أساسيين: المقابلات المبنية (المقيدة) Structured interviews والمقابلات النوعية Qualitative interviews.

ويقدم ماكنمارا (McNamara, 2017) مقترحات عند اجراء المقابلة الشخصية من حيث اختيار مكان لا تشويش فيه، وشرح الغرض من المقابلة، والتأكيد على سرية المعلومات، وتوضيح شكل المقابلة، وتحديد وقت المقابلة للمبحوث، وسؤال المبحوث عن كيفية الاتصال به ثانية إذا لزم الأمر، والإجابة على تساؤلاتهم، وعدم الاعتماد على الذاكرة لتسجيل الإجابات عن الأسئلة.

ونظرا لأهمية المقابلة في البحوث النوعية يذكر نفس الباحث (McNamara, 2017) بعض التوصيات الممتازة عند إجراء المقابلة الشخصية تتمثل في: التأكد من أخذ الملحوظات سواءً من خلال المسجل أو التسجيل الكتابي، توجيه سؤال واحد فقط تلو الآخر، الظهور بمظهر الشخص غير المتحيز أو المتعاطف مع اتجاه أو إجابة معينة، تشجيع استجابة المبحوث من خلال إيماءة بالرأس كل وهلة، وتوضح مواقف الانتقال من موضوع إلى آخر، مثل قول كنا نتكلم عن كذا والآن دعنا ننتقل إلى موضوع كذا، التحكم في سير المقابلة بحيث لا تحيد إلى موضوعات أخرى قد ينخرط فيها المبحوث.

هذا ويقترح فيل (Kvale, 2007) أن يجرى اختبار تجريبي Pilot test للمقابلة لتحديد أخطائها وأوجه قصورها ونقاط ضعفها الأخرى، كما يسمح هذا الاختبار بإجراء المراجعات الضرورية للمقابلة قبل استخدامها مع المبحوثين. ويجب أن يجرى هذا الاختبار مع مشاركين لهم نفس اهتمامات المبحوثين المستهدفين بالدراسة.

٢. المقابلة المتعمقة: Indepth interview يعتبر النوع الأول الذي ذكره جول وآخرون (Gall, et.al., 2003) أعلاه **نوعا** مما هو معروف بالمقابلة المتعمقة، وهي التي تعتبر

التصميم المفضل لدي الباحثين النوعيين لأنه يتوافق مع منظورهم الإبستمولوجي المعتمد على خلق المعاني كعملية مشاركية بين الباحث والمبحوث. وهذا لما يستلزم التفصيل النسبي في عرض مفهوم وتقنية إجراء المقابلة المتعمقة. وفيما يلي بعض الاعتبارات التي يمكن للباحثين في البحوث النوعية النظر إليها:

أ. يفضل أن يبدأ الباحث بتوجيه الأسئلة البسيطة للمبحوث، كما يجب على الباحث أن يوضح للمبحوث طبيعة ما يقوم به من عمل إلى جانب الغرض من هذه المقابلة والتأكيد على أن المقابلة ليست موجهة من أي جهة وأنها لغرض البحث العلمي والتطوير والتنمية وذلك لكسب ثقة المبحوث وتشجيعه على إفضاء المعلومات بغزارة وحماس.

ب. يجب أن ينظر الباحثون المبتدئون إلى المقابلة المتعمقة على أنها حوار بين الباحث والمبحوث لغرض اكتشاف المعاني التي يكنها المبحوث، ولا يفترض أن يهيمن الباحث بالكلام مع المبحوث، حيث يجب أن يكون منصتا مستعلما أكثر من كونه صاحب رأي أو مفهوم مسبق.

ج. لا يعنى أن يكون الباحث منصتا أكثر من كونه متحدثا أن يمتنع عن المشاركة في الحوار بينه وبين المبحوث، إذ يجب على الباحث أن يظهر اهتماما واندماجا في الحديث من خلال الإشارات الجسدية مثل الإيماءات ولغة التأمين على الحديث وإشارات الجسد والعين لتحقيق الألفة والثقة بين الباحث والمبحوث. وأحيانا يصدر المبحوث إيحاءة معينة، وهنا يفضل أن ينتهز الباحث هذه الفرصة، ويسأل عن المقصود بتلك الإيحاءة، حيث يكتشف معلومات هامة في الوقت الذي يبدي فيه اهتمامه بالمبحوث مما يشجع الأخير على إثراء المقابلة.

د. يجب أن يراعي الباحث الحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات من المبحوث في المقابلة المتعمقة، والتي ستختزل بعد ذلك في مرحلة التحليل والاستبطان والتأويل. ويساعد ذلك بصورة خاصة في بناء النظرية. ومن وسائل تحقيق ذلك، لجأ الباحثون النوعيون إلى بدء المقابلة بما أطلقوا عليه "أسئلة الجولة الكبرى Grand tour

"questions (Spradley, 1979: 86-88). ويتناول سؤال الجولة الكبرى موضوعا عريض دون التأثير على المحادثة من خلال عرض موضوع محدد قد يهتم به الباحث.

هـ. يجب على الباحث أن يختار المبحوثين الذين ستتم معهم المقابلة المتعمقة بحيث يكونوا قادرين على إعطاء معلومات عن موضوع الدراسة وأصحاب معلومات ثرية حوله. كما يراعى أن يختار من المبحوثين من يرغب في التعبير عن قصص وحكايات يرغب هو في التعبير عنها، وذلك لتحقيق العمق والثراء في المعلومات والبيانات المتحصل عليها من المقابلة.

و. يراعى أن تستغرق المقابلة من ساعة إلى ساعتين في مكان وزمان يسمحان للباحث والمبحوث بالتركيز فيه والتفرغ للحديث طوال تلك المدة. وبالطبع لو زادت المقابلة عن ساعتين فلا ضرر في ذلك.

ز. يمكن أن يبدأ الباحث بالمقابلة المتعمقة لمبحوث أو اثنين ثم يتوجه بعد ذلك لتنفيذ مقابلة مقننة مع عدد من المبحوثين (٢- ٣ مبحوثين)، ثم يعود لإكمال المقابلة المتعمقة مع عدد قليل أيضا من المبحوثين ثم يعود إلى المقابلة المقننة مع عدد قليل أيضا، ثم يعود لإكمال المقابلة المتعمقة بحيث ينتهي بحثه بعدد ستة حالات من المقابلة المتعمقة وحوالي ٥٠ حالة على الأقل من المقابلة المقننة، فهنا يتوفر للباحث نوعين من البيانات يمكن من خلالهما الدمج بين البحث النوعي والبحث الكمي، ومن ثم فتزداد فرص التحقق الإمبيريقي من الأطر النظرية أو المفهومية التي تميز الدراسات النوعية في بنائها. وهنا يمكن المقارنة بين المبحوثين وتسهل عملية التعميم. ويساعد هذا الأسلوب المقترح على تحقيق الأهداف التي عادة ما تسعى إليها المقابلة الاستطلاعية وبصورة مستمرة على مدار البحث، ذلك أن الباحث يتمكن من اكتشاف وضوح دليل المقابلة، وإضافة الموضوعات المرتبطة البازغة، والربط والدمج بين المفاهيم والمعاني.

ح. يراعى عند وضع دليل مبدئي للمقابلة المتعمقة أن يحدد الباحث مجالات عامة يتضمنها بحثه ثم يضع الأسئلة الخاصة بها. ويعتبر الباحث كل مجال مسارا معينا بالمقابلة

المتعمقة. وعلى الباحث أن يتضمن في بروتوكول المقابلة الأسئلة التي تندرج تحت كل مجال.

ط. ويمكن أن تجرى المقابلة بطريقة غير مباشرة أي دون مواجهة مع المبحوثين، وذلك من خلال الإيميل أو التليفون. وقد يلجأ الباحثون إلى هذا الأسلوب نظرا لضيق الوقت أو الموارد، ولكن تكلفة هذا الاختزال كبيرة حيث تفتقد روح المقابلة في الدراسات النوعية وهي الاندماج والتفاعل والتطور التلقائي للحديث والذي ينتج عن المواجهة الشخصية. ولذلك فيجب أن يكون اختيار المقابلة المتعمقة غير الشخصية آخر الخيارات الممكنة.

ي. ومن وسائل تحقيق الموضوعية والحيادية في المقابلة المتعمقة أن يتأمل الباحث نفسه في ذاته وتحيزاته، ذلك لأن هذه التحيزات والمفاهيم المسبقة جزء طبيعي من شخصية أي إنسان بما في ذلك أمهر الباحثين. ولكن وعي الباحث بهذه التحيزات ومحاولة التحكم فيها على الأقل أثناء إجراء المقابلة المتعمقة يساعد كثيرا في تحقيق الموضوعية والتوصل إلى صدق البيانات والمعلومات التي ترد من المبحوثين.

ك. ومن وسائل تحقيق الموضوعية أيضا تجنب أنواع معينة من المقابلة التي تؤثر بطريقة سلبية على المبحوثين مثل إجراء مقابلة مع المرؤوسين، أو مقابلة المدرسين لتلاميذهم، أو المقابلة مع الأقارب. هذا ما ذكره سيدمان (Seidman, 2006) في كتاب كامل عن "المقابلة كبحث نوعي: دليل للباحثين في التعليم والعلوم الاجتماعية". وهو ينصح فيه الباحثين أيضا أن يجعلوا العلاقة بينهم وبين المبحوثين في المقابلة الشخصية علاقة تتسم بخصائص علاقات الصداقة ولكن دون صداقة، وأن يكون الباحث مستجيبا ولكن مع الحفاظ على استقلالية المبحوث ليقول كل ما يريد.

ل. ترتبط كفاءة عملية المقابلة وتتأثر بمدى التشابه أو الاختلاف بين الباحث والمبحوث. ويبدو هذا الأمر واضحا في المجتمعات الريفية أو بين الجماعات العرقية الخاصة. فإذا كان المبحوثون نساءً في المجتمعات الريفية والبدوية بصفة خاصة فيستحسن كثيرا أن تقوم امرأة بإجراء المقابلة المتعمقة بعد تدريبها بطبيعة الحال. يؤدي ذلك إلى الحصول على ألفة وتوافق بين الباحث والمبحوث والحصول على بيانات ثرية. فعلى سبيل المثال

يقول وارين (Warren, 1988) "إنها في الغالب لحقيقة مؤكدة في بحوث المقابلة، أنه في معظم المواقف يكون النساء أكثر قدرة على الوصول إلى ألفة أعلى مع المبحوثين نظرا لطبيعتهم غير المهددة (الهادئة) كما يتسمن بمهارات تواصلية أعلى من الرجال" (ibid.: 44). كما قام كل من مورين بادفيلد و إيان بروكتور(Padfield and Procter, 1996: 355-366) بدراسة عن تأثير النوع على عملية المقابلة حيث اقتسم الباحثان (الأول امرأة والثاني رجل) ٣٥ مقابلة بينهما وتبين من نتائج الدراسة أنه لم يكن هناك فروق معنوية في الأسئلة المحددة في المقابلة، ولكن كانت هناك فروق معنوية في إضافات المبحوثين حيث كانت نسبة ثراء الإضافات هذه عالية في مقابلات الباحثة عن تلك الخاصة بمقابلات الباحث وخاصة فيما يتعلق بالأمور الحساسة كالإجهاض والجنس وما شابه ذلك.

م. نظرا لأن المقابلة المتعمقة تحاول أن ترصد طبيعة واتجاهات الظروف السياقية المحيطة بالمبحوث فيجب أن تكون المقابلة المتعمقة طويلة تستغرق وقتا طويلا حتى أن بعض الباحثين (Yin, 2011: 135 and Seidman, 2006: 16-19) يقترحون أن تجرى المقابلة في سلسلة من اللقاءات لنفس المبحوث. فعلى سبيل المثال، يمكن أن تجرى المقابلة على مدار ثلاثة لقاءات كل لقاء ٩٠ دقيقة على مدار عدة أيام وقد تكون عدة أسابيع. يمكن أن يختص اللقاء الأول سياق خبرة المبحوث من خلال تغطية ظروفه أو خلفيته الشخصية، ويختص اللقاء الثاني بالتركيز على بنيان الخبرة الخاصة به والمتعلقة بموضوع الدراسة، وأخيرا يمكن أن يختص اللقاء الأخير باستخلاص ورصد المعاني لدي المبحوث والمتعلقة بخبرته بموضوع الدراسة.

ن. أخيرا يجب أن يتذكر الباحث أنه شأنه شأن أسلوب جمع البيانات في البحوث النوعية، يجب أن يتزامن تحليل البيانات مع جمع البيانات. ويحدث مثل هذا التحليل في قرار الباحث مثلا متى يسعى للمزيد من رصد التفاصيل، ومتى يقرر تغيير الموضوع، وكيف يعدل بروتوكول المقابلة الأول ليتضمن اكتشافات جديدة. كل هذه عبارة عن اختيارات تحليلية يجب أن يؤديها الباحث بطريقة سلسلة لا يفاجأ بها المبحوث أو يفقد سلسلة أفكاره أثناء الحديث.

س. هناك ملحوظة أخيرة لا يتحدث عنها الباحثون، وهي في تقدير المؤلف الحالي، من الأهمية بمكان، ألا وهي هيئة الباحث وروحه الشخصية، واللذان يحددان طريقة بدء المقابلة المتعمقة وإنهائها. يجب أن يكون الباحث قدر إمكانه مقبولا محبوبا لدي المبحوث علما بأن هذا أمر قد تحدده شخصية الباحث نفسها وثقافته وخلفيته الاجتماعية. ولكن على العموم إذا كان الباحث على وعي بأهمية هذه النقطة فإنه سيحقق أكبر قدر ممكن منها، خاصة وأنه يكرر اللقاءات مع نفس الباحث وقد يحتاج إلى الرجوع إليه في المستقبل للاستعلام عن أمر مهم ناشئ.

٣. المشاهدة: Observing يمكن أن تكون المشاهدة أو الملاحظة طريقة لا تقدر بثمن لجمع البيانات لأن ما يراه الباحث بعيونه ويتصوره بحواسه الخاصة لا يتم إدراكه بما قد يكون الآخرون قد أبلغوه (أو قد أبلغهم) عنه، أو ما قد يراه مؤلف بعض المستندات. وفي هذا السياق تكون ملاحظات الباحث شكلا من أشكال البيانات الأولية المهمة جدا.

ويمكن أن تجرى المشاهدة بطريقة منتظمة تسلسلية، بمعنى مشاهدة أنماط معينة من السلوك لعديد من الحالات ويمكن ترقيم هذا الأنماط تدرجيا أو رقميا ومن ثم يمكن استعمال هذه البيانات بمنهج كمي إحصائي، وهنا يتجسد مثال آخر للتكامل بين البحوث الكمية والبحوث الكمية. وقد تجرى الملاحظة حتى في صورة شبه تجريبية كأن تقارن هذه الأنماط بين مجموعتين متشابهتيين فيما عدا متغير مؤثر معين كالتدخين مثلا حيث تقارن تلك الأنماط بين المدخنين وغير المدخنين.

وعادة ما تكون المشاهدة في البحوث النوعية مستمرة في أمكنة مختلفة وأزمنة مختلفة. فعادة ما لا يوجد مكان واحد وزمن واحد يمكن أن يستوعب كل الجوانب الخاصة بموضوع الدراسة. ولذلك فمن المهارات اللازمة لدي الباحث، وهذا يذكرنا مرة أخرى بأهمية دور الباحث في الدراسات النوعية، أن يحدد أماكن متعددة وأزمنة متعددة قد تكون أياما بل وأسابيع وحتى ربما مواسم معينة تتكرر فيها المشاهدة. ومن ثم فيستحسن دائما أن يسجل الباحث ما يشاهده في يوم معين وفي مكان معين حتى يكون تحليله للبيانات فيما بعد غير متحيز ومحدد بسياق معين.

ولكن ماذا يشاهد الباحث في هذه السياقات المتعددة؟ تتعلق الإجابة بموضوع الدراسة بطبيعة الحال. ولكن هناك جوانب معينة يمكن أن تتضمن خصائص المبحوثين بما فيها من زي وإيماءات وسلوكيات غير كلامية مثل التفاعل بين الناس، أو الأفعال الحادثة سواء كانت أفعالا بشرية أو آلية، والمحيط الطبيعي بما فيه من مؤثرات بصرية وسمعية. يغطي جزء من الفئة الأخيرة ما يمكن تسميته "الدعائم Props" (Murphey, 1980) ، والتي تشمل المعلقات الحائطية والملصقات واللوحات والكتب على أرفف الكتب والأشياء الأخرى المرتبطة بشخص معين أو منظمة ذلك الشخص. ويمكن أن تقدم الدعائم أدلة حول الأحداث السابقة التي قد تكون ذات معنى لفرد أو مؤسسة ويمكن أن تكون الدعائم بمثابة نقطة انطلاق في بدء مقابلة نوعية.

إن قضية الانعكاسية Reflexivity، وهي التأثير والتأثر المتبادل بين الباحث والمبحوث نتيجة لمشهد الملاحظة قد تؤثر على حيادية السلوك سواءً من جانب الباحث أو من جانب المبحوث. إن مثل هذه الانعكاسية أمر لا مفر منه وتستحق بعض التعليق في التقرير النهائي للدراسة. ويمكن التدنية من حدوث الانعكاسية عن طريق اللجوء إلى اكتشاف بعض الأنشطة البشرية السابقة مثل الآثار الجسدية للنشاط البشري، الزوايا المنعطفة للصفحات في كتاب قرأه شخص آخر، وكذلك الصور والتسجيلات التي أعدها الآخرون كجزء من حياتهم اليومية. ويمكن اعتبارها كلها مصدر ما يسمى التدابير غير المزعجة (Webb et.al., 1966; 1981). إن القيمة الرئيسية لهذه التدابير هي أنها تنطوي على مواقف "غير متفاعلة"، حيث لا يمكن للباحث التأثير على سلوك المبحوثين الذين أنتجوا الآثار المادية. وتسمى هذه التدابير بمصطلحات مختلفة مثل Unobtrusive measures أو Nonobtrusive measures أو Nonreactive measures.

التمعن وتثليث الدلائل في المشاهدة مع مصادر أخرى: تهتم الدراسة النوعية بالمفاهيم الأوسع المتعلقة بالسلوك الاجتماعي للأشخاص، مثل إجراءاتهم وطقوسهم وتفاعلاتهم مع الآخرين. ويلزمنا هنا تدوين ملاحظات وتسجيلها حتى تتاح لنا الفرصة، إن لم يكن في وقت المشاهدة يكون في وقت الإجراءات التحليلية اللاحقة، لتحديد هذه المفاهيم الأكثر أهمية. وتكون المعاني التي نستمدها من مشاهداتنا عبارة عن استنتاجات من نوع ما مثلما إذا كان التفاعل المعين بين شخصين يمثل الرفض لشخص واحد من جانب الآخر، أو ما

إذا كانت زخارف مكتب المسؤول تعكس شخصًا ذا مكانة عالية في منظمة ما. ويمكننا تدعيم هذه الاستدلالات من خلال جمع بيانات أخرى، مثل بيانات المقابلات، لإثبات استنتاجاتنا أو تحديها. وهذا مثال آخر لـ "التثليث" الذي يعد جزءًا أساسيًا من جمع البيانات النوعية.

٤. تجميع وفحص البيانات: يقصد بـ "التجميع" تجميع الوثائق (المستندات والتحف والسجلات الأرشيفية) المتعلقة بموضوع الدراسة. تحدث معظم عمليات التجميع أثناء تواجد الباحث في الحقل، ولكن يمكن أيضًا جمع أشياء من مصادر أخرى بما في ذلك المكتبات والأرشيفات التاريخية والمصادر القائمة إلكترونياً. وفي بعض الأحيان، لا يتمكن الباحث من أخذ شيء معه. في هذه الحالات، قد يرغب في قضاء بعض الوقت في فحصها. ويمكن لأي من الأشياء التي تم جمعها (أو فحصها) إنتاج مجموعة متنوعة من البيانات اللفظية والرقمية والرسوم البيانية. ويمكن أن تكون البيانات حول البيئة المادية والاجتماعية (على سبيل المثال، الصور الموجودة في سياق الحقل وأعضائه)، ولكن يمكن أيضًا أن تنتج بيانات لا تقدر بثمن عن أشياء لا يمكن ملاحظتها بشكل مباشر (مثل الموضوعات المجردة كسياسات وإجراءات المنظمة، كما هو موضح في المستندات)، ويمكن أن تكون هذه المنتجات علاقات إنسانية (مثل تبادل الرسائل بين شخصين)، والمزيد من المعلومات التاريخية (مثل الاتجاهات التي كشفت عنها السجلات الأرشيفية). بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن تشمل الأشياء التي تم جمعها تلك التي ينتجها المبحوثون مباشرة، مثل المجلات والصور الفوتوغرافية، والتي قد يكمل استخدامها المعلومات التي تم الحصول عليها من المقابلات مع المبحوثين (Murray, 2009: 118).

وهناك أسلوبان يمكن أن يساعدا على جعل هذه الأشياء المجمعة مثمرة. أولا، الحصول على فكرة أولية عن المجموعة الكاملة لأي نوع من الأشياء التي سيتم جمعها، مثل عدد ونطاق الوثائق المتاحة، أو حجم ونطاق أرشيف البيانات الإحصائية. نتعرف بعد ذلك على الصعوبات التي سنواجهها في الوصول إلى هذه الأشياء واستعادتها، ثم نحدد ما إذا كنا بحاجة إلى جمع الأشياء بأكملها أم إذا كانت عينة منها ستؤدي الغرض. فإذا كانت العينة كافية، نحدد العينة بعناية لتقليل أي تحيز غير مرغوب فيه. ثانياً، بعد القيام بجمع أولي، نراجع على الفور البيانات الناتجة، ثم نفكر في كيفية ملاءمة المواد التي تم جمعها لبقية

الدراسة. نحدد بعد ذلك ما إذا كانت المادة ستكون مركزية ومفيدة لدراستنا مقارنةً بالبيانات الأخرى التي لدينا أو التي سنحصل عليها.

ويمكن استعمال شبكة المعلومات الدولية لاستكمال مراجعة الأدبيات التي تعتبر ضرورية لموضوع الدراسة، ولذلك يجب أن نكون متيقظين لطبيعة هذا النوع من جمع البيانات التي قد تستغرق وقتًا طويلاً. ومن الأولويات القصوى في استخدام المعلومات المستندة إلى الشبكة الدولية ملاحظة مصدر المعلومات وفهمه والاستشهاد به في الدراسة. ويشمل هذا الفهم التعرف على أي تحيزات معترف بها على نطاق واسع والمرتبطة بالمصدر. فعلى سبيل المثال، يمكن أن تكون مقالات الصحف مفيدة للغاية، ولكن يجب أن نعرف شيئًا ما عن سمعة الصحيفة أو موقفها السياسي قبل قبول تحليلاتها الإخبارية. فقد نجد أن الصحف اليومية تختلف اختلافًا كبيرًا في تغطيتها للأحداث المجتمعية. وقد نستبعد التقارير الحكومية "الرسمية" التي تحتوي على معلومات غير مرغوب فيها، والأدهى من ذلك، أن المدونات والمنشورات الشخصية يمكن أن تكون منحازة تمامًا في اختيارها للمواد التي تكون متاحة والمقصود منها. أخيرًا ، عادة ما يكون للبيانات الصحفية وغيرها من أشكال الدعاية العلنية بعض الدوافع الكامنة التي يجب علينا مراعاتها قبل الاستشهاد بها.

٥. المشاعر: Feelings يجب أن نفكر في المشاعر على أنها تغطي مجموعة متنوعة من السمات التي من المحتمل أن تكون مهمة في دراستنا ولا يجب أن نتجاهلها. تمثل بعض المشاعر بيانات واضحة عن البيئة (مثل الدفء والبرودة، الضوضاء والهدوء، أو نبض السرعة الزمنية في السياق). وتمثل المشاعر الأخرى بيانات عن أشخاص آخرين (مثل الشعور بأن شخصًا ما اعتيادي أو متمرد في بيئة عمل، أو أن شخصين بعيدان أو قريبان، أو أن مجموعة تعمل بشكل سلس أو عنيف). وفي الوقت الذي إذا كانت لدينا فرصة أن نسأل أشخاصًا آخرين عن رأيهم في ظروفهم الخاصة فيجب ألا نتجاهل مشاعرنا الخاصة، والتي تمثل موقفًا آخر يتطلب تأكيدًا أو رفضًا من خلال التثليث مع البيانات الأخرى. ويمكن أيضا أن توفر مشاعر الحدس أدلة مهمة لتفسير ما يحدث في موقف معين. ويجب دائمًا أن تعامل مثل هذه المشاعر على أنها بحاجة إلى تأكيد (أو مخالفة) بواسطة بيانات أخرى.

وعموما، هل يمكن تسجيل المشاعر؟ نعم، على الباحث أن يكون حريصا على كتابة تلك المشاعر بعناية قدر إمكانه مسجلا متى حدثت وأين كان مكانها. ومع تسجيل هذه المشاعر يجب على الباحث أيضا أن يصف قدر إمكانه الحادثة، أو السلوك، أو الظرف الذي أثار مثل هذه المشاعر. هذه التسجيلات قد تكون مصدرا لقدر أعظم من التعمق والفهم والإدراك عند جمع بيانات أخرى حول نفس الحادثة أو السلوك أو الظرف.

تقنيات تسجيل البيانات: Techniques of recording data يعد تحديد ما يجب تسجيله جزءًا لا يتجزأ من جمع البيانات النوعية. يجب مراجعة المشاهدات الأولية التي يتم تدوينها أثناء العمل الميداني الفعلي وتنقيحها كل ليلة. في مثل هذه الأوقات، سيجد الباحثون أن ملاحظاتهم الأصلية تحتوي على فجوات وتضاربات غير قابلة للتفسير والتي لا يزال من الممكن إصلاحها. ويمكن أن تكون هذه التسجيلات هي تقنية جمع البيانات الرئيسية للدراسة النوعية، وبالتالي فهي تستحق معالجة دقيقة بما في ذلك الحاجة إلى الحصول على إذن لاستخدام الأجهزة وإذن آخر لنشرها. وفيما يلي بعض الملاحظات المتعلقة بتسجيل البيانات:

١. **التسجيل الشامل أم التسجيل الانتقائي:** ولو أن تسجيل "كل شيء" أمر مستحيل إلا أن بعض الباحثين يدونون ملاحظات كثيرة تتجاوز بكثير احتياجات دراستهم. غالبًا ما يتم نقل عبء هذا الجهد إلى المبحوثين الذين يجب أن يُطلب منهم إما التحدث ببطء أو التوقف مؤقتًا أثناء متابعة الباحث لتدوين الملاحظات. والحكمة هنا تتمثل في معرفة كيفية تسجيل ما يحتاج إليه الباحث دون تعطيل إيقاع أو سرعة المبحوث. ويجب أن تكون الحركة البدنية المستخدمة في تدوين الملاحظات غير مزعجة قدر الإمكان. والنقيض الآخر هو تسجيل القليل جدا والمخاطرة بعدم الدقة أو عدم وجود معلومات كافية لتحليلها. بين هذين النقيضين يكمن وسط ذهبي. فمن خلال الخبرة في إجراء العديد من الدراسات واستكمالها، يجد كل باحث مستوى ارتياحه الخاص به. الهدف من ذلك هو تدوين ملاحظات كافية لدعم احتياجات التحليل والتوليف اللاحق. وقد يؤدي وجود الكثير من الملاحظات في بعض الأحيان إلى شلل في المرحلة التحليلية لأنه قد لا يعرف الباحث من أين يبدأ فرز كل ذلك. وقد يطمح بعض الباحثين في مقاطع وصفية غنية تحاكي للقارئ تجربة "التواجد هناك"، في حين قد يكون من المعروف أن الباحثين الآخرين يقدمون أدلة

دامغة للتركيز الشديد على أسئلة البحث. ومع ذلك، قد يتمكن باحثون آخرون باكتشاف شيء جديد ورائع لم يكن جزءًا من خطة الدراسة الأصلية.

٢. تسليط الضوء على الأفعال وتسجيل الكلمات حرفيا: قد يجد معظم الباحثين أن يومهم الأول كان ساحقًا حتى وإن كانوا قد قاموا بالعمل الميداني سابقا. ولذلك نجد أن طبيعة ما يجب تسجيله يمثل تحديًا للباحثين ذوي الخبرة والمبتدئين على حد سواء. ومن ثم فيبدو أن هناك استراتيجيتين لتسهيل ذلك: تسليط الضوء على الأفعال في الحقل وتسجيل الكلمات حرفيًا. قد يكون "اليوم الأول" فرصة مراقبة كاملة أو قد يتم تمثيله ببساطة عن طريق المقابلة الميدانية الأولى. وفي كلتا الحالتين، قد يواجه الباحث بالكثير من المواقف غير المألوفة. وعادة ما يكون لدي الباحث فكرة بسيطة عن معنى العديد من المشاهدات، بما في ذلك تحديد من هو، في حالة المقابلة، سيكون لديه القليل من الإلمام بالسياق الخاص بمشاهدات المقابلات الخاصة بالباحث بالإضافة إلى هوية الآخرين الذين قد تتم الإشارة إليهم في تلك المشاهدات. وهنا يمكن أن يكون تدوين الملاحظات في ظل هذه الظروف مجرد مسودة قد تبدو مهلهلة. الهدف الرئيسي للباحث هو فهمه للبيئة الجديدة بمبحوثيها بدلا من مجرد تدوين ملاحظات وفيرة. "الاستماع" قد يكون أكثر أهمية من "فعل"، ومن ثم ينبغي القيام به بعقل منفتح. ويعتبر التحدي المبكر في هذه العملية، هو تجنب القوالب النمطية المبكرة من جانب الباحث وذلك في موقف المشاهدة أو موقف المقابلة. ففي موقف المشاهدة، يعد التركيز على الإجراءات التي تحدث في الحقل، بدلاً من وصف شخص أو مشهد، أحد الطرق لملاحظة ما يجري مع تقليل الصور النمطية. ولذلك فإن الهدف هو تسجيل "صورة حية" بدلاً من "صورة نمطية مسبقة" (Emerson, Fretz and Shaw, 1995: 70-71).

ويمكن أن تتضمن الصور الحية أنشطة شخص واحد أو مجموعات من الأشخاص أو خبرة باحث مشارك مراقب. وفي موقف المقابلة، يخدم التركيز على الكلمات الحرفية غرض مشابهًا، فإذا كانت المشاهدات من المقابلة الأولى (أو الإثنتين الأوليين) لا تحتوي على أي شيء آخر، فإنها سوف تتضمن كلمات ومصطلحات وعبارات محددة يستخدمها المبحوث الذي تمت مقابلته، وليس كلمات الباحث المصاغة أو تصوراته عن هذه الكلمات. وقد أشار سبرادلي (Spradley, 1995: 7-8) إلى أن الثقافة، أي المعرفة التي تعلمها الناس

كأعضاء في مجموعة، لا يمكن ملاحظتها بشكل مباشر. فإذا أردنا معرفة ما يعرفه الناس، يجب أن ندخل رؤوسهم. يلاحظ سبرادلي بعد ذلك أن العاملين الميدانيين، من البداية، يجب أن يتعاملوا مع مشكلة استخدام لغة معينة في مشاهداتهم. فالتسجيل الحرفي للكلمات يساعد على الاطلاع على معنى أفكار المبحوثين الذين تمت مقابلتهم بدلاً من معنى مسبق لدي الباحث. فإذا لم يكن الباحث حذرا، فيمكن أن يقع في مخاطر السقوط في منظور عنصري أو غيره من الأفكار المتمحورة حول الذات حيث: (١) ترتبط التعبيرات غير المألوفة بمفاهيم غريبة، (٢) تحمل التفسيرات معها الافتراض غير المعلن بأن نظرة فردية معينة "صحيحة"، أو (٣) تؤطر المفاهيم في إطار "ما يجب أن يكون" (Emerson, Fretz and Shaw, 1995: 110-111).

٣. تذكر الأسئلة البحثية: يمثل تذكر الاسئلة البحثية الاستراتيجية الثالثة لمعرفة ما يجب تسجيله بجانب تسليط الضوء على الأفعال والتسجيل الحرفي للكلمات. فبصرف النظر عن إن كان لدي الباحث بروتوكول بحثي أم لا فلابد أن تكون الدراسة قد بدأت بوضع بعض الأسئلة تمثل الغرض الرئيسي من الدراسة. تم ذلك مع اختيار سياق الحقل الميداني بعد النظر إلى بعض الاعتبارات. ومن ثم فيمكن للباحث أن يجعل هذه النقاط مركز تسجيل ملاحظاته وتوجيه أسئلته ومعطيا إياها الأولوية في التركيز وأن يكون تدوين الأفعال والكلمات الحرفية يتعلق بالأسئلة البحثية.

٤. تدوين الملاحظات حول الدراسات المكتوبة والتقارير والوثائق الموجودة في الميدان: إلى جانب المشاهدة والمقابلات يأتي المصدر العام الثالث للمشاهدات الميدانية من المواد المكتوبة. عادة ما يقوم الباحث بالفعل بتدوين هذه الملاحظات عند مراجعة الأدبيات كجزء من الإعداد لتصميم دراسته البحثية النوعية. ومع ذلك، فمن المحتمل أن يصادف مواد مكتوبة إضافية كجزء من عمله الميداني. فبالنسبة لهذه المواد، يجب ألا يختلف تدوين الملاحظات عن تدوين ملاحظاته في المقابلة مع التركيز مرة أخرى على تدوين الكلمات والعبارات بالضبط كما هي في المواد المكتوبة. وعلى الرغم من أن المواد المكتوبة يمكن أن تكون ضخمة، كما هو الحال في إجراء البحوث الميدانية حول منظمة ما، يجب أن يكون تدوين الملاحظات كاملا قدر الإمكان حتى نتجنب الاضطرار إلى استرداد نفس المادة مرة أخرى في وقت لاحق لمجرد استكمال الملاحظات بدلاً من تأكيد بعض النتائج الجديدة.

وقد يلجأ بعض الباحثين إلى نسخ المواد المكتوبة وهم لا زالوا في الحقل، ولكن يجب أن يسجل الباحث منهم ملاحظات حولها وسبب أهميتها للدراسة. وعند تسجيل ملاحظاته يجب على الباحث أن يكون قادرا على تمييز ملاحظاته عن ملاحظات الآخرين والأحداث الخارجية. هذا ويمكن أن تتضمن الملاحظات الميدانية أيضًا الرسومات أو الرسومات الخاصة بالباحث لأن الرسومات تساعد على تتبع بعض العلاقات أثناء تواجد الباحث في هذا المجال، بالإضافة إلى التذكير بهذه العلاقات بعد الانتهاء من العمل الميداني. إن إنشاء مثل هذه الرسومات لا يتطلب وسيلة لغوية أو قدرا كبيرا من الارتباط مع الإخباريين، بحيث يمكن تقديم الرسومات مبكرا خلال فترة العمل الميداني (Pelto and Pelto, 1978: 193-194).

٥. تحويل الملاحظات الحقلية إلى ملاحظات متكاملة: الهدف الرئيسي هنا هو تحويل الملاحظات الميدانية إلى ملاحظات أكثر اكتمالاً بمجرد حدوث كل حدث ممكن. وتتوافر الفرصة في معظم المواقف، في نهاية كل يوم. لذلك يجب على الباحث، كحد أدنى، أن يخصص فترة زمنية للقيام بالمهمة. ومع ذلك ، لابد أن يكون على استعداد للاستفادة من الفرص التي قد تنشأ خلال منتصف اليوم. وعلى الرغم من أن هذا الروتين اليومي قد يبدو في البداية صعباً للغاية، فقد وجد معظم الباحثين النوعيين أنهم يتطلعون إليه بحماس لأن الوقت يوفر أيضًا فرصة "لجمع الأفكار" والتفكير في ما حدث خلال اليوم. وعند متابعة أسئلة بحثية مثيرة للاهتمام، قد تشتمل الأفكار على اكتشافات محتملة. وإذا لم يكن هناك شيء آخر، فإن الأفكار الليلية توفر أيضًا فرصًا للتفكير (أو إعادة التفكير) في خطط العمل الميداني لليوم التالي. ومن الصعب أن يتم تحديد جداول العمل الميداني وجداول الأعمال الخاصة بالبحث النوعي بدقة، لذلك قد يقدم كل يوم بعض المرونة في الترتيبات. ونتيجة لذلك، يمكن أن تؤدي تأملات الباحث الليلية إلى أفكار جديدة حول تعديل أولوياته لليوم التالي. ومن ناحية أخرى، قد لا تظهر الأنماط الاجتماعية أو المؤسسية ذات الصلة بموضوع الدراسة إلا بعد عدة أيام من التعرض المتكرر. ولذلك فربما لا يجب على الباحث إصدار أحكام متسرعة وليفكر في تغيير روتينه بعد حدوث تكرار غير مثمر بالفعل.

وهناك العديد من الطرق لتحويل الملاحظات الحقلية الأصلية أثناء الروتين الليلي. يجب اتخاذ خطوة أساسية واحدة حتى لو لم يكن لدي الباحث الوقت الكافي لأخذ أي تحسينات أخرى، إذ يجب عليه كتابة أي أجزاء أو اختصارات أو تعليقات غامضة قد لا تفهم لاحقًا. ويتضمن ذلك تفصيل أو تصحيح الجمل التي ليست معانيها واضحة تمامًا. وربما قد ترك الباحث علامات استفهام متعمدة حول أجزاء معينة من ملاحظات الحقل الأصلية ذلك لأنه سيحاول تفسير معنى هذه الملاحظات أثناء هذا الروتين الليلي. ولا ينبغي لأحد أن يقلل من أهمية هذا الحد الأدنى من العمل.

ويمكن للباحث أن يقوم بتحسين ملاحظاته الميدانية الأصلية في أربع طرق أخرى. (أ) قراءة المشاهدات الحقلية حيث يساعد ذلك على تذكر المزيد من التفاصيل حول الأحداث التي تمت ملاحظتها أو المقابلات التي أجريت خلال اليوم. (ب) قد يكون لدي الباحث تخمينات أو تفسيرات أو تعليقات خاصة به حول أجزاء معينة من مشاهدات الحقل الأصلية. وقد تكون بعض التعليقات مجرد تذكيرات "فضفاضة" للباحث بأن بعض الموضوعات تحتاج إلى فحص عن كثب خلال التواجد في الحقل، فمثلا قد لا يلزم كتابة هذه التذكيرات حرفيًا على المشاهدات الأصلية، ولكن قد يتم الاحتفاظ بها في قائمة منفصلة يتم إلحاقها بعد ذلك بالملاحظات الأصلية. (ج) قد توحي مراجعة الباحث لليوم السابق بظهور بعض السمات أو الفئات أو حتى الحلول المؤقتة والإجابات المتعلقة بأسئلة البحث. ومن الواضح أن هذه الأفكار تستحق التسجيل ويمكن توصيلها للأجزاء أو العناصر المحددة في الملاحظات التي حفزت الأفكار. وبذلك، نكون قد بدأنا أيضًا في توقع بعض "الرموز" التي سيتم استخدامها في مرحلة تحليل البيانات لاحقا. (د) يجب على الباحث إضافة مشاهدات اليوم، بطريقة منظمة، إلى المشاهدات الميدانية الأخرى. وبهذه الطريقة المنظمة يمكن إنشاء بعض فئات الملفات التي تتجاوز مجرد حفظ الملاحظات بترتيب زمني. والهدف من ذلك كله هو تجنب وجود كل المشاهدات سواءً من العمل الميداني أو من الوثائق المقروءة مجرد "كومة" كبيرة بشكل متزايد. وعادة ما ينتهي الباحث بخبرة محبطة إذا ترك ملاحظاته أو مشاهداته تتراكم بصورة متزايدة.

ومن مزايا المراجعة الليلية للملاحظات الميدانية أيضًا أنها تعطي فرصة لتنفيذ خطوة مهمة من الناحية المنهجية يتم تجاهلها أحيانًا في إجراء البحث النوعي، ألا وهي التحقق من

البيانات التي يتم جمعها. إن فحص المشاهدات والسجلات من منظور الباحث بينما لا يزال العمل الميداني مستمرًا يوفر فرصًا لإحكام عملية جمع البيانات الخاصة بالدراسة، كما يمكن اعتبار أنشطة التحقق بمثابة بداية لتحليل البيانات. وهناك العديد من أنواع التحقق ذات الصلة مثل مراجعة النقاط الأساسية في مشاهدات الباحث التي يعتقد أنها قد تؤدي إلى نتائج مهمة تستحق إعادة الفحص وربما بشكل متكرر (Pelto and Pelto, 1978: 194). وعلى مسار آخر من التحقق لا ينبغي افتراض مصداقية كل من أجريت معه مقابلات حيث يستحق ذلك بعض جهود التحقق (Becker, 1958) كالرغبة في معرفة أن الشخص الذي تمت مقابلته كان حاضرًا بالفعل في الوقت والمكان المناسبين له أو لها من خلال ملاحظاته المباشرة. وهناك تحقق آخر يتمثل في البدء في مقارنة المعلومات من مصادر مختلفة من الأدلة التي أصبحت متاحة خلال العمل الميداني لمعرفة ما إذا كانت قد تراكمت لديه عمليات الصدقية Validity المتضاربة أو التكميلية لنفس المشاهدات الواقعية. ومن المزايا الإضافية لاتخاذ مثل هذا الموقف الاستباقي مع المشاهدات والتسجيلات الخاصة بالباحث في هذه المرحلة المبكرة أنه من المحتمل أن يكون الباحث في منتصف عمله الميداني وأنشطة جمع البيانات. لذلك فهو لديه الفرصة للقيام ببعض التدقيق الإضافي إذا لزم الأمر حيث قد لا يكون لديه مثل هذه الفرصة في وقت لاحق.

ملاحظة أخيرة: قد تستنزف الطاقة والاهتمام الموجهان لتدوين الملاحظات والتسجيلات الأخرى قدرة الباحث المتبقية على أي كتابة أخرى. ولذلك فيقترح أن يتزامن النشاط التدويني مع عمليات جمع البيانات (وغيرها) في الدراسة البحثية، ألا وهو عمل مذكرات شخصية أو مجلة تسجل فيها مشاعر الباحث وتأملاته الخاصة في عمله البحثي. ولا يتطلب ذلك أن تكون المدخلات في مثل هذه المجلة طويلة أو حتى تحتوي على جمل كاملة حيث يمكن أن تتم هذه المدخلات باستخدام الاختصارات والمختصرات الشخصية الخاصة بالباحث. ويمكن لمثل هذه المجلة في البحوث النوعية أن تلعب أكثر من دور خاص. ونظرًا لأن الباحث هو الأداة الرئيسية للبحث فإن أي استطلاعات ورؤى حول ردود أفعاله أو مشاعره حول العمل الميداني المستمر (أو الدراسة ككل) قد تكشف لاحقًا عن تحيزات غير مرغوب فيها. ويمكن أن يؤدي الاحتفاظ بالمجلة إلى ظهور ميول الباحث المنهجية أو

الشخصية مع مرور الوقت حيث ربما لم يكن على دراية بهذه الميول، ويؤدي الاعتراف بها إلى أفكار مفيدة حول كيفية التعامل مع تحليل البيانات لاحقا.

ثامنا: تحليل البيانات: يمكن في الدراسات النوعية أن تجمع البيانات ويتم التحليل بشكل متزامن أي في نفس الوقت حيث يوفر ذلك امكانية تعديل وضبط عملية جمع البيانات بناءً على ظهور مفاهيم وقضايا تنتج أثناء تحليل البيانات كما يوفر ذلك أيضا المزيد من التعمق في فهم هذه القضايا أو المفاهيم. ويعتمد هذا على نوع دراسة الحالة. ويصف ين (Yin, 2003) خمسة أساليب لتحليل البيانات النوعية: (ا) : مطابقة الأنماط (Pattern matching)، (ب) ربط البيانات بالفروض البحثية (Linking data to propositions)، (ج) بناء التفسير (Explanation building) ، (د) تحليل السلاسل الزمنية (Time-series analysis)، (هـ) النماذج المنطقية أو السببية (Logic or causal models)، (و) توليف الحالات المتقاطعة Cross-case synthesis. أما ستيكس (Stakes) فإنه يصف أساليب اخرى تتمثل في التجميع في فئات Categorical aggregation والتفسير المباشر Direct interpretation.

ويذكر ين (Yin, 2003) أنه من المهم جدا أثناء تحليل البيانات الرجوع إلى الفروض البحثية عند استخدامها وذلك لأسباب عديدة. (أ) تركيز التحليل والبعد عن تحليل بيانات خارجة عن مجال الدراسة والأسئلة البحثية. (ب) استكشاف الفروض البديلة أو المضادة في محاولة لتفسير مختلف للظاهرة المدروسة. (ج) يؤدى تكرار ذلك إلى زيادة الثقة في نتائج الدراسة حيث ينتج ذلك عن زيادة عدد الفروض والفروض البديلة وتقرير قبول أو رفض كل منها. هذا ويجب عدم الوقوع في خطأ معاملة كل مصدر بيانات بصورة مستقلة وذكر نتائجه بصورة منفصلة حيث أن ذلك ليس هو هدف دراسة الحالة، وإنما يجب أن يحرص الباحث على دمج البيانات في محاولة لفهم الحالة في كليتها ومجملها.

ويضيف كل من باتاشيرجي و أيزينهارت (Bhattacherjee, 2012; Eisenhardt, 1980) ضرورة إجراء تحليل البيانات داخل الحالة، والتحليل المقارني للحالات المتعددة، وبناء واختبار الفروض البحثية. فبالنسبة للتحليل داخل الحالة يجب على الباحث أن يقوم بفحص المفاهيم الناشئة بصورة مستقلة بالنسبة لكل موقع حالة، وأن يتعرف على الأنماط

التي تشمل هذه المفاهيم وذلك من أجل توليد أو بناء نظرية أولية حول المشكلة موضوع الدراسة. وهنا يمكن للباحث أن يراجع البيانات بصورة ذاتية لكي يمنطق ارتباط المشكلة البحثية والاستفادة من ملاحظاته الشخصية أو خبراته في موقع الحالة. ويمكن بدلا من ذلك أن يستخدم الاستراتيجية التي اقترحها كل من جليسار و ستراوس (Glasser and Strauss, 1967) وهي مدخل "النظرية المجذرة" وذلك باستخدام أساليب مثل الترميز المفتوح Open coding، والترميز المحوري Axial coding والترميز الانتقائي Selective coding ، لاستخلاص سلسلة من الأدلة والاستدلالات. ويمكن استخدام التمثيل البياني للبيانات (مثل مخطط الشبكة) أو تحليل التسلسل (للبيانات الطولية). ويلاحظ أنه لا توجد طريقة محددة لإعادة تحليل الأنواع المختلفة لبيانات الحالة، ويمكن تعديل أساليب تحليل البيانات لتناسب طبيعة المشروع البحثي.

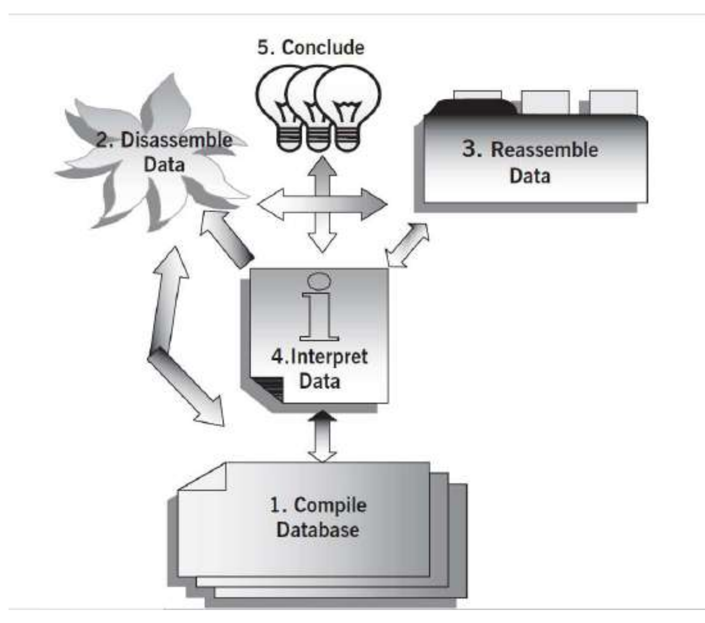
وأما بالنسبة للتحليل المقارني للحالات المتعددة، فإن الباحث يقوم هنا بالبحث عن المفاهيم المتشابهة والأنماط عبر الحالات أو مواقع الحالات المختلفة مع تجاهل الاختلافات السياقية التي قد تؤدي إلى خلاصات أحادية فريدة. ويمكن استخدام هذه الأنماط للتحقق من النظرية المبدئية أو لتنقيتها وتعديلها وذلك من خلال إضافة أو إلغاء مفاهيم أو علاقات معينة أو من خلال تطوير أو بناء نظرية أكثر شمولا وتعميما. ويمكن لهذا التحليل أن يتخذ أشكالا متعددة، فعلى سبيل المثال يمكن للباحث أن يختار فئات معينة وينظر في التشابهات القائمة داخل الفئة أو بين الفئات (مثل المبتكرين والمتخلفين، أو بين الأكثر إنتاجا والأقل إنتاجا). ويمكن للباحث أيضا أن يستخدم المقارنات الازدواجية Pair-wise comparison موضحا على سبيل المثال التشابهات والاختلافات بين أزواج من المنشآت.

وأما بالنسبة لبناء واختبار الفروض البحثية فإنه يمكن للباحث بناءًا على المفاهيم الناشئة أوالمكونة والممكن تعميمها أن يقوم بوضع الفروض البحثية. ويجب مقارنة هذه الفروض بصورة تكرارية مع البراهين والأدلة الملاحظة لتحديد ما إذا كانت هذه الفروض تتوافق مع البيانات الملاحظة، وهنا قد يجد الباحث عدم توافق، ومن ثم فعليه أن يعدل تكويناته السببية أو علاقاته بين المكونات أو متغيرات الدراسة. ويجب على الباحث أيضا أن يقارن بين الفروض والنماذج المكونة من ناحية وبين المعارف السابقة من أجل دعم الصدق

الداخلي وامكانية تعميمها. وهنا لا يجب رفض النتائج المتعارضة ولكن يمكن التوفيق بينها من خلال التفكير الإبداعي من أجل تعمق أكثر في النظرية الناشئة. وعندما نجد أن المزيد من تكرار المقارنة بين النظرية والبيانات لا يولد أية تعمقات أو تغيرات في النظرية القائمة، وهذا هو ما يسمى بالتشبع النظري Theoretical saturation، نكون قد بلغنا مرحلة اكتمال بناء النظرية.

وفي مرجع أحدث عرض ين (Yin, 2011: 178) مراحل تحليل البيانات في البحوث النوعية كما يلي وكما يتبين في الشكل التالي:

١. تجميع وتصنيف قاعدة البيانات Compiling database.
٢. تفكيك البيانات Disassembling data.
٣. إعادة تجميع البيانات Reassembling data.
٤. تفسير البيانات Interpreting data.
٥. الاستنتاج والاستخلاص Concluding.



شكل ٧. المراحل الخمس للتحليل والتفاعلات بينها
Source: Yin, 2011, 178.

وفيما يلي شرح موجز لكل من هذه المراحل:

١. مرحلة تجميع وتصنيف قاعدة البيانات: Compiling database

تمثل هذه المرحلة تجميع البيانات، التي جمعت من الحقل وغيره والتي كانت غير مرتبة، ووضعها في ترتيب معين. يمثل منتج هذه العملية قاعدة بيانات. وتفترض معظم المؤلفات في الدراسات النوعية أن الباحث قد قام بهذه العملية بالفعل أثناء جمع البيانات. ولكن التأكيد على هذه المرحلة يؤكد أن البيانات الأكثر ترتيبا وتنظيما سوف تؤدي إلى تحليل نوعي أكثر دقة، كما تساعد هذه المرحلة على مساعدة الباحثين على الوصول إلى بياناتهم الحقلية وملاحظاتهم وتقييمها.

وعادة ما تتكون قاعدة البيانات في البحوث الكمية من ملف إلكتروني يحتوي على سجلات منفصلة. يحتوي كل سجل على مجموعة موحدة من الحقول، مع إدخال البيانات في كل حقل. ثم يحتوي قاموس البيانات على تعريف كل حقل ويحدد بدقة إدخالاته المحتملة. وقبل أن يتم استخدام قاعدة البيانات، يجب "تنظيف" البيانات و "التحقق منها" عن طريق التحقق من منطق وتناسق ودقة الإدخالات أو البيانات الموجودة في كل سجل.

وعلى غرار البحوث الكمية، قد يعتمد البحث النوعي على وظائف مماثلة وإجراءات متوازية تقريبًا، سواء كانت قاعدة البيانات النوعية إلكترونية أو غير إلكترونية إلا أن الفرق الرئيسي، مقارنةً بالتحليل الكمي يتمثل في أن البيانات النصية (غير الرقمية) يجب أن ترتب بطريقة منهجية. ويمكن في التحليل النوعي عمل معجم Glossary في تحديد المصطلحات المهمة الموجودة في النص النوعي مع ضمان استخدامها المتسق. وتعتبر فائدة المعجم هنا مشابهة لاستخدام "قاموس البيانات" في التحليل الكمي. وعموما، تعتمد مدى دقة مجموعة البيانات النوعية على تفضيلات الباحث الخاصة وأسلوب عمله، فمثلا يمكن تحميل البيانات في مجموعة إلكترونية من الملفات، أو يمكن تجميع الملفات وفقًا لمجموعة ذات معنى من الملفات. كما يمكن أيضًا تخزين البيانات في وسيط غير إلكتروني، وإعادة تنظيمها في مجموعة من البطاقات أو الكروت القديمة المفهرسة. والأكثر أهمية من شكل البيانات هو اهتمام الباحث وحرصه على تجميع بياناته وتصنيفها.

وتتمثل الفائدة الأولى لمرحلة التجميع في الاطلاع على المشاهدات الحقلية، ومن ثم فيجب مراجعة هذه المشاهدات الميدانية والتسجيلات الأخرى. وربما نحتاج إلى التحقق من التسجيلات بشكل متكرر، مرة أخرى لنتعرف على البيانات التي تم جمعها. وإذا كنا قد نسخنا التسجيلات الحرفية، فسنحتاج إلى إعادة قراءة النصوص. ويمكن استيعاب المعلومات بشكل أكثر تمعنا وبسرعة أكبر نظرا لأننا لم نعد نقوم بعمل ميداني أثناء فترة المراجعة. ولذلك يجب أن تكون المراجعة تحليلية للغاية، وقد تستغرق وقتًا طويلاً. ويجب أن يتساءل الباحث أسئلة مثل: ما هي الملامح المميزة للدراسة، وكيف ترتبط البيانات التي تم جمعها بأسئلة البحث الأصلية؟ وهل هناك رؤى جديدة محتملة تكون قد ظهرت؟

وهكذا تختلف قاعدة البيانات المنظمة عن المشاهدات السابقة لأنه يمكن أن يوضع كل شيء في نموذج متسق يكون مفتاحه هو التيقظ بعناية لاستخدامات محتملة غير متناسقة لكلمات ومصطلحات مختلفة. فعلى سبيل المثال، عندما نقوم بمراجعة مشاهداتنا السابقة ونفكر في كيفية إعادة ترتيبها بطريقة أكثر تنظيماً، قد نجد أننا استخدمنا المصطلحات نفسها بطريقتين مختلفتين تمامًا، إن لم تكن متناقضتين، في مشاهداتنا لأنها غطت اثنتين من المقابلات الميدانية المختلفة أو المشاهدات. وقد يخلق مثل هذا الاستخدام المتباين، أو غير المتناسق مشاكل تحليلية في وقت لاحق، ومن ثم فيجب التخلص منه في هذه المرحلة.

وفي الوقت نفسه، يجب أن تتم العملية بدقة فربما استخدم بعض الأشخاص الذين تمت مقابلتهم مجموعة معينة من الكلمات التي تحمل معنى مهمًا، ولكن لا يجب طمس هذه الكلمات لمجرد أننا نحاول إنشاء مفردات متسقة عبر بياناتنا. إن تحديد ما يمكن إعادة تسميته وما يجب تركه كما هو سيكون دعوة أخرى لأحكام الباحث.

وهنا مرة أخرى يعتبر بناء معجم مصطلحي مفيدًا للغاية، سواء قرر الباحث تغيير بعض المصطلحات أو الاحتفاظ باستخدامها الأصلي. وبنفس القدر من الأهمية، فإن وضع البيانات في شكل ثابت يعني أيضًا فصل البيانات في مجموعة من الملفات تختلف من دراسة إلى دراسة. فقد تكون الوحدة المناسبة مصدرًا، مثل مقابلة أو وثيقة. وبالتالي، إذا كانت الدراسة تحتوي على ٥٧ مقابلة ومعلومات من ١٣ وثيقة، يصبح هناك ٧٠ ملفا، حتى لو كانت هناك مقابلات متعددة للشخص نفسه. وبدلاً من ذلك، يمكن أن يمثل كل

ملف يومًا مختلفًا في الحقل. وأخيرًا، يمكن أن يعكس الملف أحد نقاط التركيز المعروفة للدراسة. فعلى سبيل المثال، إذا كانت الدراسة تركز على العلاقات الشخصية، فيمكن أن يمثل كل ملف تفاعلًا بين شخصين أو أكثر كانوا جزءًا من الدراسة. وبالنسبة للباحثين ذوي الخبرة، قد يكون الملف فئة مفاهيمية للمعلومات، حيث تقوم كل فئة بتجميع المعلومات من الملاحظات الميدانية السابقة. وفي هذه الحالة، يمكن للباحث المخاطرة في إنشاء ملفات لا تمثل بشكل عادل أو كامل جميع المشاهدات الميدانية. وهنا ينتقل الباحث بهذه الفئات المفاهيمية إلى المرحلة الثالثة (وهي إعادة التجميع والتنظيم) من التحليل. هذا ويجب ألا يقتصر محتوى البيانات على النص أو المعلومات السردية، إذ قد تحتوي المشاهدات السابقة على جداول أو رسوم بيانية أو مواد مرئية أخرى يجب أيضًا تنظيمها لتصبح جزءًا من قاعدة البيانات. وإذا كان البحث يتضمن شرائط فيديو، فيجب على الباحث إيلاء الاهتمام نفسه لإنشاء أشرطة معدلة تتخذ شكلًا متسقًا (Erickson, 2006).

استخدام برامج الكمبيوتر في تجميع المشاهدات: عادة ما تنظم معظم أنواع البرامج المختلفة حول سجلات منفصلة من نوع أو آخر، كل سجل قد يصبح ملفا منفصلا او "حالة". وتقبل بعض البرامج أيضًا أشكالًا غير سردية من المواد، بما في ذلك أشرطة الفيديو، كسجلات تكون جزءًا لا يتجزأ من قاعدة البيانات الخاصة بالدراسة. ويساعد برنامج الكمبيوتر على تجميع البيانات بشكل أكثر رسمية. فعلى سبيل المثال، إذا أنشأنا ملفًا مختلفًا لكل سجل، فسيطلب البرنامج بعد ذلك اسم الملف وتاريخه وتعريفات أخرى لكل ملف. هذا وسيعزز البرنامج أيضًا استخدام معجم المصطلحات لضمان الاستخدام المتسق للمصطلحات الخاصة بنا، كما يساعدنا البرنامج أيضا على تحديد أو تمييز بياناتنا بمعرفات محددة مخصصة لأشخاص مختلفين في المقابلات الشخصية، كما يسمح البرنامج أيضا بإضافة ملاحظات أو علامات إلكترونية جديدة قد تكون جزءًا من المذكرات الخاصة بالباحث في كل سجل.

ويتوقف استخدام بعض برامج CAQDAS للمساعدة في إنشاء قاعدة بيانات رسمية على اختيار الباحث نفسه. ولكن إذا ما أراد الباحث أن يستخدم مثل هذا البرنامج للمساعدة في مرحلة تفكيك البيانات التالية فهنا سيضطر إلى تنظيم بياناته في مثل هذه

السجلات. هذا ويمكن للباحث أن يستخدم البرنامج بطريقة محدودة للمساعدة في مرحلة التجميع فقط. وسواء استخدم الباحث تنسيقات إلكترونية أو غير إلكترونية فعليه أن يتوقع أن يكون تجميع المشاهدات الخاصة به في مجموعة منظمة من البيانات هو إجراء يتطلب الكثير من الوقت. وعليه أن يتذكر أيضا أنه في هذه العملية سيكتسب معرفة كاملة ببياناته الأصلية، وهو أمر ضروري لإجراء البحوث النوعية المقبولة. وبشكل عام، يجب أن تحتفظ البيانات المجمعة حديثًا بأكبر قدر ممكن من التفاصيل الأصلية من الملاحظات السابقة قدر الإمكان. وتعتبر عملية إنشاء قاعدة بيانات أحد أهم أجزاء البحث النوعي. نتيجة لذلك، يجب علي الباحث الالتزام بمعايير عالية تكون شاملة وكاملة دون استسهال أو اجتزاء. وفي النهاية يجب أن يتتبع الباحث تسجيل إجراءاته كجزء من المجلة الشخصية الخاصة به.

٢. مرحلة تفكيك البيانات: Disassembling data

في البداية يجب أن نتذكر مرة أخرى أن المراحل الخمس لتحليل البيانات يمكن أن تكون متكررة أو تراجعية، بمعنى أنه أثناء وجود الباحث في مرحلة معينة قد يرجع للخلف أو للأمام في نفس الوقت لتغيير شيء تم إنجازه في مرحلة سابقة أو لإعادة التوجيه عن طريق معاينة فكرة معينة أو عرضها على مرحلة قادمة.

كتابة المذكرة: تؤدي عملية التراجع سابقة الذكر إلى تعديلات على بيانات الباحث الأولية وأفكاره. وهنا يجب أن يتم تسجيل هذه الأنواع من الأفكار نفسها كجزء من سلسلة من المذكرات تبقى طوال عملية التحليل. ويمكن أن تحافظ المذكرات الجيدة على ما كان في البداية تبدو أنها أفكار غير ناضجة قد تصبح في وقت لاحق ذات قيمة هائلة، بالإضافة إلى أنها تقلل الإحباط الناتج عن عدم التأكد مما إذا كان الباحث قد فكر بالفعل ورفض فكرة معينة أم لا. ولذلك يدعى معظم الباحثين ذوي الخبرة في إجراء التحليل النوعي أن كتابة المذكرة هذه تعتبر أمرا حتميا، حتى أن سالدانا (Saldana, 2009: 33) قال "عندما يتبادر إلى الذهن أي شيء يتعلق بأهمية ترميز البيانات أو تحليلها، توقف عن كل ما تفعله واكتب مذكرة حوله على الفور".

ضرورة الترميز من عدمه: تتم عملية تفكيك البيانات بطرق مختلفة حتى أن الباحث يمكن أن يبتدع طريقته الخاصة لأنه لا يوجد لها نظام ثابت. حتى مصطلح "تفكيك" نفسه قد رفضه بعض الباحثين واستخدموا مصطلح "تكسير Fracturing"، واستخدم آخرون مصطلح "تخفيض أو اختزال Reduction of data"، كما رأى آخرون أن الخطوة الأولى في عملية تفكيك البيانات تتمثل في جعل عملية فك الارتباط أكثر سهولة من خلال تحليل ذلك الجزء فقط من النص الذي يظهر متعلقًا بالموضوع المحدد للدراسة (Auerbach and Silverstein, 2003: 37). وعلى الرغم من أن الباحث قد يريد حذف نص غير ذي صلة تمامًا، إلا أن ذلك ينطوي على خطر تجاهل بعض المعلومات الثاقبة نظرًا لأنه لا يبدو النص مناسبًا للباحث في ذلك الوقت. وأيا كان الاختيار، فإنه في النهاية سينتهي الباحث إلى ترميز البيانات التي اختارها من خلال تحديد مسميات أو رموز جديدة لكلمات أو عبارات أو مجموعات أخرى من البيانات المحددة في قاعدة بياناته. وقد كان معتنقو مدخل النظرية المجذرة في البحوث النوعية هم الرواد الذين بادروا بوصف كيفية أداء عملية الترميز. وعموما فإن اختيار الباحث لقرار الترميز من عدمه ليس متمانعا، بمعنى أنه يمكن للباحث أن يقوم بترميز بيانات بعض الموضوعات في دراسته دون القيام بذلك في بيانات موضوعات أخرى.

وقد قدم مؤيدو النظرية المجذرة الكثير من التوجيهات حول الأساليب المختلفة لترميز البيانات النوعية. ولقد حدد هؤلاء المنظرون ثلاثة أنواع من الترميز: الترميز المفتوح Open coding، والذي يتم استخدامه في البداية حيث يهتم الباحث بتوليد الفئات وخصائصها، ثم الترميز المحوري Axial coding حيث يهتم الباحث بتطوير الفئات بشكل منهجي يحتوي على فئات فرعية، ثم الترميز الانتقائي Selective coding حيث يقوم الباحث بعملية دمج الفئات وتحسينها (Strauss and Corbin, 1998: 143). وقد ترافق عملية ترميز العمليات هذه الأنواع الثلاثة من الترميز مما يساعد على وصف "سلسلة من التتابعات الناشئة للفعل أو للتفاعل والتي تحدث عبر الزمان والمكان (ibid.,: 165). وتتوافق الأنواع الثلاثة لـ ستراوس و كوربن (Strauss and Corbin) تقريبًا مع مرحلتين من المراحل التحليلية الخمس التي ذكرها ين (Yin, 2011)

وهما مرحلة التفكيك (والتي تعادل الترميز المفتوح) وإعادة التجميع (والتي تتوافق مع الترميز المحوري والترميز الانتقائي وترميز العمليات).

ترميز البيانات: يتكون النص الأصلي في معظم الأبحاث النوعية من مجموعة من الملاحظات الميدانية ومن عناصر محددة، مثل الإجراءات والأحداث الميدانية، والأشياء، وآراء محددة، وتفسيرات، ووجهات نظر أخرى تم التعبير عنها في المقابلات الميدانية المرتبطة بهذه العناصر. وعادة ما تكون هذه العناصر فريدة ومفصلة لدرجة كبيرة. الغرض من محاولة ترميز هذه العناصر هو البدء في الانتقال المنهج إلى مستوى مفاهيمي أعلى قليلاً مع ملاحظة عدم إغفال طبيعة إجراءات الحقل الأصلية. والمهم هنا هو أن يتم تعيين رمز ما لكل العناصر التي تبدو متشابهة بشكل أساسي. وهنا يمكننا هذا المستوى المفاهيمي الأعلى لاحقًا من فرز العناصر من سجلات مختلفة بطرق مختلفة مثل وضعها في مجموعات متشابهة أو مجموعات غير متشابهة. وبمجرد الانتهاء من الفرز يمكن فحص الملامح أو الخصائص المرتبطة بهذه المجموعات واكتساب نظرة ثاقبة عليها. ويمكن أن تختلف طبيعة الرموز الأولية، والتي يمكن الإشارة إليها على أنها رموز المستوى ١ أو الرموز المفتوحة (Hahn, 2008: 6-8). ويمكن أن تلتزم هذه الرموز بالعناصر الأصلية لدرجة استخدام الكلمات الدقيقة في العنصر الأصلي، ويشار إليها أحيانًا باسم رموز إن-فيفو Nvivo codes (Saldana, 2009: 3). ومع التقدم في تنفيذ هذا المستوى الأول من الترميز، يمكن البدء في التفكير في علاقة بعض هذه الرموز بالمستوى الأول بعضها ببعض، ويكون الهدف التالي هو الانتقال تدريجياً إلى مستوى مفاهيمي أعلى من خلال التعرف على الفئات التي قد تقع رموز المستوى الأول تحتها. وعلى ذلك يمكن أن تنتقل عملية الترميز إلى قائمة ثانية أعلى من الرموز، والتي يمكن الإشارة إليها على أنها رموز المستوى الثاني أو "الفئة Category".

تفكيك البيانات دون ترميز: عادة ما تكون هذه الخطوة خاضعة أكثر لتقدير الباحث كما تكون أقل روتينية، ولكنها تتطلب باحثا متمرسا. وفي هذه الحالة عادة ما تكون البيانات أكثر عمقا وأكثر صحة. هذا لأن برامج الترميز لديها الإجراءات الروتينية الخاصة بها مما يجعل الباحث يضطر إلى مراعاة آليات عملية الترميز بدلاً من التعمق في التفكير في البيانات. ومع ذلك عند اللجوء إلى عدم ترميز البيانات يمكن أن تؤدي العملية إلى أحكام غير

متسقة وغير منتظمة، ولذلك يحتاج الباحث الذي يقرر عدم ترميز البيانات إلى اتخاذ الاحتياطات المتعلقة بالحفاظ على إجراء تحليلي دقيق.

وعند القيام بعدم ترميز البيانات يجب أن تتضمن عملية تفكيك البيانات تحديد النص من قاعدة البيانات الأصلية وإنشاء مجموعة جديدة من الملاحظات الموضوعية (وليس المنهجية). وفي هذه الملاحظات الموضوعية الجديدة يقوم الباحث بشكل أساسي بتدوين ملاحظات حول بياناته الأصلية، ولكن بترتيب مختلف وتحت مفاهيم وأفكار مختلفة. ويمكن وضع هذه الملاحظات الجديدة على بطاقات أو كروت الفهرسة التقليدية أو أوراق منفصلة من الورق المطبوع وذلك لتسهيل القدرة على اختبار ترتيبات مختلفة والتي تمثل جزءًا من مرحلة إعادة التجميع القادمة. وقد يكون إنشاء ملاحظات جوهرية مفيدة أمرا غير فعال. فقد يبدأ الباحث في البداية في كتابة بعض الملاحظات ثم يكتشف فيما بعد أنها لا توفر أدلة كافية حول ما يجب فعله بالبيانات. فعلى سبيل المثال، يمكن البدء بموضوع جديد، واستخراج العناصر ذات الصلة من الملاحظات الأصلية، ثم نكتشف أن هذه العناصر لا تتناسب بشكل جيد مع الموضوع الجديد. وهنا يمكن بعد ذلك تعديل الموضوع. وعند العودة إلى قاعدة البيانات الخاصة بالدراسة ومراعاة الموضوع المعدل قد نجد أنه يؤدي إلى اختيار عناصر إضافية لابد من استخراجها. وقد نجد فيما بعد أنه حتى هذا الموضوع الذي تم تعديله لم يكن مفيدًا على الإطلاق ويضطر الباحث إلى بدء العملية من جديد.

وعموما قد تكون هناك أيام من الشك وعدم اليقين الذي يحتاج الباحث إلى تعلم كيفية تحمله. وعلى الرغم من عدم اليقين هذا، يفضل العديد من الباحثين تفكيك بياناتهم دون ترميز رسمي لأن الأفكار الإبداعية تبدو وكأنها تتحرك بشكل أسرع وأفضل تحت ظروف عدم الترميز الرسمي. وللتغلب على المآزق الحتمية المتمثلة في عدم الاتساق وعدم الدقة التي قد تحدث، يعود هؤلاء الباحثين بعد ذلك إلى بياناتهم الأصلية عدة مرات والتأكد من أن موضوعاتهم المفككة ترتبط وتخاطب البيانات الأصلية قدر الإمكان.

وإذا قرر الباحث استخدام برامج الكمبيوتر في عملية الترميز فعليه أن يتذكر أن البرنامج لا يقوم بالفعل بالترميز. البرنامج يسجل فقط الرموز الخاصة بالبحث وبشكل مريح فعال، مما يسهل استرجاعها في وقت لاحق بدرجة أسهل بكثير مما لو قام الباحث بالترميز

اليدوي فقط. كما يمكن أيضا بسهولة أكبر إعادة ترميز العناصر وتغيير الرموز ولو بشكل متكرر. وتبدو هذه الفوائد بصفة خاصة عند كبر حجم قاعدة البيانات الخاصة بالدراسة.

٣. مرحلة إعادة تجميع البيانات: Reassembling data

البحث عن أنماط: أثناء مرحلة تفكيك البيانات (إما عند الترميز والفرز أو عند المراجعة الموضوعية لمشاهداتنا إذا لم يكن هناك ترميز رسمي) يمكن أن يكون الباحث قد أصبح على بينة من الأنماط المحتملة في البيانات. ولا يجب أن يؤدي الأداء الدقيق لعملية تفكيك البيانات إلى منع الباحث من التفكير في المعنى الأوسع للبيانات، فعلى سبيل المثال، يجب أن يفكر الباحث في كيفية ربط البيانات بالأسئلة الأساسية للدراسة وإلقاء الضوء عليها، وكيف يمكن أن تكون عملية التفكيك قد كشفت عن بعض الأفكار الجديدة الهامة في موضوع الدراسة الأصلي. وتعتبر ملاحظة مثل هذه الأنماط بداية المرحلة الثالثة في دورة التحليل التي هي إعادة تجميع البيانات. وإذا واصل الباحث القيام بعملية الترميز الرسمية، فسوف تتخذ عملية إعادة التجميع الرمزي مهمة رفع رموز المستوى ١ والمستوى ٢ إلى مستويات مفهومية أعلى، حيث تبدأ القضايا أو المفاهيم النظرية في الظهور، وقد تكون رموزا لمستوى أعلى، أي رموز المستوى ٣ والمستوى ٤ (Hahn, 2008: 6-8).

وهكذا يجب على الباحث أن يسأل نفسه دائمًا ويستعلم عن البيانات أثناء عملية إعادة تجميعها سواءً كان يتبع خيار الترميز أو عدم الترميز حيث تعتبر عملية الاستعلام هذه جوهرية لإجراء التحليل. والأكثر أهمية من تلك الإجابات المحددة على الاستعلامات هي أن يقوم الباحث بالتدقيق والفرز بشكل استباقي لأفكاره والبحث عن الأنماط. وقد تكون الأسئلة النموذجية هنا: هل تبدو الأنماط الناشئة منطقية؟ هل تصل تلك الأنماط إلى مستوى تحليلي مهم؟ هل ترتبط الأنماط بالمفاهيم والافتراضات المتخذة في بداية الدراسة؟ هل تصبح الأنماط (كما هو مأمول) أكثر تعقيدًا أو توسعية عند مراجعة عناصر إضافية من قاعدة البيانات الخاصة بالدراسة؟ (Nespor, 2006: 298-302).

استخدام المصفوفات للمساعدة في إعادة تجميع البيانات: يمكن أن تتضمن عملية إعادة التجميع "اللعب مع البيانات"، مما يعني النظر إليها في إطار ترتيبات وموضوعات مختلفة، ثم تغيير وإعادة تغيير الترتيبات والموضوعات حتى يظهر شيء مرضٍ للباحث. فعلى سبيل

المثال، مع برنامج CAQDAS، يمكن استخدام منطق بوول (Boolean Logic) لفحص مجموعات مختلفة من الرموز. وكمثال آخر، يمكن في حالة كون ملاحظاتنا الموضوعية الجديدة مسجلة على كروت أو بطاقات الفهارس التقليدية أن نتعامل أو نتلاعب مع تلك الكروت في صورة توليفات مختلفة. فعلى سبيل المثال، يمكن أن يتم هذا التعامل باتباع واحد أو أكثر من الأنماط التالية (Nespor, 2006: 298-302): تتبع كيفية تمثيل الفرد نفسه في أوقات وأماكن مختلفة، فحص أنماط الأفعال من حيث الأشخاص أو الأشياء أو الأفكار المعنية، أو مقارنة بعض الأنماط مع تلك التي وجدها آخرون. وإلى جانب استخدام إحساس الباحث وحدسه، وفي مجال هذا التلاعب بالبيانات أيضا، يمكن تصنيف البيانات بطريقة منظمة كما في الأمثلة الثلاثة التالية والتي سيتم تناولها فيما بعد: إنشاء سلاسل هرمية، تصميم المصفوفات كسلاسل، واستخدام أنواع أخرى من السلاسل.

إنشاء السلاسل الهرمية: Creating hierarchical arrays يعتبر إنشاء السلاسل الهرمية أحد الطرق الشائعة، وهو بناء تسلسل هرمي يكون فيه عنصر قاعدة البيانات الأكثر تحديدًا في أحد نهايات ذلك التسلسل الهرمي، ثم يُحدد عنصر أكثر تجريدا أو علوا من قاعدة البيانات ويتم وضعه في سلسلة هرمية أعلى .. وهكذا. وفي معظم الأحيان، يساعد كل مستوى من التسلسل الهرمي على تجميع مجموعة أكبر من العناصر المتشابهة في المستوى التالي أدناه. ومن خلال إعادة تجميع البيانات بحيث تندرج البيانات المتشابهة ضمن مفاهيم منفصلة، وتندرج البيانات المتباينة في إطار مفاهيم منفصلة يمكن أن يصل التسلسل الهرمي إلى مجموعات مختلفة (مثل "الفئات" المحتملة أو "نماذج" الأشياء). ويمكن أن يقترح التسلسل الهرمي أيضًا ارتباطات عبر التجمعات (أي العلاقات عبر "الفئات" أو "الأنماط"). وبالنسبة لخيار الترميز، يمكن اعتبار التسلسل الهرمي ببساطة مجموعة من رموز ومفاهيم المستوى ١ إلى المستوى ٤. وبالنسبة لخيار عدم الترميز، يمكن تطوير إنشاء تسلسل هرمي مماثل، ربما بطريقة أكثر مفهومية، وذلك من المجموعة الجديدة من الملاحظات الجوهرية التي تم تدوينها أثناء مرحلة تفكيك البيانات. وبهذه الطريقة يمكن إنشاء أكثر من تسلسل هرمي واحد. ويمكن أن يصبح واحد أو أكثر من هذه التسلسلات أساسًا لبناء البيانات وتنظيمها في الدراسة كلها مع التركيز على المجموعات وعلاقاتها في التحليلات التالية. ويمكن بعد ذلك إضافة تفاصيل إضافية في كل مستوى

من مستويات التسلسل الهرمي، لضمان احتواء التقرير النهائي على عرض للبيانات الأصلية كما هو مستهدف.

إنشاء المصفوفات كسلاسل: Designing matrices as arrays هناك طريقة أخرى شائعة لفرز البيانات تأخذ شكل نوع من المصفوفة. المصفوفة البسيطة هي في الأساس جدول من الصفوف والأعمدة. تمثل الصفوف بعدا أو محورا واحداً وتمثل الأعمدة البعد أو المحور الآخر. وإذا لم يكن لدينا بعدان على الأقل ذوا أهمية فورية فيمكن البدء ببعض الأبعاد الأكثر شيوعًا والتي تتعلق تقريبًا بكل دراسة نوعية. فعلى سبيل المثال، عادةً ما تسجل البيانات النوعية الإجراءات والأحداث التي تحدث على مدار فترة زمنية. وبالتالي، يمكن أن يكون أحد الأبعاد بعدًا زمنيًا، حيث يمثل كل صف فترة زمنية مختلفة ربما تكون قد درست العديد من الأفراد وتجاربهم أو أوضاعهم بمرور الوقت. ولذلك قد تظهر تجارب أو أوضاع كل شخص في عمود منفصل. وهنا تطلب المصفوفة الناتجة عن ذلك وضع العناصر ذات الصلة من البيانات الأصلية في كل خلية مع الإشارة إلى الخبرة المحددة أو حالة كل فرد على حدة في كل فترة زمنية.

وفي تصور آخر ربما يكون الباحث قد درس عدة مجموعات أو منظمات أو أحياء على مدار الزمن. وهنا يمكنه إعادة تجميع كل بياناته وفقًا لهذه المواقف وفي النهاية ينتج سردا كاملا لكل منها. وللبدء في هذه العملية، تمكننا مصفوفة الترتيب الزمني من البحث عن أنماط التغيير. وبالإضافة إلى الصفوف والأعمدة، تحتوي جميع المصفوفات أيضًا على مكون آخر وهو خلاياها. فلإعادة تجميع البيانات، يمكن أن يكون هدف الباحث هو وضع بعض البيانات في كل خلية (بما في ذلك ملاحظة عدم وجود بيانات لهذه الخلية). وهنا تسمح المصفوفة المكتملة بمسح البيانات الفعلية عبر الصفوف والأعمدة. ويمكن أن تساعد (أو تعوق) كمية وطبيعة البيانات التي توضع في كل خلية عملية المسح. ولذلك يجب أن تكون الإدخالات هي البيانات الفعلية، سواء تم تمثيلها مباشرة أو عن طريق الرموز المعينة في عملية التفكيك، كما قد يؤدي نقل البيانات من قاعدة البيانات الخاصة بالدراسة إلى الخلايا، وخاصة عند عدم استخدام الرموز، إلى جعل الخلايا كبيرة جدًا أو مزدحمة. ومن ثم فقد تصبح المصفوفة أيضًا كبيرة جدًا وغير متجانسة مما يؤدي إلى إبطاء عملية المسح المرغوب فيها وجعلها مجزأة ومفككة بدلاً من كونهاعملية سلسة. وفي هذه الحالة، قد نحتاج

إلى القيام ببعض الاختصارات الحكيمة، بحيث يظهر جوهر البيانات فقط في كل خلية. ومع ذلك، يجب كتابة الحاشية المختصرة للرجوع إلى البيانات الأصلية في قاعدة البيانات الخاصة بالدراسة، مما يتيح للباحث إعادة النظر في العلاقة بين الحالة المختصرة والحالات الأصلية للبيانات.

هذا ويجب أن يقوم الباحث بإعادة النظر في العلاقة بين الحالتين المختصرة والأصلية بشكل متكرر بما يكفي للتأكد من أن النسخة المختصرة تمثل النسخة الأصلية تمثيلا دقيقا. وأخيرا، يجب ألا يحتوي محتوى الخلايا على آراء الباحث أو استنتاجاته الخاصة، إذ أن المصفوفة المرغوبة هي مصفوفة بيانات تسمح للباحث بفحص بياناته وعندها فقط يمكنه البدء في استخلاص النتائج. وبمعنى آخر، يجب أن تكون إعادة تجميع البيانات هي الهدف الرئيسي في هذه المرحلة من التحليل. وينبغي اعتبار المصفوفة المرغوبة شكلاً من أشكال الوثائق فقط، وليست وسيلة للتواصل مع القراء فيما بعد. وكما هو الحال مع الوثائق الأخرى يمكن أن تسجل المصفوفة المرغوبة في ملاحق الدراسة، ومنها ومن محتوى الدراسة يمكن مؤخرا إنشاء جداول أكثر جاذبية أو أشكال إيضاحية أو طرق أخرى لعرض بيانات الدراسة.

وموجز القول، هو أن المصفوفات، شأنها شأن التسلسلات الهرمية، لا تمثل إلا شكلا مركزيا من التحليل النوعي . والآن قد تم تجميع البيانات المفككة بطريقة مفاهيمية منظمة أي ذات مغزى. وقد نجد أن واحدة أو أكثر من تلك المصفوفات تؤدي إلى قضايا أو موضوعات مفاهيمية أوسع ذات صلة بالدراسة. وفي المقابل، يمكن أن تصبح هذه الموضوعات الأوسع الأساس للتفسير ومن ثم تكون السرد الأساسي للدراسة بأكملها. وبدلا من ذلك، يمكن أن تكون مصفوفة واحدة فقط من المصفوفات الخاصة بالدراسة هي الأساس الإمبيريقي لسرد الدراسة كله.

وعموما تعتبر السلاسل الهرمية والمصفوفات مجرد طريقتين لتصنيف البيانات. ذلك لأن الأدبيات المنهجية تحتوي على العديد من المصفوفات التوضيحية الأخرى، والتي تشمل استخدام المزيد من الأشكال الرسومية، مثل المخططات الانسيابية Flowcharts والنماذج المنطقية Logic models (Yin, 2009: 149-156)، والمخططات التنظيمية Organizational charts، خرائط المفاهيم Concept maps (Kane and

Trochim, 2007) والرسوم البيانية Diagrams. ويمكن أن تكون المصفوفات ثلاثية الأبعاد وربما أكثر ولكنها ستكون أكثر صعوبة في التصور والإدراك.

ولنتذكر دائما أنه لا توجد طريقة صحيحة واحدة أو مجموعة من المصفوفات الموصى بها. حتى أن بعض الباحثين يمكنهم تخطي الحاجة إلى تصنيف بياناتهم والقدرة على الانتقال بسرعة إلى المرحلة الرابعة في الدورة التحليلية، وهي مرحلة الترجمة الشفوية. وقد يكون باحثون آخرون قادرين على تصور المصفوفات ذات الصلة عن طريق إنشاء مجموعة جديدة من الملاحظات الجوهرية أو توسيع ملاحظاتهم السابقة دون قضاء وقت في إنشاء أي مصفوفات بشكل رسمي. ولا يزال هناك آخرون يعملون بشكل أفضل إذا وضعوا الاحتمالات المختلفة في المصفوفات التي تم إنشاؤها رسميًا إذا قاموا بذلك يدويًا ووضعوا مصفوفاتهم على ألواح كبيرة من الورق.

بعض الإجراءات الهامة أثناء عملية إعادة تجميع البيانات: تتضمن عملية إعادة التجميع بالضرورة عددا متزايدا من الاختيارات التقديرية. فعلى سبيل المثال، تتدخل أحكام الباحث في عملية اختيار البيانات التي سيتم استرجاعها من قاعدة بيانات الدراسة، وكذلك في كيفية بناء العلاقات الهرمية وتصميم المصفوفات. ومن ثم يتعرض تحليل الباحث للتحيزات غير المعروفة. وهنا يلزم اتخاذ العديد من الاحتياطات اللازمة لتقليل مثل هذه التحيزات أو كشفها على الأقل، ويمكن أن تساعد ثلاثة إجراءات في تحقيق ذلك هي إجراء مقارنات مستمرة، ومراقبة الحالات السلبية، والانخراط في التفكير البديل أو المنافس.

وفي البداية يجب ملاحظة أن تنفيذ هذه الإجراءات الثلاثة، كما في حالة التفكير المنافس، لا يعني مرة أخرى أن الباحث قد اتخذ توجهاً وضعيا (;Rex et. al., 2006 Eisenhart, 2006). ربما يكون الباحث متخذا توجها فهميا أو استبطانيا وليس توجها وضعيا خلال دراسته. فإذا كان الأمر كذلك، فإن الباحث للإجراءات الثلاثة يمكن أن يتبع نفس التوجه، بمعنى التوجه نحو ملاحظة التشابهات والاختلافات بين عناصر البيانات، بالإضافة إلى التساؤل حول سبب اعتبار العناصر متشابهة أو غير متشابهة عند إعادة تجميع البيانات. فعلى سبيل المثال، قد يركز العمل الميداني على القيادة التنظيمية،

ولكن خلال مرحلة إعادة التجميع أدرك الباحث أنه يفكر في "القيادة" لتغطية المواقف ذات الفرص التشاركية مع المواقف الأخرى التي تنعدم فيها مثل هذه الفرص. ومن خلال إجراء هذه المقارنات وغيرها من المقارنات الثابتة، يمكن للباحث أن يتساءل عما إذا كان الموضوع الجديد يشمل فعلاً كلا النوعين من المواقف أو ما إذا كان ينبغي توسيع التفكير الأولي في الموضوع.

أما الإجراء الثاني فيتمثل في مراقبة الحالات السلبية، فعلى سبيل المثال، قد يبدو للباحث أن العناصر الموجودة على السطح متشابهة ولكن عند الفحص الدقيق تبدو غير ملائمة. وهكذا فإن الحالات السلبية قد تتحدى صحة الترميز أو التسمية فعلى سبيل المثال، قد يتضمن عمل الباحث الميداني العمل مع العديد من جماعات المجتمع المختلفة ويحاول الباحث بناء موضوع مرتبط بـ "التضامن". وقد وجد الباحث أن كل الجماعات ما عدا واحدة فقط تعمل معًا ككل متضامن. وقد وجد أن تلك الجماعة الواحدة تتألف من جماعات فرعية عملت كل منها عملا جيدًا متضامنا فيما بينها. فهنا لا يجب تجاهل هذا الاختلاف الذي يبدو بسيطًا بل يجب استكشاف الميزات الأخرى للمجموعة الأخيرة بعناية كمثال سلبي لأنه ربما تكون طريقة عملها اللامركزية قد لا تظهر في الواقع تضامن المجموعة.

ويتمثل الإجراء الثالث في الانخراط المستمر في التفكير المنافس مثل البحث عن تفسيرات بديلة للمشاهدات الأولية، فعلى سبيل المثال، ربما يدرس الباحث كيفية تطبيق ممارسة مبتكرة في عيادة للرعاية الصحية. فربما كان تفكير الباحث الأولي خلال مرحلة إعادة التجميع أن تعثر التطبيق يرجع إلى مقاومة عمال معينين لاستخدام هذه الممارسة. وعلى أية حال، فعلى الباحث قبل الانتهاء من هذا التفسير أن يفحص بياناته بعناية بحثًا عن أي تفسيرات منافسة معقولة. فعندئذ يجب على الباحث أن يبرهن في تحليله بوضوح عدم وجود أدلة على أي تفسيرات منافسة قبل أن يستنتج أن المقاومة كانت بالفعل التفسير الرئيسي لتعثر التطبيق. وباختصار شديد يجب على الباحث تجنب أي نهج ميكانيكي بحت، نظرًا لأن عملية إعادة التجميع تظل عملية تحليلية شديدة وذلك من خلال إيلاء اهتمام وثيق للمقارنات المستمرة، وفحص الحالات السلبية أو العكسية، والانخراط في التفكير المنافس.

ويلاحظ عند استخدام برنامج CAQDAS بنجاح أن يحافظ الباحث على الالتزام بالاتجاه النوعي لدراسته حيث عادة ما يكون الميل الطبيعي لجهاز الكمبيوتر هو الانخراط في عملية الحساب باعتبارها تقليدية تتبع الاستراتيجية الكمية. ويمكن أن يرتبط هذا التحدي بالعديد من المواقف الأخرى التي توئد إبداع الباحث جاعلة إياه يلجأ إلى بعض طرق التفكير المبرمجة مسبقًا، مثل البحث في سجلات مكتبة مباشرةً بدلاً من الاعتماد فقط على استخدام كتالوج الكروت، أو تجميع ملف تعريف فردي لطالب جديد دون انحياز للفورمات المرتبطة الأكثر شيوعًا، أو حل حالة مباحث بواسطة تجميع العناصر الفريدة للجريمة.

وفي النهاية يجب إدراك أن عملية إعادة التجميع الناجحة، إلى جانب المصفوفات المرضية (سواء تم عرضها بيانياً أم لا)، تعني أنه يجب أن يشاهد الباحث الموضوعات أو الخطوط العريضة للتحليل بالكامل. وإذا لم تظهر مثل هذه السمات، فيجب الرجوع إلى التكرار الإضافي بين مرحلتي فك البيانات وإعادة التجميع. وحين تظهر بالفعل الموضوعات أو الخطوط العريضة يكون الباحث جاهزا للترجمة الشفهية بعد ذلك.

٤. مرحلة فهم أو تفسير البيانات: Interpreting data

تعتبر هذه المرحلة (بالإضافة إلى المرحلة التالية وهي الخلاصات) بالنسبة للتحليل النوعي هما الأكثر إثارة للاهتمام والتشويق. فالباحث من خلال هاتين المرحلتين يرتب النتائج التي توصل إليها وينشئ المصطلحات والمفاهيم الصحيحة ليبلغ القارئ بأهمية بحثه سواء من الناحية النظرية أو التطبيقية. وهنا مرة أخرى نذكر بالعلاقة التكرارية أو التراجعية أو العودية بين كل من المراحل التحليلية الخمس. ولذلك قد تؤدي التفسيرات الأولية إلى العودة إلى مرحلة إعادة التجميع لمراجعة مصفوفات أو سلاسل البيانات ذات الصلة. وقد يروح الباحث ذهابًا وإيابًا بين هاتين المرحلتين أكثر من مرة. وقد تتسبب مرحلة التفسير في إعادة النظر في مرحلة فك البيانات، وذلك مثلا لإعادة ترميز بعض العناصر. وحينئذ تنتج العناصر معادة الترميز موضوعات أو قضايا جديدة في مرحلة إعادة تجميع البيانات. وبنفس الطريقة أيضا يمكن أن يكون لمرحلتي التفسير والاستنتاج الختامي نفس العلاقة التكرارية.

وتمثل مرحلة التفسير للباحث حرفة إعطاء معنى خاص به لسلاسل البيانات والبيانات المجمعة. تمثل هذه المرحلة تجميع عناصر التحليل بأكمله معًا والوقوف على ذروتها. وتتطلب هذه المرحلة استخدامًا واسعًا لمهارات الباحث التفسيرية لتغطية الأجزاء المهمة من الدراسة إن لم يكن الجزء الأكبر من البيانات بالإضافة إلى أعمق المعاني والتمعنات التي يصل إليها الباحث. ومن ثم لا يكون التفسير مجرد تفسير ضيق لجدول معين مثلا، وإنما المهم هو الوصول إلى تفسير شامل، لا يزال يشمل بيانات محددة، ولكن يتناول موضوعات رئيسية تصبح أساسًا لفهم الدراسة بالكامل. والحقيقة أنه لا يوجد هناك تفسير شامل أو جيد، ولكن يراعي الباحث أن يحقق أكبر عدد ممكن من السمات التالية:

أ. الاكتمال، بمعنى هل للتفسير بداية، وسط، ونهاية؟

ب. الإنصاف، بمعنى باتخاذ الباحث لموقف تفسيري معين، هل الآخرون أصحاب نفس الموقف يصلون إلى نفس التفسير الذي يصل إليه الباحث؟

ج. الدقة الإمبيريقية، بمعنى هل يمثل التفسير البيانات تمثيلا جيدا؟

د. القيمة المضافة، بمعنى هل يعتبر التفسير إضافة جديدة، أم أنه تكرار لما يوجد بالمراجع بشكل أساسي؟

هـ. المصداقية، بغض النظر عن إبداعها، هل ينتقد الباحثون المرموقون في مجال عمل الباحث تفسير الباحث أم يقبلون تفسيره؟

أنماط التفسير: قد يخدم النهج الاستقرائي غرضًا مفيدًا يتمثل في تحديد ما إذا كان يمكن استخلاص بعض الدروس العامة من خلال مراجعة التفسيرات الموجودة في الدراسات النوعية الحالية. تقترح هذه المراجعة، التي سيتم إجراؤها مؤقتًا، قائمة قصيرة وبسيطة من أنماط التفسير المحتملة وهي الوصف، الوصف مع دعوة لعمل معين، وأخير الشرح.

(أ) الوصف كنوع أساسي من التفسير: لقد أجرى كل من ليند و ليند (Lynd and Lynd, 1929) و ميد (Mead, 1928) دراستين كلاسيكيتين من أهم الدراسات الكلاسيكية في مجالي علمى الاجتماع والأنثروبولوجيا. الأولى بعنوان Middletown والثانية بعنوان Coming Age in Samoa. لقد اتبعت الدراستان النهج الاستقرائي. في كلا الدراستين اتبع المنهج الوصفي، ففي الدراسة الأولى وصفت الحياة النمطية اليومية

في مدينة صغيرة في وسط أمريكا أثناء بدايات القرن العشرين. قام الباحثان بوصف الملامح العامة للأسرة والمجتمع المحلي في فصول ستة تناولت كيفية الحصول على لقمة العيش، بناء الأسرة، تدريب الصغار، قضاء وقت الفراغ، ممارسة الشعائر الدينية، ممارسة الأنشطة المجتمعية المحلية. وينحصر تميز الدراسة في نقطتين، الأولى ندرة الدراسات السابقة المشابهة، والثانية هي دراسة الحياة النمطية الأمريكية في عصر الزراعة حيث لم تكن الصناعة قد ازدهرت بعد، ومن ثم فصورت الدراسة الحياة الأمريكية في مرحلة تاريخية مميزة. قام الباحثان ومعهما مساعدان آخران بإقامة مكتب محلي وقضوا عامين مشاركين في الحياة المحلية، ويجمعون إحصاءات محلية مستخدمين الاستبيانات بالمقابلة الشخصية، ويفحصون مواد وثائقية عديدة.

أما الدراسة الثانية فتتعامل مع عالم آخر مختلف تماما. ركزت ميد في دراستها على دورة النضوج بين البنات المراهقات. جمعت بيانات الدراسة من ٦٨ فتاة عمرهن ما بين ٩-٢٠ عاما كانوا يقمن في ثلاث قرى على شاطئ جزيرة ساموا، حيث قضت الباحثة ستة أشهر تجمع بيانات بالمقابلة الشخصية باللغة الساموية بما في ذلك اختبار الذكاء المؤقت الذي يعطى في ساموا، كما قامت الدراسة بفحص مفصل للبناء الاجتماعي للأسر في القرى الثلاث. ومن القضايا التي درست: الحياة اليومية في ساموا، الاتجاه نحو الشخصية، التعليم، الوحدة المعيشية في ساموا، الفتاه وجماعتها العمرية، الفتاة في المجتمع المحلي، العلاقات الجنسية الرسمية، دور الرقص، والتعليم الاختياري.

وكما هو الحال في Middletown، تنبثق ميزة Coming Age in Samoa أيضًا من ثراء بياناتها عن حالة في ركن غير معروف من العالم. ومع ذلك، ومثل Middletown، تتناول الدراسة موضوعًا أوسع من ذلك بكثير حيث تحاول الحصول على نظرة ثاقبة حول "أعراض الصراع والإجهاد" التي يبدو أنها موجودة مع فتيات أميركيات ولكن يبدو أنها غائبة بين فتيات ساموا. وقد كان أحد الأهداف الرئيسية للدراسة هو تحديد ما إذا كانت "هذه الصعوبات ناتجة عن كون الفتاة مراهقة في أمريكا أم لا". وقد استخدمت الدراسة وضع ساموا كوسيلة لاكتساب نظرة ثاقبة على الحالة الأمريكية. هذ الهدف الأوسع هو موضوع الفصل التمهيدي وكذلك الفصلين الأخيرين من كتاب ميد. وفي كلا الدراستين، كانت الأوصاف مكثفة وكاشفة خاصة وأن موضوعات الدراسة لم يتم فحصها بشكل منهجي

من قبل علماء الاجتماع السابقين. وبالإضافة إلى ذلك يوضح كلا العملين كيف تهدف أوصافهما إلى الوصول إلى استنتاجات حول قضايا أوسع نطاقًا كنموذج للتعميم الاستنتاجي، والذي سيتم دراسته في المرحلة الخامسة التالية.

(ب) الوصف مع دعوة للعمل: يمثل هذا النمط الوصفي وصفا متبوعا بالترويج لبعض الإجراءات اللاحقة التي تتطلب تغييرات في السياسات العامة أو في جداول أعمال السياسة. ربما يتم إجراء بعض هذه الدراسات بدافع واضح من الدعوة منذ بدايتها. وهكذا، وفقًا للتصميم البحثي تعمل الأبحاث الإجرائية على إشراك الباحث والمبحوثين في وضع تعاوني بشكل صريح منذ بداية الدراسة (Reason and Riley, 2009). وعلى العكس من ذلك، ربما لم يكن من المقصود الدعوة إلى العمل مسبقًا، ولكن تظهر أهميتها فقط نتيجة لنتائج الدراسة. وقد تهيمن دعوة العمل على استنتاجات الدراسة. ويمكن أن تؤدي الدعوة إلى اتخاذ إجراء إلى إعادة فحص القراء لبيانات الدراسة بنوع مختلف من التدقيق. حتى عندما يتم تقديم البيانات إلى حد كبير في وضع وصفي، فهناك الآن احتمال أن يكون العرض التقديمي منحرفًا بطريقة أو بأخرى متحيزا نحو دعم الدعوة إلى اتخاذ إجراء معين. وقد تغطي الدعوة إلى العمل مواضيع السياسة العامة المعقدة للغاية والمثيرة للجدل مثل رفع الحد الأدنى للأجور، وتوفير الرعاية الصحية الشاملة، وتوسيع برامج رعاية الطفولة وإلى غير ذلك. ومن خلال تضمين دعوة للعمل قد يخاطر الباحث النوعي بتقديم عرض ساذج لموضوعات السياسة نتيجة لتحيزه مما يؤدي إلى شكوك حول جودة الجزء التجريبي من الدراسة. ويعتقد العديد من العلماء أن الدور المقبول لأبحاث العلوم الاجتماعية هو جمع وتقديم الأدلة لدعم أو تحدي مواقف السياسة ذلك لأن اختيار الموضوعات والأساليب في أي دراسة بحثية يعكس ضمنًا نظام القيم الثقافية الذي له تحيزات خاصة به. وعلى ذلك فعلى الباحث النوعي إذا كان يرغب في تضمين نوع من الدعوة إلى عمله كجزء من دراسته فليفعل ذلك برعاية علمية، مثل عرض أي مواضيع متعلقة بالسياسة أو قضايا الدعوة الموضوعية في سياق الأدبيات البحثية الخاصة بها، وإضافة ملحق طويل لدراسته للإشارة إلى إتقانه للموضوع، كما ويمكن تضمين حواشي سفلية واسعة ومفصلة تناقش قضايا السياسة بتعمق أكبر وتستشهد بمطبوعات السياسة ذات الصلة.

(ج) الشرح كنمط للفهم: Explanation as a type of interpretation

سبق أن ذكرنا أن الشرح هو جزء من التفسير، فعلى سبيل المثال قامت دراسة نيومان (Newman, 1999) بمحاولة شرح كيفية الوصمة المرتبطة بالعمل في مطاعم الأغذية السريعة من جانب حديثي المشتغلين بها، ولكن قامت الباحثة بذلك كجزء من دراسة وصفية عامة. والذي يجب ملاحظته هنا هو وجود فهوم عديدة كاملة موجهة لكشف الأحداث المدروسة. ويكون الفهم الكلي مركزا حول شرح كيفية وسببية حدوث الأحداث أو كيفية وسببية تمكن الناس من اتباع مجرى سلوكي معين. وفي مثل هذه الحالات يتخذ الإطار الفهمي نمط الشرح.

لقد سبقت الإشارة إلى أن النظر في التفسيرات المنافسة خلال الإجراءات المنهجية الخاصة بالبحث يعتبر أحد الطرق المهمة لتحسين الجودة التقنية للدراسة. وعند الوصول إلى مرحلة التفسير في التحليل الخاص بالدراسة تكون أهمية التفسيرات المنافسة مقنعة بشكل مضاعف. وهنا يجب علي الباحث صياغة وتقديم الأدلة المعقولة المتعلقة بتلك التفسيرات المنافسة، والسعي لإظهار كيف يمكن أن يكون التفسير المنافس هو التفسير الأساسي.

ومن الناحية المثالية، ينبغي أن تكون الدلائل المجمعة ذات وزن خاص بها مما قد يسقط التفسير المنافس دون حاجة إلى تقديم أي حجة تفسيرية قوية. ويجب أن تكون النتيجة الإجمالية هي تقديم تفسير سليم ومعقول للنتائج البحثية. وفي دراسة نوعية ممتازة في مجال الإدارة قام الباحث بتقديم طريقة غير عادية للتفسيرات المنافسة حيث نظم شاين (Schein, 2003) دراسته كلها حول تفسير انقراض شركة كمبيوتر كبرى كانت من بين أكبر ٥٠ شركة في أمريكا من حيث الحجم. فعلى الرغم من أن المؤلف قدم مقابلة وافرة وأدلة وثائقية لدعم تفسيره الخاص فإن الدراسة اشتملت فصولا تكميلية في نهاية كتابه. وقد أعطى كل فصل تكميلي لكل مدير تنفيذي أساسي للشركة المنقرضة الفرصة لتقديم تفسيره المنافس. ومن ثم فلا يعتبر بناء التفسيرات الجيدة أمرا سهلا. ويجب أن يسعى الباحث قدر إمكانه للبحث عن مساعدة وخاصة من جانب زملائه وأقرانه المطلعين على الأدب العلمي لدراسته. وتتضمن العلاقة المرغوبة مع هؤلاء الزملاء والأقران حوارًا مستمرًا أثناء

عملية بناء الشرح بالإضافة إلى مراجعات المسودات الأولية للدراسة. ذلك لأن المنظورات الخارجية للزملاء والأقران تمكن من الكشف عن الثغرات أو الشذوذ في إطار العمل الفهمي الذي يتناوله الباحث.

وهناك بعض الملاحظات الإضافية لبناء التفسيرات التطبيقية الثاقبة، أولها ملاحظة أن الاحتمالات التحليلية لا حدود لها، طالما أنها تقوم على أساس تجريبي. ويعتبر كل من عدم الاهتمام ببيانات الدراسة وقلة الإبداع هما المعوقان الأساسيان اللذان يغلقان الطريق أمام بناء إطار عمل فهمي ممتاز. هذا وتتوقف التفسيرات المثالية على ربط الأفكار المهمة بالدراسة والمستمدة من الأدبيات ذات الصلة بالبيانات المعاد تجميعها سابقا.

ويمكن البدء في التفسير من خلال عدة طرق: أولا، عادة ما يكون الباحث قد عرف الموضوع الرئيس لبحثه، وربما يكون قد حدد ذلك عن طريق ذكر عنوان فرعي محتمل لدراسته النوعية. ثانيًا، ربما يكون الباحث قد لاحظ أنماطًا مهمة وجديدة ومستمرة في بياناته البحثية سواءً عبر أفراد أو عبر أحداث مختلفة. هذا ويلاحظ أن الأنماط الجديرة بالملاحظة تتعدى أي جزء أو مجموعة من البيانات، وإنما تتخلل جزءًا كبيرا من جميع بيانات الدراسة. ويمكن أن تصبح هذه الأنماط التي تم العثور عليها حديثًا هي الركائز اللازمة لبناء فهم مبتكر. ثالثًا، يجب أن يكون الباحث قادرًا دائمًا على بدء الفهم والتفسير مع أسئلة البحث الأصلية والبناء عليها. هذا ويجب على الباحث ألا يظن أن الفهم هو عملية تسلسل خطي، بمعنى أنه لا يجب أن ينتظر حتى المرحلة التحليلية الرابعة قبل محاولة القيام بأي فهم أو تفسير. فقد تبدأ بعض الدراسات النوعية في كشف وتقديم فهمها وتفسيراتها قبل وقت طويل من نهاية الدراسة. فعلى سبيل المثال، قامت بوني أدريان (Adrian, 2003) بنسج أو بناء تفسيرها طوال عرض دراستها حيث تدعم تفسيرها بعرض أو تقديم بيانات مفصلة وافية تغطي مجموعة من المواضيع ذات الصلة في فصول منفصلة. فقد قامت دراسة أدريان المشار إليها ببدء دراستها بحادثة معينة تتمثل في عرض صورة زفاف صديقتها التايوانية ارتفاعها ثلاثة أقدام في غرفة النوم العائلية وحيازتها لألبوم ضخم يحتوي على صور زفاف يبلغ ارتفاعها ١٥ بوصة للذكرى. تعكس الصور تغيراً أوسع في المجتمع التايواني، مدفوعاً بصناعة تنافسية للغاية لصالونات التصوير الفوتوغرافي للعرائس والتعبئة والترويج لجمال الزفاف. وفي الوقت نفسه، سريعا ما تقدم الباحثة ما سيصبح

التفسير الرئيسي لدراستها، ألا وهو عولمة المجتمع الاستهلاكي مما يتيح لها أن تختتم بمناقشة حول كيفية أن "التصوير الفوتوغرافي التايواني للعرائس ليس مجرد استجابة للعولمة السريعة في تايوان وإنما هو نفسه جزء من العولمة" (Adrian, 2003: 244). وتستمر الباحثة من خلال دراستها في إتمام عرض تفاصيل مراسم الزفاف وطقوس الزواج في تايوان ضمن سياق العولمة.

وهناك ملاحظة أخيرة في غاية من الأهمية تتمثل في إدراك الباحث لأن ما قد يجعل أيًا من هذه البدائل السابقة يعمل جيدًا هو المعرفة الدقيقة بالأدبيات ذات الصلة. إذا كان الاستعراض المرجعي ضعيفا، أي يحتوي على عدد قليل من الدراسات السابقة حول موضوع الدراسة أو يتسم بعدم وضوح موضوعاته أو غياب نظرياته فعلى الباحث أن يبين كيفية مساهمة فهومه وتفسيراته في بناء قوة جديدة للدراسات المستقبلية. أما إذا كان الاستعراض المرجعي قويا فعلى الباحث أن يبني فهما وتفسيرا يشيران إلى جوانب لم يتضمنها الاستعراض المرجعي أو الدراسات السابقة. وعموما فهنا يتمثل دور الباحث وأهميته مرة أخرى في الدراسات النوعية في بناء فهم أو إطار فهمي مبتكر غير تقليدي.

٥. مرحلة الخلاصات أو الاستنتاجات: Concluding

بعد مرحلة الفهم والتفسير يتوصل الباحث إلى مستخلصاته أو استنتاجاته التي قد تكون واحدا فقط أو عديدا من المستخلصات. ولكن يجب في الحالتين أن يكون المستخلص محددا وربما قد يكون فريدا. وقد تساعد الإشارة إلى أنواع الاستنتاجات التي تم استخلاصها من قِبل الباحثين الآخرين على الوصول إلى مقترحات حول كيفية التفكير في الاستنتاجات الخاصة بالبحث الخاص بالدراسة. والخلاصة هي نوع من العبارات الشاملة أو سلسلة من العبارات التي تعلو بنتائج الدراسة إلى أعلى مستوى فهمي أو إلى مجموعة أوسع من الأفكار (التي قد تمثل النظرية). وتكمن روح الاستنتاج في مفاهيم مثل "الدروس المستفادة" و "منطويات البحث" و "المآلات البحثية" و "الآثار العملية". وتعطي مرحلة الخلاصات أكبر فرصة للباحث لممارسة تقديراته بحرية تفوق أي جزء آخر من دراسته البحثية. ولا يجب أن تكون الخلاصات هي مجرد تكرار للنتائج من خلال قولها بطريقة أخرى. وقد قدم ين (Yin, 2011) خمسة أنواع من أشكال الخلاصات التي

يمكن للباحثين أن يستخدموها فرادى أو بأي عدد منها، كما يشير إلى أن الباحث يمكن أن يتخذ لنفسه شكلا مبتكرا يختلف عن أي من الأشكال الخمسة:

أ. **الخلاصات الداعية إلى دراسات جديدة:** هذه العملية هي نوع تقليدي قديم اتبعته معظم الدراسات العلمية بتبيان كيف أن الفروض الأساسية للدراسة والتي قد تم تأكيدها أو رفضها تشير إلى الحاجة إلى دراسات جديدة. فكأنما ينتج هذا النوع من الخلاصات من الحاجة إلى الإجابة على السؤال القائل: ما هي المعارف التي لازلنا بلا علم لها؟ ولذلك يتمثل النوع هذا في "البحوث المستقبلية" أو ربما "مقترحات للحاجة لطرق بحثية جديدة"، مثل الادعاء بأننا في حاجة إلى تطبيق البحث النوعي للوصول إلى معرفة كذا أو كذا. وقد يصل هذا النوع من الخلاصات إلى درجة من الاكتمال يعرض فيها مقترحا بحثيا جديدا.

ب. **الخلاصات المتحدية للتعميمات التقليدية والقوالب الاجتماعية:** كثيرا ما يتواجد هذا النوع في الدراسات النوعية نظرا لتركيز الدراسات النوعية على مركب خاص ومحدد من الظروف السياقية. وبينما تصل الدراسات الكمية إلى ثراء كبير من الدلائل المتعلقة بالسلوك الإنساني وربما قولبة هذا السلوك ومراسيمه وتنظيمه نجد أن الدراسات النوعية قد تظهر أنماطا مختلفة غير متوقعة تكون أساس خلاصات هذه الدراسات. فعلى سبيل المثال، كان من الخلاصات التقليدية العامة والتي ما زالت مقبولة حتى اليوم بالعديد من الباحثين خلاصة الدراسة الشهيرة حول "الأسرة البورتريكية في "ثقافة الفقر" (Lewis, 1965)، والتي تنص على أن الفقراء هم ضحية سلوكهم السيء، وعدم القدرة على المثابرة لإنهاء يوم عمل أمين، وتكوين بيئة وجيرة غير صحية متدهورة الأحوال. وبالإضافة إلى ذلك تؤدي الأسر المنفكة في ثقافة الفقر إلى ترسيخ تلك الظروف وإعدادها للأجيال القادمة. ومن ثم فقد كان مستخلص لويس Lewis الأساسي هو أن "ثقافة الفقر هي التي تعوق جهود مواجهة المشكلات الاجتماعية". هذا هو المستخلص أو الخلاصة التقليدية السائدة، ولكن ظهرت دراسات معاصرة تتحدى هذه الخلاصة بخلاصات أخرى، من بينها الاختلال أو الاضطراب الاجتماعي والسلوكيات الفردية السيئة بين الطبقات منخفضة الدخل بصورة أساسية (Perez, 2004). وأرجعت دراسة بورجوا (Bourgois, 2003) الفقر إلى

الضغوط والمعوقات الواقعة على الأفراد نتيجة البنيانات التاريخية والثقافية والسياسية والاقتصادية. وهكذا تمكنت الدراسات النوعية في هذه الأمثلة وغيرها الكثير من تحدي المقولات والقوالب السابقة مبينة وجود ظروف مختلفة أظهرتها الجماعات والسياقات الخاصة التي تتناولها الدراسات النوعية مضيفة بذلك ثراءً وعمقا في فهم النظم المختلفة أكثر من مجرد دراسة النمط الوسطي الممثل للمجتمع والذي تتناوله الدراسات الكمية.

ج. **الخلاصات المكتشفة لمفاهيم ونظريات جديدة:** يمكن أن تكون الخلاصات الخاصة بالدراسات النوعية، بصرف النظر عن تحديها للخلاصات التقليدية السابقة، متعلقة باكتشاف الحاجة والقيمة المترتبة على مفاهيم ونظريات جديدة. ومن الأمثلة الموضحة لذلك مفهوم "قانون الشارع Code of the street" الذي توصل إليه أندرسون (Anderson, 1999) والذي يوفر لنا عمقا في فهم حياة سكان المدينة الداخليين. وقد استخدم هذا الباحث الدراسة النوعية لبناء واختبار بنيان نظري أطلق عليه "قانون الشارع"، ويعنى هذا القانون نوعا من التأقلم على الشعور بعدم الأمن في الجيرة مع فقدان هائل للثقة في الشرطة والنظام القضائي. وكذلك قدم كل من أليسون و زيليكو (Allison and Zelikow, 1999) خلاصة حول أزمة الصواريخ الكوبية تشير إلى أهمية فهم السلوك المنظمي المعقد وليس مجرد الفهم الفردي للقيادات السياسية واعتباره عاملا مهما يحدد القرارات العالمية. وكذلك من أشهر الدراسات التي أدت إلى اكتشافات نظرية جديدة تلك الدراسة المختلطة كميا ونوعيا والتي اعتمدت على دراسات استقصائية واسعة النطاق بالإضافة إلى العمل الميداني المكثف وهي دراسة وارنر و لانت (Warner and Lunt, 1941). وقعت هذه الدراسة في خمسة مجلدات وركزت على هيكل الطبقات الاجتماعية لمدينة صغيرة في ولاية نيوإنجلاند الأمريكية. تمت تغطية الاكتشاف الرئيسي في الجزء الأول من المجلدات الخمسة. وقد أوضح جزء من الاكتشاف النظري لهذه الدراسة أن التصنيف الطبقي لشخص ما مستقل عن حالته الاقتصادية. وأوضح الجزء الثاني من هذا الاكتشاف ظهور أدلة على وجود هيكل متباين للغاية من ست طبقات اجتماعية، تمكن الباحثان من تقدير النسبة المئوية لمجموع السكان داخل كل طبقة (الطبقة العليا-العليا

١,٤%، الطبقة العليا-الدنيا ١,٦%، الطبقة الوسطى-العليا ١٠,٢%، الطبقة الوسطى-الدنيا ٢٨,١%، الطبقة الدنيا-العليا ٣٢,٦%، الطبقة الدنيا-الدنيا ٢٥،٢% من السكان). ومن ثم فكانت إحدى النتائج التاريخية لهذه الدراسة هي لفت الانتباه إلى التفاصيل الدقيقة للتقسيم الطبقي الاجتماعي داخل المجتمعات الإنسانية، الأمر الذي حظي باهتمام بحثي مستمر منذ اكتمال الدراسة.

د. **الخلاصات التي تتوصل إلى فروض موضوعية جديدة (ليست منهجية):** يمكن للباحث أن يختتم دراسته بمفترض بحثي واحد أو أكثر. يمكن أن يحاول هذا المفترض شرح الوجه الرئيسي للدراسة أو حتى التنبؤ. فعلى سبيل المثال، تختتم دراسة ليباو (Liebow, 1993: 223) التي درست النساء المشردات بمفترض بحثي قد يبدو توتولوجيا (يفسر الماء بعد الجهد بالماء) وهو "إن المشردين مشردون لأنهم لا يمتلكون مكانا يأويهم"، إلا أن الباحث يتابع هذا القول بادعاء أن التشرد هو نتيجة لظروف جسدية أو عقلية للمشردين أو لبطالتهم. هذا وقد أوضحت دراسة ولسون و توب (Wilson and Taub, 2006) كيف يمكن أن يأخذ المفترض شكل تنبؤ، وذلك بعد دراسة أحياء متعددة سكانها مزيج مختلف من الخلفيات العرقية والإثنية. وقد تنبأ الباحثان بأن الأحياء الحضرية الأمريكية ستظل منقسمة عنصريا وثقافيا. هذا مع العلم بأن الأفكار المستخلصة من الدراسة لا تستمد ببساطة من هذا التنبؤ، بل تأتي من تفسيرات الدراسة المتعلقة بحساسية السكان في تفضيل الأحياء التي يشعرون فيها بالراحة من الناحية الاقتصادية أو الثقافية.

هـ. **الخلاصات المتعلقة بالتعميم على نطاق أوسع من المواقف:** هذا النوع من الخلاصات يتم من خلال وصف عملية التعميم التحليلي التي تتم في خطوتين. نبدأ بتحديد مجموعة معينة من المفاهيم أو الأبنية النظرية أو التسلسل المفترضي للأحداث بمثابة مفتاح لهذه العملية. وبالاعتماد على هذه الأبنية النظرية تبدأ الخطوة الأولى بربط النتائج التي توصلت إليها الدراسة النوعية بتلك الأبنية النظرية. ثم تتمثل الخطوة الثانية في كيفية إمكان تطبيق تلك الأبنية النظرية على مواقف جديدة بخلاف تلك التي تمت دراستها كما تم توضيح ذلك سابقا في دراسة أزمة الصواريخ الكوبية أو في كوريا من حيث

الانتقال من دراسة صناعة الزفاف وتطبيقها إلى "عولمة المجتمع المستهلك". ومن التعميمات غير المرغوب فيها في الدراسات النوعية نوعان أحدهما يأتي من الدراسات المسحية، وهو التعميم الإحصائي الذي يأخذ فقط مساهمة رقمية وليست أي مساهمة مفهومية فيما يتعلق بالأهمية الكبرى للدراسة. ويمكن أن تحاول الدراسات النوعية تطبيق هذا النوع من التعميم، ولكن حتى في حالة اختيار عينة من الأشخاص أو المواقع أو الأحداث بعناية لتمثيل بعض المجموعات الأكبر فمن المحتمل أن يكون عدد هؤلاء الأشخاص أو تلك المواقع أو الأحداث في الدراسة النوعية صغيرا بحيث لا تضمن أي تعميم إحصائي. أما النوع الثاني من الخلاصات الأقل استحسانًا في الدراسات النوعية فيأتي من الأساليب التجريبية التي يفترض أن نتائج التجربة قد تتكرر بشكل كافٍ في المواقف المماثلة التي قد يتم تعميم النتائج عليها في المنهجية التجريبية. إلا أنه في الدراسات التجريبية يشار إلى طريقة ثانية للتعميم تعرف باسم "الصلاحية الخارجية External validity" (Cook and Campbell, 1979). هذه الطريقة الثانية للتعميم لها مثيل في البحث النوعي. يحدث هذا المثيل في تلك الحالات عندما يكون جزء معين من الدراسة النوعية أو كلها هي في ذاتها حالة تكرار Replication، وذلك في حالة دراسة الحالات المتعددة حيث يتم اختيار حالتين أو أكثر للاعتقاد بأنهما متشابهتين (Yin, 2009). وكلما ازداد تشابه النتائج في الحالات المتعددة كلما ازدادت صحة ادعاء التكرار.

تاسعا: إعداد تقرير الحالة: نظرا لتعقد منهج دراسة الحالة فعادة ما يصعب كتابة تقرير الحالة. ولكن لابد أن نتذكر أن الهدف من تقرير الحالة هو وصف الدراسة بصورة شاملة تمكن القارئ من الشعور كما لو كان مشاركا نشطا في الحالة نفسها، كما يشعر بأن نتائج دراسة الحالة يمكن أن تطبق في واقعه الفعلي. ولذلك فمن المهم أن يصف الباحث السياق الذي تحدث فيه الظاهرة بالإضافة إلى الظاهرة نفسها. ويجب على الباحث أن يصف بكل وضوح وتفصيل العملية المستخدمة في المعاينة، وجمع البيانات، وتحليل البيانات، وتكوين الفروض البحثية حتى يتمكن القارئ بنفسه أن يحدد معقولية استدلالات الدراسة ودقتها واتساقها.

وفي الواقع هناك حاجة ضرورية لكتابة طرق البحث بصورة واضحة للتأكيد على أن النتائج ليست متحيزة للمفاهيم الأصلية والتوقعات المبدئية للباحث. وليس هناك في النهاية طريقة صحيحة واحدة لكتابة تقرير الحالة ولكن هناك بعض الطرق المقترحة في هذا الشأن. يقترح البعض طريقة حكاية قصة للقارئ، أو كتابة تقرير زمني عن الحالة، أو طريقة مناقشة كل مفترض للدراسة. وربما تساعد طريقة مناقشة كل مفترض للدراسة على بقاء الدراسة مركزة وتتم بذلك الإجابة على الأسئلة البحثية. وقد اقترح ين (Yin, 2003) مجموعة من أبنية كتابة تقرير دراسة الحالة، والمداخل المقابلة لها، والوظيفة أو الغرض من دراسة الحالة بالنسبة لمهام التفسير والوصف والاستكشاف. ويتضح ذلك في الجدول التالي:

جدول ٩. أبنية ومداخل كتابة تقرير دراسة الحالة

نوع البناء	المدخل	التفسيري	الوصفي	الاستكشافي
الخطي-التحليلي	الموضوع/المشكلة ← الاستعراض المرجعي ← الطرق ← النتائج ← الخلاصات ← التطبيقات	X	X	X
المقارني	يكرر دراسة نفس الحالة مرتين أو أكثر ومقارنة الأوصاف أو التفسيرات البديلة	X	X	X
التتابع الزمني	يعرض دلائل دراسة الحالة بالترتيب الزمني. وافضل الوسائل هي صياغة دراسة الحالة للخلف	X	X	X
بناء النظرية	تتبع الصياغة منطق بناء النظرية	X		X
X	X	X	X	X
البناء غير المرتب	لا يمثل ترتيب الفصول أية أهمية		X	

المصدر: Yin, 2003

مقترحات حول عرض بيانات الحالة: عادة ما يتخذ الباحثون مجموعة متنوعة من خيارات العرض التقديمي لدراسة الحالة، بدءًا من المواد المختصرة التي يتم نقلها بشكل مباشر أو غير مباشر إلى فصول بيوجرافية كاملة. ويمكن أن تستفيد الدراسات النوعية أيضًا من استخدام أنواع عديدة من العروض التقديمية غير اللفظية، مثل استخدام الرسومات والصور الفوتوغرافية والنسخ. ويمكن أيضا عرض بعض إصدارات أي من هذه الأنواع من المواد، السردية وغير السردية، كشرائح يمكن أن تدعم العروض التقديمية الشفوية للباحث فيما بعد حول نتائج الدراسة.

ونظرا لأن البيانات النوعية حرفية أو كلامية وليست رقمية، فعادة ما تعرض سرديا أو في صورة سلاسل بياناتية مثل الجداول الكلامية، والعروض الهرمية، والمصفوفات وأشكال أخرى. ومن ثم فإن عرض البيانات بهذه الصور قد لا يمثل تحديا محددا. وهناك نوع شائع من البيانات السردية يتمثل في شكل تنصيصات وفقرات يعاد صياغتها، والتي تمثل أوصاف المبحوثين لحياتهم الخاصة، والإجراءات، ووجهات النظر في البحث النوعي. وعلى العموم فإن هذا النوع من السرد، كان موجزا أو مطولا لم يتلق الكثير من الاهتمام في الأدلة الموجودة لتنفيذ البحوث النوعية. وفيما يلي بعض المقترحات التي يمكن أن تقلل من الخيارات الخاطئة التي قد تظهر بيانات البحث في صورة مملة أو غامضة أو شديدة الالتباس.

أولا: العرض السردي لمقولات المبحوثين: تحتوي جميع الدراسات النوعية تقريبًا على معلومات حول تصرفات ومواقف المبحوثين سواء تم تحديد هؤلاء الأشخاص بالاسم الحقيقي أو الاسم المستعار. وقد تكون الدراسة حول مجموعة من الأشخاص، مثل جماعة صغيرة، أو ثقافة، أو عملية جماعية مثل حملة سياسية. في هذه السياقات الجماعية، ينشأ مكون أساسي من الدراسة في مرحلة ما متضمنا معلومات سردية حول واحد أو أكثر من الأفراد الذين يشاركون في مجموعة صغيرة أو ثقافة أو عملية جماعية. وربما تقوم كل دراسة نوعية بجمع بيانات حول الأفراد وتقديم تقرير عن تصوراتهم أو تطلعاتهم أو معتقداتهم أو سلوكياتهم. وفي البحث الكمي، تتمثل الإستراتيجية النموذجية في جمع البيانات الرقمية وتقديم إحصائيات حول السمات الجماعية للأفراد، مثل التركيب العائلي للأشخاص الذين يعيشون في حي قيد الدراسة، السلوكيات بين الفئات العمرية المختلفة، أو الخصائص الديموغرافية للأشخاص في المنظمة أو المجتمع. وقد يكون لدي الباحث إحصاءات مماثلة كميزة خلفية للدراسة النوعية، ولكن يتركز جوهر الدراسة على أشخاص محددين في سياقات العالم الواقعي وليس أي ملفات تعريف إحصائية. وبنفس القدر من الأهمية، قد يرغب الباحث في تصوير أحداث العالم الواقعي من منظور المبحوثين وهنا يقوم السرد بوظيفة تقديم أصواتهم من خلال استخدام المواد المقتبسة على نطاق واسع. ويجب ملاحظة أن خيارات الباحث في طريقة العرض ليست متمانعة بمعنى أنه يمكن للباحث أن يستخدمها كلها. ومع ذلك، يتطلب كل من هذه الخيارات نوعيات وكميات مختلفة من البيانات، كما يتطلب كل

منها أيضًا سجلات ميدانية بمستويات مختلفة من التفاصيل. وفيما يلي بعض هذه الخيارات مرتبة ترتيبا تصاعديا حسب طولها وتعقيدها:

أ. نثر التنصيصات المقتبسة ضمن فقرات مختارة: تعتبر هذه الطريقة أقصر عرض تقديمي عن المبحوثين عندما تظهر الكلمات التي أدلى بها أحد المبحوثين في الدراسة كجزء من تدفق سرد القصة بالكامل. وتظهر كلمات المبحوث بخط مائل. ويمكن أن تستخدم هذه الطريقة في عرض نصوص سردية تظهر الحوار أو التبادل بين مبحوثين أو أكثر. وهنا تكون المقاطع المقتبسة قصيرة. وعادة ما يكون المزيج بين رواية الباحث الخاصة والتنصيصات المقتبسة محققا لأسلوب عرض سهل وجذاب. ويلاحظ هنا أن بعض الباحثين يثقون في تدويناتهم اليومية أثناء جمع البيانات ويستعملون النصوص المقتبسة من هذه التدوينات (Sidel, 2006: 15; Liebow, 1993: 322–323)، بينما هناك آخرون أكثر احتفاظية لا يستخدمون التنصيصات إلا لو كانت مسجلة على شرائط تسجيل (Duneier, 1999: 13).

ب. استخدام العروض التقديمية الأطول ذات الفقرات المتعددة: تستخدم هذه الطريقة عند الرغبة في تقديم مادة كثيرة حول المبحوثين لأنه ربما قد يعاني مبحوث أو مبحوثون من ظروف حياة غير عادية تلعب دورًا مهمًا في الدراسة بأكملها أو ربما قد يمتد المشهد أو الحوار المجدي على مدى فترة طويلة من الزمن. وهنا تستدعي أي من هذه الظروف الحصول على مواد حول الفرد والتي قد تمتد عبر فقرات متعددة بل وربما صفحات متعددة من السرد. وإذا كان الباحث قد فشل في توقع مثل هذه الاحتياجات أو الفرص كجزء من التصميم الأولي للدراسة فيتعين عليه التفكير في العودة إلى المبحوثين لجمع مزيد من البيانات منهم سواءً في شكل حرفي أم لا ثم زيادة قاعدة البيانات الخاصة به. ومرة أخرى يعتبر هذا الاكتشاف سببا آخر للسماح بالتداخل المتعمد بين مراحل جمع البيانات وتحليلها في الدراسة.

ج. تقديم عروض تقديمية في صورة فصل طويل: في بعض الأحيان تكون الظروف الحياتية لمبحوث واحد من الأهمية للغاية بحيث يكون من الضرورة أن يكرس فصل كامل لمقولات هذا المبحوث كما فعلت دراسة أندرسون (Anderson, 1999) عن "قانون

الشارع" حيث اختتم الباحث دراسة الحياة في أحياء المدينة الداخلية بالفصلين الأخيرين كُرس كل فصل لموضوع أساسي معين يغطى الطرق التي بها يغلب الصراع فيها على شباب الأمريكيين من أصل إفريقي نتيجة التضارب بين قانون الشارع، من ناحية، وعالم الوظائف والعمالة التقليدية المستقرة من ناحية أخرى. أما الفصل الثاني فيسلط الضوء على الشخص الذي لم يتمكن من التغلب على هذا التضارب، ثم يسلط الفصل الثالث على الصراع والتأقلم الذي اتخذه شخص آخر نجح في التأقلم على هذا التوتر.

د. عرض مقولات مبحوثين مختلفين دون التركيز على أحدهم: تستخدم هذه الطريقة عندما يكون الغرض من الدراسة النوعية هو دراسة القضايا الشاملة بدلاً من قصص حياة الأفراد أو الأسر. ولا يزال السرد يشتمل على مزيج من الاقتباسات والحوارات مع المبحوثين ولكن لا يتم تتبع نفس الأفراد بالضرورة من قضية إلى أخرى. وهنا عندما ينتقل النص الرئيسي من موضوع إلى آخر يشير الباحث إلى تجارب مختلف المفكرين اعتمادا على أهمية وملاءمة تجاربهم للموضوع. ويمكن للقارئ بعد ذلك معرفة المزيد عن الخلفية الكاملة وظروف كل مشارك على حدة من خلال الرجوع إلى بيوجرافية المبحوثين التي تظهر في نهاية الدراسة. ونتيجة لهذا الترتيب يمكن للقارئ أيضًا الانتقال ذهابًا وإيابًا بين النص والبيوجرافية للحصول على سياق أكمل لتفاعلات المبحوثين المذكورة في النص. وبالرغم من أن تصورات المبحوثين وآرائهم حول مواضيع محددة ما زالت محفوظة فإن الهدف العام هنا هو لفت الانتباه إلى الموضوعات والقضايا وليس إلى الأفراد.

ثانيا: العرض الجدولي والشكلي والفوتوجرافي: يقتصر العديد من الدراسات النوعية، إن لم يكن معظمها، تمامًا على العروض التقديمية السردية التي تغطي جميع المشكلات والظواهر والأحداث التي تمت دراستها. وقد تتضمن هذه العروض أيضًا أوصافًا فردية للمبحوثين في الدراسة. ولكن هناك بعض الدراسات النوعية تضيف إلى سردها أنماطا أخرى من العرض التقديمي التي من شأنها أن تظهر كعروض أو أشكال بما في ذلك الجداول والرسومات والصور، حيث يقدم كل بديل فرصة مميزة لعرض البيانات مما يجعل البيانات أكثر قابلية للفهم مقارنةً بالحالة التي تعرضها الأوصاف السردية وحدها. وفيما يلي عرض موجز لكل بديل لعرض البيانات:

أ. الجداول: عادة ما تمثل الجداول بعدين، الصفوف والأعمدة، ولكن قد تتعدد الأبعاد إلا أنها تتبع أيضًا مبادئ العرض التقديمي المشابهة. وفي الدراسات النوعية عادة ما تعتبر هذه الجداول جداول للكلمات. وربما تكون الجداول المطلوبة أقصر وأقل تفصيلا من تلك المستخدمة في تحليلات الباحث.

ب. الرسومات: تغطي الرسومات أي نوع من الرسوم أو المخططات أو النماذج المصنعة. ويقدم هذا النوع من العروض العديد من الفرص لعرض البيانات النوعية، إذ أنها توضح المكان، كما قد توضح الخريطة أو التخطيط البياني منطقة الدراسة التي تم اختيارها للقراء بطريقة أفضل من أي وصف سردي للمنطقة. لذلك غالباً ما تستخدم الدراسات مثل هذه الخرائط والتخطيطات لاستكمال الأوصاف السردية. ويتمتع هذا الأسلوب بأكبر درجة من الأهمية عندما تركز دراسة نوعية على منطقة جغرافية، مثل الحي على سبيل المثال. ويمكن أن تكون الخرائط أيضًا ذات صلة حتى عندما لا تركز الدراسة على منطقة جغرافية. فعلى سبيل المثال، يمكن لدراسات مجموعات المهاجرين أن تصور مناطق المهاجرين الأصلية. ويمكن أن تكون الخرائط الكاملة أو التفصيلية مفيدة بشكل خاص عندما تكون المناطق في أجزاء أقل شهرة من العالم. ويمكن للخرائط أيضًا أن توجه القراء إلى المناطق الحضرية المعقدة. ويمكن أن تغطي الخرائط مساحات سكانية تتمثل في بيانات التعدادات السكانية وتوزيع السكان فيها، كما يمكن أن تكون الخرائط تاريخية تظهر التطور الزمني لجماعات معينة في مناطق معينة ترتبط بموضوع الدراسة.

ج. الصور والمنسوخات: تمثل الصور والمنسوخات طريقة ثالثة لعرض البيانات النوعية. فقد تكون الصور خاصة بالمبحوثين أو بأماكن معينة في منطقة الدراسة أو قد تكون لتحف أو لملامح بيئية ذات صلة بالدراسة. ونظرا للاستخدام المكثف للصور الفوتوغرافية اليوم في الحياة اليومية من خلال الهواتف الخلوية فقد مكن هذا الكثير من الباحثين من أن يكونوا مصورين. لذلك يجب أن تحدد الدراسات التي تستخدم الصور الفوتوغرافية معايير عالية لجودة التصوير الفوتوغرافي وذلك من الناحية الفنية (مثل الإضاءة والتركيز وحجم الصورة) وفي البناء الفني. كما يجب توخي الحذر عند تحديد ما إذا كانت الصور الفوتوغرافية التي تظهر أصلاً كصوراً لامعة ولونًا سيعاد إنتاجها بشكل جذاب بالتنسيق غير اللامع والأسود والأبيض الذي يحتمل أن تطلبه معظم المنشورات الأكاديمية. وبالطبع

يجب أيضًا اختيار الصور بشكل جيد لتعكس جانبًا رئيسيًا من الدراسة وسياقها، حيث أن الصور الفوتوغرافية الضعيفة يمكن أن تنعكس سلبًا على الدراسة وعلى الجودة المتوقعة لبقية الدراسة. ويمكن للصور الجيدة أن تعطي معنى للأقوال المأثورة بشكل ثري، حيث أن الصورة الجيدة يمكن أن تتفوق على ألف كلمة. أما النسخ فيمكن أن يكون نسخًا من الأعمال الفنية والرسومات والصور الفوتوغرافية القديمة التي ينتجها الآخرون. ويمكن أن تمثل الصورة القطع الأثرية مثل صور من صفحات مذكرات المبحوث، أو خريطة قديمة لزي موحد أو نمط من اللباس أو أي عدد من العناصر الأخرى ذات الصلة بموضوع الدراسة النوعية.

ثالثا: عروض الشرائح أو "الباور بوينت": تتيح برامج الكمبيوتر الحديثة بسهولة تحويل أي من المواد إلى شريحة. ولكن هل تصلح أي مجموعة من الشرائح؟ كثير من العروض التقديمية المقدمة في اجتماع علمي تتضمن معلومات معروضة بخط صغير جدًا أو قد تكون باهتة بحيث يتعذر قراءتها أو التعرف عليها بسهولة. في الواقع ليس من الصعب تصميم الشرائح الجيدة والفعالة، ولكن قد لا يهتم مقدمو العروض بقدر كافٍ من خياراتهم. وفيما يلي بعض الملاحظات الممكن تنفيذها للحصول على عرض شرائحي جيد:

أ. ضرورة إعادة الصياغة مع تطبيق بعض قواعد التنسيق، إذ أنه في حالة المنشورات المكتوبة يمكن للقارئ أن يفحص المعروض لفترة زمنية غير محددة. وعلى النقيض من ذلك، يرى الجمهور شريحة فقط لفترة قصيرة من الوقت (عادةً دقائق) إضافة إلى أن تعليقات المتحدث تتسبب في صرف اهتمام الحاضرين عن الشرائح. ونتيجةً لذلك، يمكننا إدراك السبب في أن الشرائح المفضلة يجب أن تحمل معلومات أقل من المعروضات المماثلة لها. وبالنسبة لهذه المعروضات، تحتاج الشرائح إلى استخدام حروف أكبر وأن تكون أكثر بساطة في الفهم والإدراك بشكل أسرع. وكمبدأ توجيهي تقريبي، وخاصة إذا كنت تتحدث قبل أن يجلس المشاهدون على مسافة من الشاشة، فيمكن للباحث استخدام خطوط من ١٨ نقطة أو أكبر في الشرائح.

ب. الشرائح النصية: عادة ما يكون النوع الأساسي من الشرائح هو الذي يحتوي على كلمات فقط. قد تظهر مثل هذه الكلمات في الشريحة الأولى، حيث تعرض سلسلة من

العناصر المرقمة التي تحدد الموضوعات التي ستغطي في العرض التقديمي. وعلى العكس من ذلك، قد تظهر هذه الكلمات في شريحة في نهاية العرض التقديمي تتضمن الاستنتاجات (أو المستخلصات) الرئيسية. عند عرض هذه النصوص، يضع العديد من الباحثين الكثير من الكلمات على الشريحة فبدلاً من تحديد الكلمات أو العبارات الأساسية لتوضيح نقطة ما نجد أن الشريحة تحتوي على جملة كاملة، بل الأسوأ من ذلك، فقرة كاملة (لكن قصيرة). بعد ذلك، ينتقل الباحث إلى "قراءة" الشريحة بصوت عالٍ، كما لو كانت الشريحة تعمل كبرنامج نصي لهذا الجزء من العرض التقديمي الشفهي. ولذلك فعلى االباحث إذا كان سيضع كلمات على شريحة أن يقصرها على الكلمات الأساسية، أو المستخلصات، أو العبارات، أو أجزاء الجمل التي تمثل جوهر المشاهدات البحثية. ذلك لأن الهدف من تصميم هذه الشرائح هو جعل الجماهير تتذكر هذه الكلمات الأساسية، أو المستخلصات، أو العبارات، أو أجزاء من الجمل كرموز عقلية تذكر المشاهد بالمشاهدات التفصيلية.

ج. **استغلال الشرائح ذات التصميم الحر:** لا يبدو أن وضع أسطر نصية على شريحة، بصرف النظر عن عدد الأسطر، هو الاستخدام الأكثر فائدة للشرائح. الأفضل من ذلك هو ملء صورة شريحة فارغة بالجداول والرسومات والمواد المصورة سابقة الذكر أعلاه. وتتضمن الطريقة الأكثر إبداعًا لتقديم المفاهيم المجردة، مثل المصفوفات أو حتى السلاسل، تضمينها في شكل هندسي مثل الهرم. فبالرغم من أن المفاهيم الرئيسية هي مجرد كلمات في القائمة إلا أن الجماهير قد تولي الشريحة مزيدًا من الاهتمام في حالة ظهور هذه الأشكال الهندسية أو الكائنات الأخرى بالإضافة إلى الكلمات البسيطة فقط.

د. **استخدام الأيقونات وغيرها من الرموز:** تساعد الأيقونات والرموز الأخرى في توضيح العلاقات المفهومية الأكثر صعوبة. كما يمكن للأيقونات والرموز الأخرى إضافة نكهة فنية إلى الشرائح. ويمكن استكمال مجموعة مباشرة من أسطر النص بمجموعة من الرموز المختارة بشكل جيد والتي توضح المفاهيم الأساسية.

ه. **اختيار الألوان والأسلوب الفني:** يحتوي برنامج "الباور بوينت" على إعداداته الافتراضية بحيث يمكن الباحث من إنشاء شريحة بسرعة. تتضمن الإعدادات الافتراضية بعض الأعمال الفنية المتواضعة، بما في ذلك اللون الافتراضي. ويمكن للباحث أن يتجاهل

اللون الافتراضي لأنه يمكن إنشاء شرائح جذابة بالأبيض والأسود. ولكن في حالة الرغبة في استخدام الألوان يمكن مراعاة الملحوظات التالية:

- يجب يجب عدم الإفراط في استخدام الألوان (إلا إذا كانت الصورة التصويرية تحتوي في الواقع على كثير من الألوان والشريحة تكون نسخة معبرة عن تلك الصورة. وليتذكر الباحث أن وظيفة الشريحة هي إظهار محتواها الموضوعي، وليست زركشة من الألوان.
- لا يتم تمييز بعض الألوان بسهولة من قِبل الجماهير التي تجلس على أكثر المسافات شيوعًا عن مقدم العرض، ومن ثم فتصبح الألوان على الشريحة أكثر صعوبة في تمييزها إذا تم حجبها عن طريق لون الخلفية. فعلى سبيل المثال، نجد أنه في معظم الحالات يبذل المشاهد جهدا كبيرا للتمييز بين الخط الأزرق الداكن والخط الأسود. ولذلك يجب السعي للتعرف على مجموعات الألوان التي تتناقض بسهولة ولكن لا تزال متوافقة مع بعضها البعض بدلاً من الصدام مع بعضها البعض (مثل اللون الأزرق الفاتح والفضي والذهبي، وكذلك الأحمر والبرتقالي والأصفر).
- يمكن استخدام ظلال مختلفة من نفس اللون (مثل اللون البني الداكن والبني الفاتح) لعمل تمييزات ملموسة مسألة صعبة. فقد تكون الاختلافات بين الظلال خفية بصريا. وتتواجد نفس المشكلة أيضًا عندما يختار الباحث اللونين الأسود والأبيض ثم يستخدم أكثر من ظلالين من اللون الرمادي. فعلى سبيل المثال، عند تمثيل الأجزاء المختلفة من مخطط دائري Pie chart عادة ما يكون الظل الأفتح والظل الداكن متمايزين، ولكن عادة ما يصبح تجاوز هذا الزوج (الفاتح والداكن) أمر محفوف بالمخاطر. ولذلك فعند تعدد القاطاعات في هذه المخططات الدائرية والهستوجرام ربما يفضل استخدام أنماط مختلفة مثل الخطوط بدلاً من ظل ثالث أو رابع أو أكثر.

و. **الشرائح عامل مساعد في العرض التقديمي:** على الباحث أن يتذكر أن الشرائح مهما كانت معدة بطريقة ممتازة إلا أنها تظل أداة تكميلية. فالباحث نفسه وأداؤه هو الذي يجب أن يحتل مركز الصدارة. ويعني ذلك من حيث تتبع استراتيجيات أخرى قيام الباحث بالعمل الجاد حتى لا يلجأ لمجرد القراءة ببساطة للعرض التقديمي، كما يجب عليه الحرص على عدم

استخدام الكثير من الشرائح في فترة زمنية قصيرة للغاية، وأخيرا يجب عليه الحفاظ على تركيز جمهور المشاهدين على جوهر عمله.

مما سبق يمكن تلخيص إجراءات بحوث دراسة الحالة في الجدول التالي:

الخطوة	العملية	الوظيفة
البداية	تحديد قضية الدراسة والسؤال (أو الأسئلة البحثية).	تركيز العمل، التأصيل النظري للأسئلة البحثية.
	تكوين النظرية وتكوين مفترضات	تمكن من المرونة النظرية.
اختيار الحالات	تحديد شاملة معينة	تحد من التباين الخارجي وتؤكد على الصدق الخارجي
	المعاينة النظرية لا المعاينة العشوائية	تركز النظر حول الحالات المفيدة نظريا مثل الحالات المتكررة أو تمد النظرية من خلال ملء الفئات أو الفئات الفهمية.
صياغة الأدوات والبروتوكولات	الطرق المتعددة لجمع البيانات.	تدعم من تأصيل النظرية من خلال تثليث الدلائل والبراهين.
	الجمع بين البيانات النوعية والكمية	تدعيم التآزر بين الدلائل والبراهين
	تعدد الباحثين	يعزز من وجهات النظر المتباينة ويدعم التأصيل.
النزول إلى الميدان	تداخل جمع البيانات مع التحليل بما في ذلك من الملاحظات الميدانية أو الحقلية.	يسرع من التحليل ويكشف عن التعديلات المفيدة لجمع البيانات.

	طرق جمع البيانات المرنة والانتهازية	تمكن الباحثين من استغلال الموضوعات أو القضايا الناشئة والملامح الفريدة للحالة.
تحليل البيانات	التحليل الداخلي للحالة	يمكن من الإدراك والتعرف على البيانات ويعمل على التوليد الأولي للنظرية.
	البحث عن الأنماط أو الأنواع عبر الحالات باستخدام الأساليب المتباينة.	تدفع الباحثين للنظر إلى ما هو أبعد من الإنطباعات الأولية وتمكنهم من رؤية الدلائل عبر الرؤى المتعددة.
تشكيل الفروض البحثية	الجدولة التكرارية للأدلة لكل بنيان.	يحدد من تعريف البنيان ومن الصدق ومن إمكانية القياس.
	التكرار، وليس المنطق العيني عبر الحالات.	يؤكد على النظرية ويوسعها ويحددها.
	البحث عن دلائل "السببية" بين العلاقات.	تساعد على تحقيق الصدق الداخلي.
تأليف الأدب العلمي	المقارنة مع النتائج السابقة المعاكسة.	تساعد على بناء الصدق الداخلي، وترفع المستوى النظري، وتحدد من تعريف البنيانات.
	المقارنة مع النتائج المشابهة.	تدعم التعميم، ويحسن من تحديد البنيان، ويزيد من المستوى النظري.
بلوغ الإغلاق	التشبع النظري عند الإمكان	ينهي الخلاصات عندما يصبح التحسن الهامشي ضئيلاً.

الفصل التاسع
توجهات دعم الثقة في دراسات الحالة

التوجهات العامة: قام الباحثون النوعيون ببناء أطر عديدة لتقييم دقة وثقوية البيانات النوعية (Guba, 1981; Lincoln and Guba, 1985)، كما قاموا بعرض توجهات أو استراتيجيات لخلق الصدقية والانتقالية والاعتمادية والتحققية (Krefting, 1991; Sandelowski, 1986, 1993). كما قاموا بنشر إرشادات عامة للتقييم النقدي للبحوث النوعية (Forchuk and Roberts, 1993; Mays and Pope, 2000). ومن هذه التوجهات ما يلي:

ضمان وجود التفصيلات الكافية حتى يتمكن القارئ من تقييم صدقية العمل. فعلى سبيل المثال يجب التأكيد على وجود السؤال (أو الأسئلة) البحثية بصورة واضحة مع توضيح أهميتها وكذلك الفروض البحثية (إذا وجدت). ويجب التأكد من أن تصميم الدراسة يناسب السؤال أو الأسئلة البحثية، وكذلك حسن اختيار الحالات البحثية، وأنه قد جمعت البيانات وأديرت بالطريقة المناسبة وأخيرا حسن تحليل هذه البيانات (Russell, Gregory, Ploeg, DiCenso, and Guyatt, 2005). هذا ويعتبر تثليث مصادر البيانات وأنواع البيانات Triangulation من أهم الاستراتيجيات واجبة الاتباع لدراسة الظاهرة من منظوراتها المختلفة. ويجب أن يستمر الباحث مع المبحوثين لفترة طويلة نسبيا تمكن من خلق علاقة ثقة وتوافق بين الباحث والمبحوثين حتى يمكن إدراك وفهم الجوانب المختلفة للظاهرة المدروسة. هذا وتمكن مناقشة الخلاصات أثناء التحليل مع المبحوثين أنفسهم من إدراك أفضل وصدق أعلى للخلاصات البحثية. وتعتبر مشاركة الباحثين في دراسات الحالة من الاستراتيجيات الجيدة في دراسات الحالة وذلك لأن الباحثين المختلفين يمكن أن يقوموا بترميز نفس البيانات بصورة مختلفة تمكن من مناقشة هذه الاختلافات والخروج بخلاصات أكثر صدقا وسلامة.

هذا ويجب اختيار موقع دراسة الحالة بطريقة موضوعية وذلك للطبيعة السياقية للاستدلالات المستخلصة من دراسة الحالة لأن اختيار الموقع الخطأ يمكن أن يؤدي إلى استدلالات خاطئة. فإذا كان الغرض من بحث دراسة الحالة هو اختبار النظريات أو

التوصل إلى استدلالات عامة فهنا يجب اختيار مواقع غير متشابهة لدراسة الحالة وذلك لخلق التباين في الملاحظات. فعلى سبيل المثال إذا كان الغرض من الدراسة هو فهم عملية تطبيق تكنولوجيا معينة في شركات فيجب اختيار خليط من المنشآت الصغيرة والمتوسطة والكبيرة لاكتشاف إذا ما كانت عملية تطبيق التكنولوجيا تختلف باختلاف حجم المنشأة أم لا. ومن ثم فلا يجب أن يكون اختيار موقع حالات الدراسة انتهازيا أو معتمدا على اليسر وسهول الوصول إليه، لكن يجب أن يكون معتمدا على المطابقة مع أسئلة البحث من خلال عملية يطلق عليها "المعاينة النظرية Theoretical sampling".

ولا زالت هناك قضية خرى تتمثل في أساليب جمع البيانات بدراسة الحالة. فبالرغم من أن المقابلة الشخصية تعتبر اكثر الوسائل تفضيلا واتباعا في دراسة الحالة إلا أنها يجب أن تدعم بوسائل أخرى مثل الملاحظة المباشرة (مثل حضور لقاءات التنفيذيين، اللقاءات الإعلامية، وجلسات التخطيط)، وكذلك الوثائق (مثل التقارير الداخلية، النشرات، والأوراق البحثية، بالإضافة إلى التقييمات الخارجية في الصحف)، والسجلات الأرشيفية (مثل المخططات التنظيمية والسجلات المالية وغير ذلك)، والتحف المادية (مثل الأجهزة والمخرجات والأدوات)، وهنا يجب أن يقوم الباحث بتثليث أو التحقق من صحة البيانات المرصودة من خلال مقارنة الاستجابات بين من أجريت معهم المقابلات.

التحقق من ثقوية (صدق) واعتمادية (ثبات) تصميم دراسة الحالة: يجب في بداية الأمر أن نشير إلى أن تقوية ثقوية أو صدق الدراسة النوعية عموما ليس كما هو الحال في الدراسة الكمية يعبر عنه بالوجود من عدمه، بمعنى أنها تكون إما صادقة أو غير صادقة، وإنما يجب النظر إلى الدراسة النوعية عند التحقق من صدقها أو دعمه أن نفكر في أن كل دراسة تحتوى على العديد من المقولات المختلفة، كل منها قد يكون صادقا أو قد لا يكون كذلك، وأن الهدف من دعم الصدقية هنا هو محاولة تحقيق الصدقية لأكبر عدد ممكن من هذه المقولات، ومن ثم يمكن تحقيق صدقية الدراسة كلها.

ويتناول ماكسويل Maxwell قضايا الصدقية من خلال الإشارة إلى أن الصدقية هي "صحة أو مصداقية الوصف أو الاستنتاج أو الشرح أو التفسير أو أي نوع آخر من

التناول" (Maxwell, 1996: 87). وفي مرجع تالٍ له (Maxwell, 2009: 244-245) يقدم قائمة من الإجراءات التي يمكن أن تستخدم لمقاومة مقوضات الصدقية:

١. اندماج الباحث لفترة طويلة في العمل الميداني كي يتمكن من الفهم العميق للمواقف الحقلية بما في ذلك تمكنه من تكرار ملاحظاته ومراجعاته.
٢. توفير بيانات "ثرية" لتمام تغطية الملاحظات والمراجعات الحقلية ببيانات تفصيلية ومتباينة.
٣. تحقيق الصدقية عبر المبحوثين وذلك من خلال الحصول على انطباعاتهم ورؤيتهم وذلك لتقليل سوء فهم آرائهم وسلوكياتهم.
٤. البحث عن أدلة متباينة وعن الحالات السلبية من أجل اختبار التفسيرات البديلة أو المقابلة.
٥. التثليث وذلك من خلال تجميع الأدلة المتقاربة من المصادر المختلفة.
٦. استخدام الإحصاء الظاهرية Quasi-statistics وذلك باستخدام الأعداد أو الأرقام الحقيقية بدلا من مجرد الصفات مثلما عندما نريد أن نقر بوجود شيء من خلال استخدام صفات مثل "نموذجي"، "نادر"، أو "منتشر".
٧. المقارنة الواضحة المحددة للنتائج عبر السياقات، أو الجماعات، أو الأحداث المختلفة.
٨. وتتمثل اختبارات الصدق والثبات لتصميم دراسة الحالة في صدق البنيان Construct validity، والصدق الداخلي والصدق الخارجي Internal and external validity، والاعتمادية أو الثبات. ويتحقق ذلك باتباع الآساليب والإجراءات التالية:

أولا: بالنسبة لصدق البنيان Construct validity تتبع الأساليب التالية:

١. استخدام المصادر المتعددة للاستدلال في مرحلة جمع البيانات مثل تثليث تسجيلات المقابلة الشخصية والوثائق والمصنوعات المادية وغير ذلك من أجل الوقاية من تحيز الباحث (Flick, 1992; Perakyla, 1997).

٢. بناء سلسلة من الاستدلالات في مرحلة جمع البيانات مثل استخدام الوثائق الحرفية للمقابلة الشخصية وتدوينات الملاحظة أثناء جمع البيانات والتي تتيح توفير الاستشهادات الكافية والتحقق من مصادر أدلة معينة (Hirschman, 1986).

٣. مراجعة التقارير الأولية لدراسة الحالة في مرحلة كتابة التقرير النهائي مع مراجعة الإخباريين الرئيسيين ومساعدي البحث للوثائق وأجزاء من تحليل البيانات والتقرير النهائي نفسه لتغيير الجوانب غير الواضحة (Yin, 1994).

ثانيا: بالنسبة للصدق الداخلي Internal validity تتبع الأساليب التالية:

١. استخدام التحليل داخل الحالة، مطابقات النمط عبر الحالات وعبر الدول في مرحلة تحليل البيانات (Miles and Huberman, 1994).

٢. عرض الأشكال والرسوم التوضيحية في مرحلة جمع البيانات لتسهيل عملية التفسير في مرحلة تحليل البيانات (Miles and Huberman, 1994).

٣. التأكيد على التماسك والاتساق الداخلي للنتائج في مرحلة تحليل البيانات وذلك من خلال التحقق المتقاطع أو المقارني للنتائج (Yin, 1994).

ثالثا: بالنسبة للصدق الخارجي External validity تتبع الأساليب التالية:

١. استخدام منطق التكرار الحرفي والنظري في دراسة الحالات المتعددة في مرحلة تصميم البحث، مثل استخدام ١٥ حالة عبر صناعتين مختلفتين (مثل التصنيع والخدمات) في ثلاث دول (Eisenhardt, 1989; Parkhe, 1993).

٢. تحديد مجال وحدود الدراسة أثناء مرحلة تصميم دراسة الحالة للمساعدة في تحقيق تعميمات تحليلية معقولة وليس تعميمات إحصائية وذلك في مرحلة تصميم الدراسة (Marshall and Rossman, 1989).

٣. مقارنة الاستدلالات في الأدب المرجعي أثناء مرحلة تحليل البيانات لتوضيح الإسهامات والتعميمات الموجودة في حدود الدراسة وشاملتها المختارة (Yin, 1994).

رابعا: بالنسبة للاعتمادية أو الثبات Reliability تتبع الأساليب التالية:

١. التركيز على التعرف على النظريات والأفكار الخاصة بكل مرحلة للدراسة (LeCompte and Goetz, 1982).

٢. التأكيد على التناسق بين القضايا البحثية وملامح تصميم الدراسة في مرحلة تصميم الدراسة (Yin, 1994).

٣. تسجيل الملاحظات والأفعال بصورة محددة قدر الإمكان (LeCompte and Goetz, 1982).

٤. يمكن أن يتحقق تطوير وتنقية بروتوكول دراسة الحالة في مرحلة تصميم البحث من خلال إجراء عدة دراسات استطلاعية لاختبار طريقة الأسئلة وبنائها (Eisenhardt, 1989; Mitchell, 1993; Yin, 2003).

٥. استخدام بروتوكول دراسة حالة محدد الأسئلة أو نصف محدد Structured or semi-structured (Yin, 2003).

٦. الاعتماد على عدد من الباحثين يتواصلون مع بعضهم بصورة مستمرة حول قرارات منهجية البحث (LeCompte and Goetz, 1982).

٧. تسجيل البيانات ميكانيكيا مثل استعمال مسجل أو فيديو (Nair and Riege, 1995).

٨. بناء قاعدة بيانات لدراسة الحالة في نهاية مرحلة جمع البيانات وذلك لإمكان حسن تنظيم وتوثيق الكتلة الكبيرة من البيانات المجمعة (Lincoln and Guba, 1985).

٩. التأكيد على المقابلة أو المقارنة المستنيرة للنتائج عبر المصادر المختلفة للبيانات (Yin, 1994).

١٠. الاستعانة بمراجعة الزملاء من الباحثين (LeCompte and Goetz, 1982).

الخاتمــــــة

لقد ساهم المؤلف منذ أن عمل بالتدريس الجامعي منذ عام ١٩٦٨م سواء في أمريكا أو في البلاد العربية في نشر المنهج الكمي والوضعية في مصر بصورة خاصة. ومع التحولات والتطورات العلمية في منهجية العلوم الاجتماعية بدأت البحوث النوعية ودراسات الحالة تستعيد بريقها، بل وتكتسب بريقا متزايدا في الجامعات والمؤسسات البحثية العالمية المرموقة، إلا أنه للأسف الشديد لم يصل هذا البريق إلى منطقتنا العربية والإفريقية إلا مؤخرا جدا. ولا شك أننا شيوخ المهنة مسئولون بالدرجة الأولى عن هذا التخلف، ولكن كما يقولون لا فوات في العلم، والعبرة بالخواتيم، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا.

لقد بدأ الكثيرون من كبار العلماء إما إلى التحول إلى منهجية البحوث النوعية بل والتخصص فيها والحصول على أستاذيتها، أو إلى التحول إلى الاعتراف بأهمية المنهج النوعي وضرورة التكامل بينه وبين المنهج الكمي من أجل الوصول إلى مشارف المعرفة المتكاملة والصحيحة عن الظواهر الاجتماعية. ولقد بدأ بالفعل عدد كبير من العلماء في تغيير وجهات نظرهم حول دراسات الحالة والبحوث النوعية (Campbell, 1975 and Eysenck, 1976 in Flyvbjerb, 2006). وللنظر مثلا إلى أيزينك Eysenck حيث يقول "أحيانا يجب أن نرمي ببصرنا وننظر بعناية إلى الحالات المنفردة- ليس أملا في أن نبرهن أمرا ما ولكن على أمل أن نتعلم شيئا". ولننظر أيضا إلى (Yin) ذلك العالم الأمريكي هندي الأصل وكتابه المنشور في مراجع هذا المؤلف وكيف أن هذا الكتاب الذي صدرت منه ست طبعات آخرها عام ٢٠١٤م والذي أصبح مرجعا أساسيا في مناهج البحث في جامعات ودول عديدة وترجم إلى لغات عديدة والذي من مستخلصاته أن دراسة الحالة هي السبيل إلى معرفة الإجابة عن أسئلتنا عن كيفية الظواهر وسببيتها وخاصة عندما لا نتمكن من التحكم أو التأثير في سلوك المبحوثين، وعندما نريد أن نكتشف الظروف السياقية المرتبطة بالظاهرة المدروسة، وكذلك عندما لا تتضح الحدود بين الظاهرة المدروسة وسياقها الاجتماعي.

ولننظر كذلك إلى ما قاله فيبر Weber، "ومن ناحيتي، مع ذلك، لم أعد أرغب في أن أُعتبر باحثًا وضعيا أو باحثًا تفسيريًا. لقد حان الوقت لكي نتجاوز المسميات ونرى الوحدة

الأساسية التي تجمع بيننا فيما نحاول تحقيقه من خلال أساليب بحوثنا. فالقواسم المشتركة بيننا من وجهة نظري مقنعة وذات أهمية قصوى، ويجب أن نعلي من قيمتها لأنها تدعم قيمة دورنا كعلماء. أما الاختلافات، من ناحية أخرى، فهي فرعية ولكن يجب أن ندركها، ولكن لا يجب أن تفرقنا. التحدي الذي يواجهنا الآن هو إعادة النظر والتأمل لكي نطور خطابا جديدا حتى نصل إلى فهم أعمق للمفترضات النظرية والمنهجية التي تكمن وراء بحوثنا." (Weber, 2004: xii)

هذا ويجب أن نعترف أن دراسة الحالة ليست مجرد نوع من البحوث النوعية، بل هي رخصتنا للولوج في عالم البحث الاجتماعي حيث نكتشف المجهول داخل حدود معروفة، في الوقت الذي نستمر فيه في رصد أدائنا وتقييمه، ورصد معارفنا الحالية وآفاق تطورها. ويتمثل هذا التحدي في إدراك أن البحوث النوعية لا تتواجد في فراغ، فهي في الحقيقة جزء من مجال عريض من طرق البحث في العلوم الاجتماعية. يشتمل هذا المجال الأعرض على طرق بحث أخرى غير نوعية. وعلينا نحن الباحثين أن نعلم ونعلم تلاميذنا كيف نبدي بعضا من معرفة تتعلق بكيفية ارتباط وانتماء البحوث النوعية إلى هذا المجال العريض من بحوث العلوم الاجتماعية، وكيف أنه بدون البحث النوعي لا يمكننا الإحاطة بالكثير الذي يمكن أن نعلمه عن الظاهرة الاجتماعية أيا كان نوعها. لقد اتضح جليا من هذا المؤلف أن التوجهات والنظرات النوعية في بناء المعرفة تعد جزءًا أساسيا في بناء المعرفة واكتشافها وتفصيلها وتوضيحها. وتتميز البحوث النوعية بأنها تكتشف الديناميكيات المتغيرة للظواهر الاجتماعية مثل التحول إلى ما بعد الحداثة والعولمة وتقنيات المعلومات والاتصال، ومن ثم فتحفز الطرق النوعية باحثيها إلى التساؤل وطرح أسئلة جديدة ما كانت لتنتجها البحوث الكمية التقليدية.

هذا ولا يجب أن نتغافل عن بعض الصعوبات التي تكتنف إجراء البحوث النوعية مقارنة بالبحوث الكمية نظرا للفلسفة أو نظرية المعرفة التي ينبثق منها كلا النوعين من البحوث. وتتمثل هذه الصعوبات بصورة أساسية في الباحث نفسه، حيث يجب أن يكون مدربا ومدركا لفلسفة ومنهجية وتدقيق البحوث النوعية فرقا عن الباحث الكمي الذي لا يحتاج إلا إلى قدر كاف من الإلمام بالدراسات الموجودة والنظرية السائدة ثم وضع تساؤلاته وفروضه البحثية والتحقق منها إحصائيا، ويتم كل ذلك في سلسلة بسيطة ذات اتجاه

واحد إلى حد كبير. ولذلك لمواجهة هذا التحدي علينا أن نؤكد على ضرورة تدريس مقررات التحليل النوعي لطلاب العلوم الاجتماعية وتدريب الباحثين على إجرائها بطرق عديدة من اليسير تحقيقها.

التحدي الثاني هو أن البحوث النوعية تستغرق وقتا طويلا في العمل الميداني مما يمثل صعوبة للباحثين المتخصصين، ناهيك عن الصعوبة التي تواجه الطلاب كذلك. كما تستخدم الدراسات النوعية كميات هائلة من البيانات الحقلية والأرشيفية المتاحة غير تلك التي تتواجد على مواقع شبكة المعلومات الدولية. هذا الوقت الطويل وتلك الكميات الهائلة من البيانات قد تؤثر على معالجة القضايا الملحة للسياسات العامة. هذا ونظرا لطول الدراسات النوعية قد لا يجد القراء وقتا كافيا يستثمرونه في قراءة هذه البحوث. ومن ثم فهناك حاجة ملحة إلى الإبداع في عملية تبسيط جمع البيانات في البحث النوعي دون تشويه أو تقصير وذلك حتى نجعل البحوث النوعية في متناول جمهور أوسع وتحت ظروف أكثر تنوعا.

وهناك أخيرا خاصية مميزة للبحوث النوعية، وإن كانت لا تنفرد بها دون البحوث الكمية، ولكنها تكتسب أهمية خاصة في البحوث النوعية، ألا وهي إمكانية إنتاج المعرفة التراكمية الناتجة عن الفائدة الأعظم المترتبة على مقارنة ومقابلة الدروس المستفادة من مختلف البحوث النوعية. تؤدي هذه المقارنة والمقابلة إلى اكتساب عمق اكبر ونظرات تعمقية تعتمد على مقارنة الدراسات المتعددة في البحوث النوعية. وفي الحقيقة تزداد أهمية هذه الميزة الخاصة للبحوث النوعية كلما زاد الإقبال عليها وكثرت دراساتها. ولذلك فعلينا أن نشارك وننشر دراساتنا في البحوث النوعية بين مختلف الباحثين والطلاب والمهتمين والجمهور العام نفسه. وحمدا لله أن أصبح التواصل عبر الشبكة العالمية للمعلومات والتواصل الإلكتروني والنشر الإلكتروني ميسرا لدرجة هائلة لتحقيق هذا التواصل وتلك الميزة الهائلة للبحوث النوعية.

هذا الكتاب دعوة، قد تأخرت كثيرا، إلى طلاب العلوم الاجتماعية، وأنا أولهم، أن نتوقف عن الاستغراق البحثي الكمي المتعالي بسحر الرقمنة، وأن نلحق بمن أدركوا قيمة البحث النوعي، وأن نعلي قيمة الفكر والمعاني بتحقيق التكامل المنهجي، والتآزر التفاعلي بين البحوث الكمية والنوعية بالعودة إلى البحوث النوعية والتركيز على بحوث الأساليب المختلطة، ذلك الهجين الناشئ من تزاوج هذين النوعين من البحوث الاجتماعية.

الملاحـــــــق

ملحق ١. مثال لكيفية بناء النظرية من خلال دراسة الحالة

Diaz Andrade, A. (2009). Interpretive Research Aiming at Theory Building: Adopting and Adapting the Case Study Design. The Qualitative Report, 14(1), 42-60. Retrieved from https://nsuworks.nova.edu/tqr/vol14/iss1/3

يمثل هذا المثال رسالة الدكتوراه الخاصة بمؤلف هذه الدراسة. كان الهدف من هذه الدراسة هو اكتشاف أنماط استخدام تقنيات المعلومات والاتصال (ICT)، وكيف تغيرت طرق تعامل الريفيين مع بعضهم البعض اعتمادا على معلومات هذه التقنيات والمتوافرة حاليا في ستة مجتمعات ريفية في منطقة كاجاماركا شمال بيرو، وهي من أفقر المجتمعات الريفية في الدولة. وقد توافرت هذه التقنيات بتمويل من بعض المنظمات غير الحكومية وجهات مانحة دولية من أجل توفير المعلومات للريفيين لبناء قدراتهم على التنمية المحلية. وبذلك فقد تم توصيل حاسبات الكترونية بشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) من خلال تركيب هواتف فضائية في مراكز معلومات محلية وذلك عام ٢٠٠٣م. وقد أتاح تركيب منافذ المعلومات هذه في هذه المجتمعات المحلية الستة الفرصة للباحث أن يرصد الديناميات التي ولدتها تقنيات المعلومات والاتصال داخل العلاقات الاجتماعية بين السكان المحليين. وقد اعتبر مؤلف هذه الدراسة نفسه باحثا مستقلا لم يكن له سابق اتصال مع أي من المولين للمشروع أو السكان المحليين. وقد عرف الباحث هذا المشروع من خلال شبكة المعلومات في بيرو. وقد وافق المولون على إجراء الباحث لهذه الدراسة. وقد أمضى الباحث عشرة أيام في كل مجتمع محلي لجمع بياناته الحقلية. وقد قام في الأيام القلائل الأولى بمجرد ملاحظة الحياة اليومية وخاصة أنماط استخدام الحاسب الآلى، وفي نفس الوقت قام الباحث ببناء جسور تعارف ومودة مع السكان المحليين لتقليل درجة الغربة بينه وبينهم وكذلك لإمكانية الوصول إلى مبحوثيه. وقد قام الباحث في نفس الوقت بالحفاظ على درجة من التباعد التي ساعدته على أن يكون واعيا لجميع الأشياء التي اعتبرها السكان المحليون أمورا عادية هي في عداد المسلمات. وقد أدى ذلك إلى النظر إلى الباحث دائما على أنه مراقب خارجي غريب بالرغم من قضاء الباحث وقتا طويلا مع المبحوثين .(Trauth, 1997; Walsham, 1995a)

وعلى اعتبار وقوع هذه الدراسة في منطقة الحدود التحليلية Analytical borderlands، وهي عالم ما بين الفضاء الإلكتروني ومستعمليه، وحيث تحدد القيم الثقافية طريقة استعمال الحاسبات الإلكترونية (Sassen, 2004)، فقد انتهج الباحث مدخل دراسة الحالة الفهمي Interpretive case study approach. ويعتبر هذا المدخل مناسبا للوصول إلى فهم موثوق للتفاعل المعقد بين الإنسان والحاسب الإلكتروني داخل نطاق سياقه الاجتماعي (Ciborra, 2004; Myers, 1997; Orlikowski and Baroudi, 1991: Walsham, 1995a, 1995b).

وحدة التحليل والمعاينة النظرية: لقد ساعد تصميم دراسة الحالة الباحث في تحديد الوقت والحدود المكانية للبحث. وحيث أن دراسات الحالة تمثل حالات محددة ودقيقة لظاهرة معينة (Schwandt, 2001) فقد كانت الخطوة الأولى هي تحديد وحدة التحليل. لقد اعتبر كل مجتمع محلي وحدة فرعية مفردة للتحليل تحت تصميم كلي لدراسة الحالة المتعددة (Yin, 2003). ولا يعنى تصميم دراسة الحالة المتعددة أن الباحث قد اتبع منطق التكرار Replication logic، لا حرفيا من أجل توقع نتائج متشابهة، ولا نظريا من أجل توقع نتائج متناقضة كما اقترح ين (Yin, 2003). لم يقم الباحث باختبار أي فروض بحثية أو أطر نظرية معينة. ومع ذلك، فقد أدى تصميم دراسة الحالة المتعددة إلى فهم أعمق وتفسير أفضل لقضية البحث موضع الدراسة. فقد كان الباحث يسعى لمعرفة القضايا الرئيسية التي تمكنه من فك شفرات المشكلة المعقدة وإلقاء الضوء على أبعادها المختبئة. وبعد موافقة جامعة أوكلاند (نيوزيلانده) بدأ الباحث دراسته الحقلية في يوليو ٢٠٠٥م واستمر فيها حتى نوفمبر ٢٠٠٥ في بيرو. وقد اضطر الباحث إلى تغيير خططه النشاطية والزمنية نظرا لظروف غير متوقعة أثناء جمع البيانات الحقلية. وقد كان على الباحث أن يكون منفتحا للظروف التي تضطره إلى تتبع البيانات حيثما كانت وذلك من حيث الموقع الجغرافي للمبحوثين ومن حيث توافر البيانات. وكان هذا تطبيقا لكون الباحث مرنا وقابلا للتأقلم (Eisenhardt, 1989; Trauth, 1997; Yin, 2003). وبالرغم من أن تحديد المبحوثين لهذه الدراسة قابله بعض التحديات، إلا أنه لم يكن تحديد الأفراد الممكن اشتمالهم في هذه الدراسة في المجتمعات الصغيرة التي تمثل حقل جمع بيانات الدراسة أمرا أو عملية صعبة. وقد سهلت جنسية الباحث البيروفية من هذه العملية لدرجة كبيرة. وقد تمكن

الباحث أثناء مفاوضاته مع الجهة المانحة للمشروع من الحصول على أسماء الأشخاص المسئولين عن مركز المعلومات. لقد كان هؤلاء الأشخاص هم نقاط اتصاله الأولى في كل مجتمع محلي حيث قاموا بمهمة الإخباريين الذين أوصلوه من خلال معاينة كرة الثلج إلى هؤلاء المبحوثين المتحمسين للحاسب الآلي. وقد تمكن الباحث من خلال تفاعله اليومي مع السكان المحليين من تحديد المبحوثين الآخرين. هذا وقد استخدم الباحث فكرة "المعاينة النظرية" خلال عمله الحقلي. وتتطلب المعاينة النظرية أن يكون الباحث مرنا للدرجة التي يتمكن من خلالها من تحديد الأشخاص الممكن اشتمالهم في الدراسة والذين يمكن أن يمدوا الباحث ببيانات مقارنية مناسبة وذات قيمة لبناء الفئات Categories (Dey, 1999: 5). هذا ويعرف مورس (Morse, 1994: 228) المشارك أو المبحوث الجيد على أنه "الشخص الذي يمتلك المعرفة والخبرة التي يتطلبها الباحث، ويمتلك القدرة على التمعن والتعبير، ويمتلك الوقت الكافي لمقابلته الشخصية والذي يكون لديه الرغبة في المشاركة في الدراسة." هذا ويجب الإشارة إلى أنه لا يمكن تقييم أهمية أفكار المشاركين للمشكلة البحثية إلا بعد جمع البيانات، حيث أن الباحث قد قابله بعض الحالات التي لم يتمكن المشاركون فيها من إمداده ببيانات كافية للتحليل

التحقق وسلسلة الاستدلال Corroboration and the Chain of Evidence:

لقد استخدم الباحث في هذه الدراسة مصادر البيانات الأولية والثانوية. تمثلت البيانات الأولية في المقابلات الشخصية المتعمقة ومدونات الحقل والصور الفوتوغرافية بينما تمثلت البيانات الثانوية في محتويات وسائط تقنيات المعلومات والاتصال بالإضافة إلى المعلومات المنشورة. ساعدت المقابلات الشخصية في الكشف عن مفاهيم ومعاني وقصص وخبرات ومشاعر ودوافع المبحوثين بالنسبة لمشكلة الدراسة (Collis & Hussey, 2003; Tacchi, Slater, & Hearn, 2003; Walsham, 1995a; Yin, 2003). تم إجراء ٣٨ مقابلة شخصية متعمقة باللغة الأسبانية، لغة أم الباحث والمبحوثين، تم تسجيلها وكتابتها. واشتملت المقابلات على ثمانية من رعاة وممولي المشروع وثلاثين من المنتفعين من المشروع. وقد مثلت المدونات أو المشاهدات الحقلية على أكثر من ٢٠٠ صفحة مخطوطة باليد، حيث سجلت تلك المدونات يوميا واحتوت على أوصاف تفصيلية وشروحات للظاهرة الملاحظة خلال العمل الحقلي. وقد كانت هذه المدونات مفيدة وخاصة عندما

كان المشاركون يستخدمون لغة بسيطة محددة في إجاباتهم. وقد عكست المدونات الحقلية بعضا من التحليل لأنها تحتوي على تفسيرات لموضوع البحث بجانب كونها أوصافا واقعية وبذلك فقد تداخل جمع البيانات مع التحليل (Eisenhardt, 1980: 539). وقد كان الهدف من الصور الفوتوغرافية هو عرض شهادة واضحة شكلية لسياق الدراسة ولدعم التفسيرات التي قام بها الباحث أثناء جمع البيانات. وقد بلغ عدد هذه الصور ١٠٠ صورة كانت مفيدة أثناء تحليل البيانات. وقد وضح مدى فائدة هذه الصور خلال مرحلة تحليل البيانات، حيث وفرت نوعا من التدعيم والصدق للأحداث المشاهدة، كما مكنت الباحث أن يتمعن وأن يصل إلى تفسيرات للسياق الاجتماعي. وبالنسبة للبيانات الثانوية، فقد قام الباحث بتحليل محتوى وسائط تقنيات المعلومات والاتصال (مثل محطات إذاعة الراديو المحلية وكذلك موقع المشروع على الشبكة الدولية للمعلومات)، وقام أيضا بتحليل المعلومات المنشورة (مثل البيانات السكانية، والخرائط، وتقارير المشروع). وقد أمكن من خلال تحليل محتوى معلومات الإذاعة المحلية فهم نوع المعلومات التي قدمها المشروع، أما المعلومات المنشورة فقد أمدت الباحث بالمعلومات الخلفية والسياقية والتي قام المشروع على أساسها. وقد تم تسجيل كل مصدر جديد من الأدلة المتراكمة، وتنظيمها، وتحليلها بعناية. ولقد ساعدت هذه الأدلة في تأكيد النتائج التي توصل إليها الباحث. وقد تم إنتاج قاعدة بيانات دراسة الحالة باستخدام حزمة برامج NVivo، ولم يكن القصد من إنتاج قاعدة بيانات دراسة الحالة هو تحقيق الموثوقية من الناحية الوضعية، وإنما كان القصد هو توثيق البيانات من أجل الحفاظ على سلسلة من الأدلة، وفي نهاية اليوم كانت البيانات تشكل الحلقة الأولى من السلسلة

الترميز النظري، والتشبع النظري، والتعميم النظري: بعد تجميع البيانات، بدأ تنفيذ التفكير الاستقرائي من خلال الترميز النظري الذي يتضمن الرموز الأولية، والرموز المحددة، والفئات، والموضوعات إلى أن يتحقق الاكتفاء النظري والذي أدى إلى التعميمات النظرية. وتجدر الإشارة إلى أن الغرض النهائي من النظرية المجذرة لا يقتصر فقط على ترميز البيانات التي تم جمعها وإنما الغرض الأساسي منها هو توليد النظرية. وبالمثل، يجب أن تنشأ هذه النظرية من البيانات، وليس من أي فرضية مسبقة، وعلى مدار التطور المفهومي.

ونظرا لأن دراسة الحالة هي دراسة شاملة متعددة، فقد قرر الباحث الشروع في إجراء الترميز على نهج كل حالة على حدة من خلال الانغماس عقليا في كل مجتمع عند فحص البيانات. ولقد انتقل الباحث من رموز وصفية مع القليل من التفسير نحو رموز الأنماط بمستوى أعلى من التجريد مع قدر أكبر من الاستدلال، وذلك من أجل التمييز والجمع بين البيانات المجمعة. ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أن الرموز المعينة في لحظة واحدة من التحليل لم تكن ثابتة، حيث أمكن تغييرها على طول عملية التحليل من أجل تحقيق التنقيح والتنقية (Miles and Huberman, 1994; Urquhart, 2001). وعلى مدار إجراء عملية الترميز، كانت المذكرات التحليلية مفيدة من أجل بناء الأفكار النظرية حول الرموز الناتجة أو الناشئة (Charmaz, 2006; Dey, 1999; Glaser, 1978, 1992; Strauss, 1987; Strauss and Corbin, 1990; Urquhart, 2001). ومن خلال طرح الأسئلة التي اقترحها جليسار (Glaser, 1978; 1992) و جليسار (Glaser, 1978) تمكن الباحث من إظهار الرموز أو التوصل إليها. فقد تساءل الباحث أولاً، "ما هو الموضوع الذي تمثله بيانات هذه الدراسة؟ وذلك من أجل ادراك إمكانية وجود موضوع بديل لما كان الباحث ينوي أصلا دراسته، ذلك بأن الباحث قد سمح للبيانات نفسها أن تتحدث عن طبيعتها. ثم سأل الباحث "ما هي الفئة، أو ما هي الخاصية المعينة من الفئة التي تبينه هذه "القطعة" من البيانات؟ وذلك من أجل التوصل إلى الرابطة بين البيانات والرموز الناشئة أو المتوصل إليها، بالإضافة إلى الرابطة بين تلك الرموز المتوصل إليها وذلك كله من خلال النظر إلى الروابط المفاهيمية داخل هذه الكمية الهائلة من البيانات غير المنظمة. وأخيرا، تساءل الباحث "ما هو هذا الذي يحدث فعلا في البيانات؟" وذلك من أجل اكتشاف مسار القضايا الجوهرية حيث حاول الباحث فهم المعاني الخلفية من أجل الوصول إلى تفسير لموضوع الدراسة.

وبالنسبة للترميز الأولي، قام الباحث بتجزيء "البيانات تحليليا" (Strauss, 1987; Strauss and Corbin, 1990) ثم قام بفتح البيانات (Glaser, 1987, 1992)، هذا في الوقت الذي يرى "الأفعال في كل مقطع من البيانات" (Charmaz, 2006).

ولقد اتخذ الباحث معيار تحديد الرموز عند ظهور أفكار أو مفاهيم كاملة ضمن البيانات. وقد كانت عملية المقارنة المستمرة لمثيلات البيانات عملية تكرارية تضمنت العودة إلى

النصوص في كثير من الأحيان لضمان تخصيص آراء المشاركين للرموز المناسبة. وفي نهاية هذه المرحلة توصل الباحث إلى ١٦٥ رمزًا أوليًا.

وبمجرد اكتمال الترميز الأولي، انتقل الباحث إلى الرموز المركزة، التي ظهرت من أهم الرموز الأولية (Charmaz, 2006). ثم وضع الباحث البيانات المجزأة بالفعل معًا من أجل تحديد تركيز التحليل حول بعض المتغيرات المهمة التي تؤدي إلى نموذج واضح (Glaser, 1978, 1992; Strauss, 1987; Strauss & Corbin, 1990). وكان يقوم دائمًا بإجراء مقارنات، ويتساءل باستمرار، واستند إلى الأفكار، وبحث عن إمكانيات جديدة (Charmaz, 2006; Glaser, 1978) لتحسين الرموز المركزة الناشئة. وفي النهاية، ظهر ١٦ رمزا مركزا. ومن خلال تقنية الترميز من أسفل إلى أعلى، أحضر الباحث معرفته السابقة وخبراته والأفكار المرتبطة بها لتكون معقولة من الناحية النظرية (Glaser, 1978). وبعد ذلك، قام الباحث بتحديد الرموز المركزة البارزة التي تعتمد على أصول جيدة في التجارب السابقة، والتي تستند إلى قيمة الفهوم الكلية (Dey, 1999, p. 147). واستمر الباحث في تطبيق نموذج مؤشر المفهوم Concept-indicator model (Glaser, 1978) من خلال مقارنة الرموز مع بعضها البعض بحثا عن أوجه التشابه والاختلاف فيما بينها من أجل اكتشاف الفئات الناشئة، والتي غالبا ما كانت حدودها غامضة. ونتيجة لذلك، تم تحديد خمس فئات. ثم توقف الباحث عن ترميز وتصنيف البيانات عندما وصل إلى الاكتفاء أو التشبع النظري. وعند هذه النقطة، ظهر موضوعان أساسيان يمثلان المعنى أو الأنماط الأساسية الموجودة في الفئات (Charmaz, 2006). وقد مكن الموضوعان الرئيسيان من التفكير في المشكلة المطروحة وشرحها، وإنتاج التعميمات النظرية. النظرية التي قام الباحث بإنتاجها كانت نظرية لتحليل "ما هو" ونظرية لشرح "كيف" (Gregor, 2006)، والتفاعل بين تدخل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والنسيج الاجتماعي الموجود في المجتمعات الريفية الستة. وتتعدى النتائج نفسها نطاق الهدف من هذه الورقة البحثية، لأنها قد تصرف انتباه القارئ عن الهدف الرئيسي لهذه الورقة (ويمكن أن يرجع القراء المهتمون إلى Díaz Andrade and Urquhart, 2009).

ملحق ٢. مثال لطريقة التفكير الاستقرائي Inductive thinking procedure

الموضوع الأول Theme 1: استخدام الأفراد لتقنية المعلومات والاتصالات

المصدر: Diaz Andrade, A. (2009). Pp. 57-58

الفئات Categories	الرموز المركزة Focused codes	الرموز الأولية Initial codes
القدرات الفردية	النظرات تجاه التعليم	تقييم أقل بواسطة النساء، الارتباط طويل المدى بالتعليم، توقعات تعليم الأسرة، عدم الارتباط بالتعليم، مقارنة نوعية التعليم، الإيمان بالتعليم، لامبالاة المعلم، التعليم من أجل التمكين، عدم اليقين في تحقيق الهدف من التعليم، فرص محدودة للأشخاص غير المتعلمين، الأمية في الريف، والفرق بين التعليم الرسمي والقدرات الذاتية.
	عادات القراءة	القراءة المدرسية، القراءة العامة، القراءة المتخصصة، الأمية الوظيفية، عدم تناول القراءة، والقراءة الدينية.
	تعلم الكمبيوتر	الشغف بالكمبيوتر، التدريب الرسمي، التدريب غير الرسمي، التراجع عن الكمبيوتر، قيمة التجديد، عدم وجود برنامج تدريب، التدريب الإلزامي، الخوف من الحداثة، الوعي بأجهزة الكمبيوتر، مواقف الأجيال تجاه أجهزة الكمبيوتر، الكمبيوتر كأداة للتقدم، الدورات التدريبية، ملكية الكمبيوتر.
الأنشطة الفردية	شخصيات معروفة	الشهرة، الدفاع من أجل قدرات الكمبيوتر، محترم، عائلات مؤثرة، شخصية محترمة معارضة لأجهزة الكمبيوتر، العلاقات السياسية.
	القيادة المجتمعية	دور تمثيلي، تنظيم أنشطة، دور توجيهي، تحديد الأهداف، قائد طبيعي، مندوب رسمي، تمثيل عن بعد، منظمة مؤثرة.
	التعرض أو الانفتاح الحضري	الأهداف الشخصية، العمل كمفوض، الأهداف المهنية، أهداف العمل، التعليم في مكان آخر، العزلة الشديدة، مخاطر السفر، الروابط الاجتماعية المتعددة في كل مكان، رحلة تعليمية، المشاركة في المنظمات البعيدة، الإقليمية.
	درجة المبادرة	تقديم مبادرات، البحث عن فرص أفضل، موقف يمكن القيام به، الابتكار، القدرية، الشعور بالنقص، ثقافة الاعتماد
	قبول الحداثة	قبول بعض التجريب، عدم إدراك المنافع، العمل كوكيل للتغيير، القيم الريفية، الانفتاح، أجهزة الكمبيوتر للزراعة، سوء فهم

أجهزة الكمبيوتر، والأولويات المختلفة في البيئات الريفية		

الموضوع الثاني: تكامل الشبكات الاجتماعية من خلال تقنية المعلومات والاتصال

المصدر: Diaz Andrade, A. (2009). Pp. 59-60

الرموز الأولية	الرموز المركزة	الفئات
منافع العلاقات، الدعم الأسري، علاقات الوجه للوجه، السوق كنقطة لقاء، شبكات الأعمال، العلاقات الدائمة، الشبكة المحدودة.	التفاعل المعتاد	الحياة الجمعية
المؤسسات المقبولة، التبادل، الشعور بالانتماء الجزئي للمجتمع المحلي، الثقة بين الناس، الحدود أو الفواصل الريفية الحضرية، الحكومة المركزية، المؤسسات المعطلة، المنظمات المحلية الطوعية، الافتخار بالمجتمع المحلي، العمل الخيري، التنظيم السياسي، الحماية الجمعية، عدم الثقة في السلطات الرسمية، اللامبالاة المؤسسة.	الانتماء للمجتمع المحلي	
القنوات غير الرسمية، القنوات الرسمية، الاتجاه العام نحو المعلومات، الإذاعة بالراديو، سمسرة المعلومات، الاعتماد على المصادر الخارجية، اللوحات، الحاجة لمعلومات محددة، البحث النشط عن المعلومات، التواصل الكتابي، الحاجة للعناية بالفلاحين، الأعمال الناقلة للمعلومات.	مشاركة المعلومات	
توسيع شبكة الاتصالات، التواصل بالبريد الإلكتروني، المحافظة على التواصلات القائمة، الاتصالات اليومية، الدردشة كوسيلة للتواصل، الاتصالات المهنية، الاتصالات من أجل حل المشكلات، التفاعل بين مديري مراكز المعلومات، فرص العمل، التقريب بين الناس، التعلم من الآخرين، الاتصال السريع، أداة الاتصال، الماضي، الاتصالات الأكاديمية.	التشبيك الافتراضي	استخدام الحاسب الآلي
تكامل المصادر التقليدية، الإنترنت كمصدر غير محدود للمعلومات، استمرار الإحاطة بالمعلومات، الحصول على معلومات متخصصة، تقييم مدى ملاءمة المعلومات، استخدام أجهزة الكمبيوتر للتقدم، المعلومات الخاصة بالتمكين، قيمة المعلومات، المعلومات الخاصة بالتعليم، الحصول السريع على المعلومات، المعلومات المجانية.	البحث عن المعلومات	
العرض الجيد، الإنتاج الجيد، أداة جديدة للاتصال الورقي، المذكرات الشخصية.	إعداد الوثائق	
مصدر المعلومات، مركز تدريب، اتصال هاتفي، أداة اتصال عامة، موضع تقدير من الشباب، القيمة الجوهرية، مساحة للترفيه، توفير معلومات عن الوقت والمال، الاعتراف التدريجي، مكان ورش العمل، رمز التقدم، مركز الاتصالات، الاهتمام الفوري بالحاسوب.	الإسهام	مفهوم مركز المعلومات
سرعة اتصال بطيئة، ضغائن شخصية، فائدة مقيدة ، سوء تخصيص	الاستياء وعدم	

أجهزة مركز المعلومات، سوء الخدمة، رسوم لا يمكن تحملها، توظيف المتطوعين، انعدام الخصوصية، مخاوف الاستدامة، قلة الرعاية، استخدام الكمبيوتر من قبل مجموعة النخبة، عدم استخدام مركز المعلومات، عدم الاختلاف عن الكابينات العامة، وعد لم يتحقق، غرض غير معروف، أصوات غير مسموعة.	الرضا	

ملحق ٣. مثال للنموذج المختلط للبحوث النوعية

Kenneth F. Hyde, (2000). "Recognising deductive processes in qualitative research", Qualitative Market Research: An Internationa Journal, Vol. 3, Issue: 2, pp. 82-90, https://doi.org/10.1108/13522750010

عنوان الدراسة "الاعتراف بالعمليات الاستدلالية في البحث النوعي." تناولت الدراسة طبيعة عملية اتخاذ القرارات المستقلة بواسطة المسافرين في إجازاتهم. بحكم العادة، يقوم المسافرون المستقلون في الإجازات بحجز القليل جدًا من خط سير الرحلة، لكن تم إجراء مشروع بحثي لدراسة مدى قدرة هؤلاء المسافرين على وضع تصور مسبق لهم وتخطيط مساراتهم قبل الإجازة. قد يُطلق على النموذج قيد الاختبار نموذج "السفر المستقل باعتباره خط سير متطور"، وقد يُطلق على النموذج المنافس نموذج "السفر المستقل كما هو مخطط له".

بدأ البحث مع بناء النموذج الاستقرائي. تم جمع البيانات من ١٢ مصدرًا، بما في ذلك: مقابلات غير منظمة مع مسؤولي السياحة الذين تم تقييمهم على أنهم خبراء في سلوك العطلة واتخاذ القرارات للمسافرين المستقلين، والملاحظات غير المنظمة في مركز معلومات الزائر ومبنيين سكنيين، وملاحظات من خبرة الباحث في السفر. وقد تم تحديد موضوعات عامة من تحليل قاعدة البيانات هذه. وبناءً على هذه الموضوعات والأدبيات البحثية الحالية، تم إنتاج نموذج لعمليات اتخاذ القرار الخاصة بالمسافر المستقل. تم التعبير عن هذا النموذج كمجموعة من ١٤ اقتراحًا قابلاً للاختبار (انظر الجدول الأول). وشملت المرحلة الثانية من البحث اختبار هذا النموذج. وقد تم استخدام تصميم دراسة تكرار الحالات المتماثلة (Yin, 1994).

تم تعريف السكان الذين تم اختيار عينة الدراسة منهم على النحو التالي:

١. هيئات أو أطراف سفر مستقلة،

٢. الزائرون أول مرة لنيوزيلانده،

٣. المسافرون بمفردهم أو كأزواج ، ولكن غير الزائرين للأصدقاء والأقارب.

وقد تم استخدام طريقة أخذ العينات العمدية الطبقية (Patton, 1991)، تم فيها مراعاة التنوع في ثلاثة متغيرات حرجة، وهي:

١. جنسية المسافر،
٢. حجم أو عدد المسافرين،
٣. نمط التنقل.

وأجريت مقابلة أولية مع أطراف السفر في غضون ٢٤ ساعة من وصولهم إلى نيوزيلندا. وأجريت جميع المقابلات الأولية في مدينة أوكلاند، البوابة الرئيسية للسياحة الدولية. تم إجراء ما مجموعه ٣٢ مقابلة أولية خلال شهري ديسمبر ١٩٩٦ ويناير ١٩٩٧. وتم إجراء ما مجموعه ٢٨ مقابلة باللغة الإنجليزية، وأجريت أربعة باللغة اليابانية، وتم تسجيل ونسخ جميع المقابلات. وتم استخدام المقابلات المركزة حسب بروتوكول المقابلة (Yin, 1994) الذي بحث:

• إلى أين يخطط المسافرون للذهاب في عطلتهم، وماذا خططوا لرؤيته والقيام به،
• كيف تعرفوا لأول مرة على خيارات العطلات هذه،
• ما هو طريق السفر الذي خططوا له،
• ما إذا كانوا قد درسوا أي أدلة أو كتب للسفر، وإذا كان الأمر كذلك، فما هو عدد الساعات التي قضوها في ذلك،
• ما إذا كانوا قد طلبوا المشورة من أشخاص آخرين بشأن ما يمكن رؤيته والقيام به في نيوزيلندا،
• ما هي مصادر المعلومات التي أثرت أكثر في خطط العطلات الخاصة بهم.

ومن بين ٣٢ طرف سفر شاركوا في المقابلة الأولية، رجع ٢٠ طرفًا في نهاية إجازتهم للمقابلة النهائية. وأجريت مقابلة مركزة حسب بروتوكول تناول بحث:

• ما هي الأسماء الفرعية التي زارها المسافر في عطلته،
• ما هو الطريق الذي اتبعوه،

ماذا رأوا وفعلوا في إجازتهم،

• كيف تعرفوا على خيارات العطلات هذه.

ثم تم اختبار نموذج البحث باستخدام إجراء "مطابقة الأنماط". قام كل من القضاة الأربعة المستقلين باختبار المفترضات الـ ١٤ للنموذج مقابل الملخصات ومقتطفات النص من كل قضية من القضايا العشرين. تم وضع ما مجموعه ١٤٦٤ حكما على كل حالة، لمعرفة ما إذا

كانت القضية تتوافق مع نمط الفروض التي تتكون من النموذج. وبالإضافة إلى ذلك، درس كل قاض كل اقتراح لمعرفة ما إذا كان يتم دعمه من قبل البيانات، أو يمكن تحسينه بالفعل من خلال المراجعة. تم وضع ما مجموعه ٤٦٢٠ حكما على كل مفترض. ومن خلال اختبار ويلكوكسون تم اختبار مستوى الاتفاق بين القضاة.

ويوضح الجدول التالي نتائج اختبار "مطابقة الأنماط لنموذج السفر المستقل." فمن بين الحالات العشرين أيد ١٨ حالة النموذج. ولم يمكن تأييد مقترحات رقم ٤، ٥، و ١٠. وقد أدت مراجعة هذه المقترحات كما هو موضح بالفقرة التالية إلى تأييد جميع العشرين حالة.

لقد كانت الإجازات المستقلة بالنسبة للمسافرين بمثابة متعة الملاهي والمتمثلة في خبرة القيادة الحرة أو التحرك الحر من مكان لآخر، وهم على غير دراية بما ينتظرهم في كل مزار، ومستمتعين بقدر الإمكان بكل مكان حسب ظروف الوقت والتكلفة، وفي نفس الوقت مستفيدين بكل ما هو ممتع وغير متوقع (مفترض ١٤). ولقد كانت متعة عدم تخطيط تفاصيل الإجازة إحدى العناصر الأساسية في السفر المستقل (مفترض ١). ولقد كانت دلائل السفر وكتيباته هي أكبر مصادر التأثير في إعداد خطط السفر (مفترض ٣). ولقد كانت قائمة المزارات المخططة هي التي سيطرت على خطط السفر وذلك بالنسبة للمسافرين ذوي الدرجة العالية من البحث (مراجعة مفترض ٤). المسافرون ذوي الدرجة العالية من البحث كانوا هم من كان لهم خط سفر سابق التخطيط (مراجعة مفترض ٥). وقد كانت جميع خطط زيارة المواقع، والمزارات، والأنشطة هي التي تم التعامل معها (مفترض ١٢). وبالإضافة إلى أية عناصر مخططة مسبقا قبل الوصول، قام المسافرون بعد الوصول بتحديد مواقع ومزارات وأنشطة أخرى كثيرة تم تضمينها في عروض (مفترض ٩). هذا وقد قام المسافرون فقط عند اقترابهم من مقاصد رحلتهم بالبحث عن المعلومات التفصيلية عن هذه المقاصد وعن معالمها وأنشطتها (مفترض ٨). وقد كان المسافرون شغوفين لمعلومات من مصادرة متعددة وهم في طريق سفرهم (مراجعة مفترض ١٠). وقام المسافرون بوضع خطط تفصيلية لاختيارهم للمزارات والأنشطة بالنسبة لمدة ٢٤ ساعة فقط (مفترض ٧). وقد كان تتابع قرارات المسافرين كما يلي: المقاصد الفرعية؟ طريق السفر؟ المزارات والأنشطة (مفترض ٦). وقد قام المسافرون بالاستفادة من الفرص القيمة

الناشئة أو غير المتوقعة لتجريب المقاصد، والمزارات، والأنشطة التي لم يخططوا لها أو لم يبحثوا عنها (مفترض ١٣).

ملاحظات ختامية: موجز القول، تعتبر مطابقة الأنماط Pattern matching عملية استدلالية تستخدم التفسيرات المنافسة استخداما فعالا كما تعرض أدلة الحالة ومستخلصاتها على الزملاء الباحثين للمراجعة. وهي عملية مناسبة لبناء بعض الأسس لعملية اختبار النظرية بمطابقة الأنماط. وتتمثل هذه الأسس فيما يلي:

١. أن يمثل كل فرض منافس أو مضاد بقدر الإمكان العكس المقصود بفرضه المقابل.
٢. أن يكون كل فرض منافس أو مضاد له معنى منطقي جيد، وأن يكون كل فرض مضاد لديه بعض الاحتمالات في أن تدعمه البيانات.
٣. أن مجموعة الفروض المضادة تشكل وحدة كلية قوية ومتكاملة، أي نظرية مضادة في حد ذاتها.

لقد كان النهج التقليدي للبحث النوعي استقرائيا. وقد كان النهج الاستقرائي مناسبا للمجالات البحثية التي لا تتضح فيها المفاهيم قيد الدراسة. لذلك، يكون من البديهي أن التطبيق الصارم للمرحلة الاستنتاجية في البحث النوعي لن يكون ملائماً إلا تحت مجموعة مختلفة من الظروف. هذه المجموعة من الظروف تتمثل فيما يلي:

١. أن تكون المفاهيم المراد دراستها واضحة منذ البداية.
٢. يمكن ذكر العلاقات المفترضة بين هذه المفاهيم قبل بدء جمع البيانات.

هذا ويجب وجود التوازن بين الاستقراء والاستنباط في جميع البحوث، حيث أن الاستقراء الزائد قد يحرم الباحث من المنظورات والمفاهيم النظرية المفيدة التي يمكن أن تساعد في توجيه استكشاف الظاهرة المدروسة. هذا ويمكن أن يمنع الاستنباط الزائد الباحث من بناء نظرية جديدة. ومن ثم يمثل التطرف في أي من الاتجاهين أمر غير مرغوب فيه (Parke, 1993).

وعند اتباع النمط الاستنتاجي للبحث يجب على الباحث أن يسعى بموضوعية إلى تكذيب النتائج الأولية، والبحث عن دعم لتفسيرات بديلة. هذا وتظل العملية الاستنباطية سليمة إذا كانت البيانات الجديدة متاحة لاختبار الفروض الأولية وهي البيانات التي لم يتم استخدامها كأساس لبناء النظرية.

ويجب أن تستمر عملية البحث من خلال تفاعل وتكامل العمليات الاستقرائية والاستنباطية. وفي معظم الحالات، يجب أن يبدأ البحث بمرحلة استقراء قبل الانتقال إلى اختبار النظرية. هذا ويجب أن يسعى الباحث إلى بناء مفاهيم وتعمقات استقرائية وتفسيرات لنتائجه بطريقة تتعدى مجرد اختبار النظرية. هذا ويظهر الباحثون النوعيون والكميون العمليات الاستقرائية والاستنباطية في ممارساتهم البحثية، إذ أنه من المهم بالنسبة لنا كباحثين التعرف على هذه العمليات وإضفاء الطابع الرسمي عليها.

جدول ١٠. نتائج اختبار مطابقة النمط للنموذج

P1: يعتبر التمتع بتجربة المسافر المستقل نتيجة عدم التخطيط لتفاصيل عطلته عنصرا لا يتجزأ من السفر المستقل. (z = 64 3.864 ؛ p = 0.000)

P2: يتكون تخطيط العطلات من مجموعة معرفية من العناصر "التي تم بحثها قبل" العطلة. بالنسبة لبعض المسافرين، تتألف هذه المجموعة من ٨ إلى ١٦ عنصرًا، بالنسبة للمسافرين الآخرين، تتألف هذه المجموعة من أقل من أربعة عناصر. (z = 23 3.823 ؛ p = 0.000)

P3: مصادر المعلومات الأكثر تأثيراً في إعداد البحث الذي تم بحثه قبل المجموعة هي أدلة السفر والكتيبات. (z = 95 2.595 ؛ p = 0.010)

P4: سيُهيمن على البحث الذي تمت دراسته قائمة من المقاصد أو المزارات الفرعية المخططة. وسيتم تخطيط عدد قليل من مناطق الجذب والأنشطة. (z = 32 1.232 ؛ p = 0.218)

P5: سيتم تحديد طريق سفر أساسي يربط بين مجموعة المقاصد الفرعية المخطط لها قبل الوصول، أو على الأكثر، خلال ٤٨ ساعة من الوصول إلى الوجهة المقصودة. (z = 36 0.336 ؛ p = 0.737)

P6: تتابع القرارات سيكون في المجالات التالية: المقاصد أو المزارات الفرعية؟ طريق السفر؟ مناطق الجذب والأنشطة. (z = 3.920; p = 0.00).

P7: سوف يضع المسافرون خططًا مفصلة لاختيار مناطق الجذب والأنشطة لفترة ٢٤ ساعة فقط (z = 14 2.314 ؛ p = 0.021)

P8: فقط عندما يقترب المسافر من مقصد فرعي سيطلبون معلومات مفصلة عن هذا المقصد الفرعي ومناطق الجذب السياحي. (3.320 20 = z ؛ 0.001 = p)

P9: بالإضافة إلى قائمة المزارات المبحوثة من قبل، سيقوم المسافر بإنشاء قائمة من عوامل الجذب وخيارات النشاط "يتم البحث عنها بعد الوصول". (3.920 20 = z ؛ = p 0.000)

P10: المعلومات من المصادر الشخصية التي ظهرت أثناء السفر تكون هي الأكثر تأثيرا في المسافر من بين المعلومات التي تم بحثها بعد السفر. (0.362 62 = z ؛ 0.717 = p)

P11: يعتمد اختيار مناطق الجذب والأنشطة على "تحقيق التوازن بين مجريات الأمور"، أي مسألة موازنة المتعة المتوقعة من تجربة اختيار المقصد أو النشاط مقابل قيود الوقت والنفقات. (3.920 20 = z؛ 0.000 = p)

P12: سوف يتم تنفيذ جميع المقاصد والأنشطة التي تم بحثها من قبل تقريبًا. (2.636 = z ؛ 0.008 = p)

P13: سوف يستفيد المسافر من الفرص المذهلة لتجربة بعض مناطق الجذب والأنشطة التي لم يخطط لها أو قام بالبحث عنها من قبل. (3.920 20 = z؛ 0.000 = p)

P14: تشبه إجازة السفر المستقل تجربة "متعة التجول في أرض المعارض"، وهي تجربة متحررة من الانتقال من مكان إلى مكان، وغير مدركة نسبيًا لما يقدمه كل فرع فرعي، مع استخلاص أكبر قدر ممكن من كل مكان (مع مراعاة ضيق الوقت و التكاليف) ، والاستفادة من فرص الصدفة، (3.920 = p = 0.000; z).

معجم المصطلحات الفنية

الإثنوجرافيا Ethnography: دراسة ميدانية للناس في محيطهم الواقعي، وعادة ما تحدث على مدى فترة زمنية طويلة تكفي لتوضيح الروتين اليومي للناس، أي معاييرهم، وطقوسهم ، وتفاعلاتهم الاجتماعية المقبولة، ومن ثم يتضح تميز ثقافتهم.

الإثنوجرافيا الأدائية Performance ethnography: نوع من البحث النوعي يركز على تحليل معنى الدراما، والفن، وغيرهما من أشكال الأداء من حيث التعبير عن الموضوعات الثقافية وما يتصل بها.

الأداة الاسترشادية Heuristic device: هي أي إجراء يتضمن استعمال بناء ينشئه الباحث للمساعدة في استكشاف الظواهر الاجتماعية. وعادة ما يتضمن هذا الإجراء مفترضات مشتقة من البحوث الإمبيريقية الموجودة، ومثالها "النماذج الأمثلية" التي أنشئت كوسيلة أدائية لتعريف وفهم خصائص الظواهر الاجتماعية حيث تظهر الخصائص المركزية والمهمة للظواهر الاجتماعية بوضوح قدر الإمكان. ومن ثم فتعتبر الأدوات الاسترشادية نوعا من التحليل الأولي للظواهر الاجتماعية.

الأساليب غير التفاعلية Nonreactive measures: انظر الأساليب غير المباشرة (Unobstrusive measures).

الأساليب غير المباشرة (غير التفاعلية) Unobstrusive (nonreactive measures): التدابير المستمدة من الملامح القائمة لبيئة اجتماعية نتجت عن التفاعلات الطبيعية للناس في البيئة، أي لا يتم التحريض عليها بأي شكل من الأشكال من خلال دراسة بحثية أو باحث معين.

الاستعلام السردي Narrative inquiry: إجراء دراسة بحثية نوعية وعرض نتائجها بطريقة مبنية عمدا في صورة سرد أو حكاية. وتبرز هذه الطريقة بعض الملامح المتمثلة في إشعار القارئ بشعور الوجود في السياق الحقلي وذلك فرقا عن طرق السرد الأكثر شيوعًا.

أسئلة البحث Research questions: هي الأسئلة الأولية التي يجب أن تتناولها دراسة بحثية. ومن ثم فيجب أن تقدم نتائج واستنتاجات الدراسة ردودًا على تلك الأسئلة، بما في ذلك من تفصيل لها.

الإطار العقلي Mental framework: جانب من الاستعلام أو الاستقصاء يتبناه الباحث أثناء جمع البيانات، ويساعد في الحفاظ على التركيز على اتجاه الدراسة وتوعية الباحث ومساعدته في تحديد الأدلة ذات الصلة، سواء كانت داعمة أو منافسة.

الإنتاج المشترك للمعرفة Co-production of knowledge: هو تحصيل المعرفة الناتجة عن التعاون بين الباحث والمبحوث في أي دراسة بحثية، مقارنة بالعلاقة الهرمية التقليدية بين الباحث وأي مبحوث في الدراسة المسحية أو التجريبية.

الأنطولوجيا Ontology: معتقدات الفرد الفلسفية حول ما يشكل الواقع الاجتماعي، وخاصة سواء كانت الحقائق مفردة أو متعددة (انظر emic و etic).

الانعكاس الذاتي Self-reflexivity: جهود الباحثين لتحديد الظروف الانعكاسية المهمة التي قد تكون موجودة في دراستهم والتي قد تؤثر على استنتاجات الدراسة (انظر الانعكاسية Reflexivity).

الانعكاسية (التأمل النقدي) Reflexivity: عملية يقوم الباحث فيها بالتفكير والتعمق والفهم في كيفية تدخل خلفياته وعقائدة واتجاهاته بالتأثير في عملية البحث. وهي عملية تتمثل في حساسية الباحث وتعاطفه مع المبحوث مما يساعد في بناء المعرفة واكتشافها. وهي أيضا عملية التفاعل الديناميكي الذي قد يتأثر من خلاله المبحوثون بحضور الباحث وأفعاله، والعكس من ذلك عندما يتأثر فكر الباحث وملاحظاته بوجود المبحوثين وأفعالهم.

البحث الإثنوجرافي الذاتي Autoethnography: هو طريقة بحثية تستخدم خبرات الباحث الشخصية فيها لوصف ونقد العقائد الثقافية والممارسات والخبرات الكائنة. وتعترف هذه الطريقة وتقدر علاقات الباحث مع الآخرين، وتحاول إرشاد الناس لما يجب فعله، وكيف يعيشون، وتظهر معاني كفاحهم (Adams, 2015).

البحث الإجرائي Action research: شكل من أشكال البحث النوعي يركز على تبني الباحثين لأدوار فعلية وتعاون نشط مع المبحوثين أو المستهدفين من الدراسة وذلك من أجل دعم موضوع الدراسة والتعمق فيه.

البحث الإمبيريقي أو التجريبي Empirical research: دراسات تستند إلى جمع وتقديم البيانات أو الأدلة الأصلية لدعم ادعاءات الدراسة. ويجب أن تكون الأدلة أو البيانات قابلة للاختبار من خلال اختبارات المصداقية - أي من خلال الفحص المفتوح للمصادر والإجراءات التي تم من خلالها إنتاج الأدلة أو البيانات (ويجب عدم الخلط بينها وبين التجريبية).

بحوث الأساليب المختلطة Mixed methods research: التصميم المتعمد لدراسة معينة باستخدام الأساليب الكمية والنوعية، حيث أن كليهما ضروري لمعالجة الأسئلة والقضايا البحثية موضع الاهتمام.

البحوث الداخلية Insider research: هي الدراسات التي أجراها الباحثون الذين لديهم صلات مميزة أو أدوار حياتية واقعية تتعلق بالسياقات الميدانية التي يتم دراستها.

البحوث متعددة الثقافات Muticultural research: هي البحوث النوعية التي تبرز عمدا وجهات نظر المبحوثين بطرق دقيقة وصحيحة ولكن بطرق استبطانية. وهي تناسب بصفة خاصة دراسات الفئات الاجتماعية التي تعيش تاريخيا خلال عواقب العنصرية والتمييز، والإقصاء من مجتمع أوسع.

البراجماتية أو النفعية Pragmatism: نظرة إلى العالم تدعم اختيار طرق بحثية مناسبة فيما يتعلق بالأسئلة البحثية قيد الدراسة. ووفقا لهذه النظرة العالمية، قد يختار الباحثون استخدام طريقة كمية أو طريقة نوعية، أو إجراء دراسة مختلطة الأساليب باستخدام كلا النوعين من الأساليب، كل هذا يتوقف على الخيار الذي يلائم أسئلة البحث.

بروتوكول البحث Research protocol: دليل يستخدمه الباحث كإطار عقلي لإجراء استعلام بحثي. يشير الدليل إلى الأسئلة التي يحاول الباحث الإجابة عنها ويختلف عن الاستبيان أو أي أداة بحث أخرى يتم طرح أسئلتها على مبحوث

أو مستفتى أو في موضوع البحث (راجع بروتوكول الدراسة Study protocol).

بروتوكول الدراسة Study protocol: خطة ، تُقدم عادةً إلى مجلس مراجعة مؤسسية (Institutional Review Board,IRB)، للحصول على موافقة لإجراء دراسة تتضمن مواضيع بشرية، مثل المبحوثين في دراسة نوعية. وعادة ما يوصي هذا المجلس بتعديل هيكل البروتوكول، أو أن تركز موضوعاته على المسائل اللوجستية ولا تغطي القضايا الموضوعية بتفاصيل كبيرة مثل بروتوكول البحث (راجع بروتوكول البحث Research protocol).

البنائية Constructionsism: الرأي القائل بأن الواقع الاجتماعي هو نتاج مشترك، أوجدته طبيعة الظروف الخارجية ولكن أيضا من قبل الشخص الذي يراقب ويكتب عن هذه الظروف. وبناءًا على هذا الرأي، فإن الحقيقة الاجتماعية المبنية على هذا النحو، تعتبر نسبية وليست مطلقة.

بنك الدراسة Study bank: مجموعة من المراجع في الدراسات النوعية جمعت للمساعدة في تيسير وتشجيع التفكير في المواضيع والطرق ومصادر الأدلة المختلفة التي يمكن استخدامها في دراسة نوعية جديدة.

تاريخ الحياة Life history: سرد خاص لقصة حياة شخص ما، في محاولة لفهم قصة حياته ومنعطفاتها أو نقاط تحولها وقضاياها الرئيسية. وتتعلق تواريخ الحياة المهمة بهؤلاء الأشخاص الذين كانت جماعاتهم الاجتماعية أو تفاعلاتهم أو أنماط حياتهم هي الموضوع الرئيسي في دراسة معينة.

التثليث Triangulation: أسلوب تحليلي يستخدم أثناء العمل الميداني وكذلك في وقت لاحق خلال التحليل الرسمي لتأكيد الحقائق مع أدلة من اثنين أو أكثر من مصادر مختلفة.

التجريبية Empiricism: النظرة الفلسفية القائلة بأن كل سلوك بشري هو سلوك متعلم، بدون دور للتأثيرات الوراثية. وترتبط هذه النظرة بالبحوث النوعية أساسًا من خلال ارتباطها بالـ وضعية Positivism (ويجب عدم الخلط بينها وبين البحث الإمبيريقي أو التجريبي).

تحليل الخطاب Discourse analysis: منهج للبحث النوعي يعتبر أن اللغة تمثل بناء الواقع الاجتماعي، خاصة في السياق الاجتماعي لما يقال، بدلاً من افتراض اللغة فقط لتمثيل ما يفكر فيه الشخص.

تحليل المحادثة Conversation analysis: دراسة طبيعية وملاحظة للسلوك اللفظي وغير اللفظي في المحادثات، بما في ذلك سلوكيات المتحدثين، والتوقف المؤقت، وتجويد الصوت، والتركيز في الحديث.وعادةً ما تستخدم التسجيلات الصوتية ومقاطع الفيديو في هذه الحالة، وتعامل الاستدلالات الناتجة مثل البيانات الأساسية في الدراسة.

الترميز Coding: عملية تتم في تحليل البيانات النوعية، ومن خلالها يتم تحديد أو تعيين كلمات بسيطة أو عبارات قصيرة لتعبر عن معنى جزء أكبر من البيانات النصية أو المرئية (الأصلية). وسواء كان هذا الترميز مدعومًا من قِبل برنامج الكمبيوتر أم لا، يجب على الباحث نفسه اتخاذ قرارات الترميز لكل عنصر بما في ذلك ما يجب ترميزه وكيفية عمله. (راجع in vivo code).

التشابه المعرفي Epistemological similarity: الاعتراف بأن جميع الدراسات النوعية، بغض النظر عن موقعها المعرفي، تهتم بمسعاها المشترك الذي يتمثل في بناء ثقويتها ومصداقيتها من خلال كونها تعتمد على الشفافة والمنهجية والتجريبية (راجع الموقع المعرفي Epistemological location).

التصوير الذاتي Autoethnography: دراسة للثقافة تتضمن النفس كجزء محدد من موضوع الدراسة، ومن الناحية التعميمية، فهو أي دراسة نوعية تتضمن الذات بهذه الطريقة.

التعميم الإحصائي Statistical generalization: طريقة لتعميم النتائج من دراسة إلى أعدد أكبر من السكان لم تتم دراسته استنادًا إلى علاقة إحصائية معروفة بين عينة الدراسة والشاملة الأكبر عددًا من السكان (راجع التعميم التحليلي Analytic genralization).

التعميم التحليلي Analytic generalization: طريقة لتعميم نتائج الدراسة على مواقف وسياقات أخرى لم يتم دراستها اعتمادا على الحجة أو البرهان المنطقي وتطور

النظرية أو التكرار بناءً على الحجة المنطقية أو تطور النظرية أو النسخ المتماثل (راجع التعميم الإحصائي). ويمكن أن ينطبق بنفس القدر على البحوث النوعية (مثل التعميم المبني على مقارنة الحالات) وكذلك على النتائج المستخلصة من أي تجربة مختبرية معينة (مثل التعميم المبني على مقارنة التجارب).

التفاعلية الرمزية Symbolic interactionism: نوع من البحوث النوعية يؤكد على أهمية للتفاعلات الاجتماعية للناس وسياقاتهم الاجتماعية كأساس لاشتقاق معنى الأشياء والبيئة الاجتماعية. وعادة ما يتم التعبير عن المعاني باللغة أو بأي مصطلحات رمزية أخرى.

التفسيرات أو الفرضيات أو التفكير المنافس Rival explanations, hypotheses or thinking: الانخراط المتعمد في التفكير المعاكس حول إجراءات الدراسة أو بياناتها أو نتائجها وذلك من أجل البحث عن إجراءات أو بيانات أو نتائج قد تؤدي إلى استنتاج نتائج مختلفة، وبالتالي يتم تعزيز الدراسة والحد من التحيزات.

الجماعة البؤرية أو جماعة التركيز Focus group: نوع من جمع البيانات يجتمع فيه الباحث مع مجموعة صغيرة من الناس ذوي الخصائص والاهتمامات والخبرات المشتركة حيث يوجه الباحث هؤلاء المبحوثين ويقودهم بطريقة غير إملائية نحو موضوع محدد. والغرض منها هو اكتشاف نظرات الناس ومواقفهم وآرائهم دون تأثير يذكر من جانب الباحث.

الحكاية الاعترافية Confessional tale: تقرير عن النتائج التي توصلت إليها دراسة نوعية، والتي عادةً ما تضم دور الباحث الذي يتضمن عمداً دور الباحث ووجهات نظره كأحد الأشخاص في السياق الميداني الذي تمت دراسته (راجع الحكاية الانطباعية والحكاية الواقعية).

الحكاية الحقيقية Realistic tale: عرض نتائج الدراسة النوعية بطريقة غير انفعالية تعبر عن الضمير الثالث، حيث لا يكون الباحث جزءًا من الحكاية. (راجع الحكاية الاعترافية Confessional tale، والحكاية الانطباعية impressionist tale).

الحكاية الانطباعية Impressionist tale: الإبلاغ عن نتائج دراسة نوعية تحاول أن تضع القارئ في إطار العالم الواقعي الذي تمت دراسته وإعادة التعايش معه (راجع حكاية اعتراف وحكاية واقعية).

دراسة الحالة Case study: دراسة لحالة، أو مجموعة من الحالات تهتم بوصف وفهم وتفسير الأحداث في الحالة (راجع دراسة الحالة الأدائية ودراسة الحالة الداخلية). وقد تعتمد دراسة الحالة على بيانات نوعية أو كمية أو كليهما، ولكن دائما ما تتضمن بيانات حقلية أو ميدانية.

دراسة الحالة الأدائية Instrumental case study: - دراسة حالة لموقف معين، ولكن على الرغم من تفردها، فقد تم إجراؤها نظرًا لاحتمالية تطبيقها على حالات أخرى مماثلة (راجع دراسة الحالة الداخلية).

دراسة الحالة الداخلية Intrinsic case study: دراسة حالة لموقف معين تم اختياره بسبب تفرده وخصائصه الموروثة أو أهميته أو رؤاه المحتملة، دون النظر إلى قابليته للتطبيق على مواقف أخرى (راجع دراسة الحالة الأدائية).

الدمج أو التضمين Nesting: هو دمج أو تضمين طريقة بحثية معينة كيفية كانت أم كمية في طريقة أخرى، حيث تعطى الطريقة المدمجة درجة أدنى من حيث الأهمية.

رمز Nvivo: رمز (يتم تحديده في تحليل البيانات النوعية) ممثل بكلمة أو عبارة مأخوذة مباشرة من البيانات التي يتم ترميزها (راجع الترميز).

الظاهرتية Phenomenology: نوع من البحث النوعي يهدف إلى دراسة طبيعة الأحداث الإنسانية كما يتم عيشها والتفاعل معها في سياق العالم الحقيقي رافضا الاستخدام المسبق لأي مفاهيم أو فئات قد تشوه الأساس التجريبي المباشر لفهم الأحداث.

علم التأويل Hermeneutics: خاصية الدراسة التي تتضمن تفسير الحدث (الأحداث) التي تتم دراستها لتعميق فهم السياقات السياسية والتاريخية والاجتماعية والثقافية وسياقات العالم الحقيقي الأخرى التي يقع فيها الحدث (الأحداث).

علم الثقافات أو علم الثقافة Culturology: هو فرع من العلوم الاجتماعية يهتم بفهم الثقافات ووصفها وتحليلها والتنبؤ بها ككل. وفي الوقت الذي اشتملت فيه دراسة

الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا على الجوانب الاجتماعية والنفسية وما إلى ذلك ظهرت الحاجة إلى مجال يركز حصرياً على الجوانب الثقافية، وهو علم الثقافة، وقد تم الاعتراف به حاليا.

العمل الحقلي Fieldwork: هو إجراء البحث الإمبيريقي في السياقات الواقعية (الحقل) والذي عادة ما يتطلب اجراء الطرق البحثية النوعية.

العينة العشوائية Random sample: اختيار المبحوثين أو مصادر البيانات لاستخدامها في الدراسة بناءً على علاقة إحصائية معروفة بين المختارين (العينة) وجميع هؤلاء الذين كانوا يمكن اختيارهم (الشاملة أو المجتمع)، بحيث تمثل العينة عينة عشوائية لهذه الشاملة. وفي نهاية الدراسة، يمكن تعميم النتائج المستخلصة من العينة على الشاملة.

العينة العمدية Purposive sample: اختيار المبحوثين أو مصادر البيانات لاستخدامها في الدراسة بناءً على ثرائها المتوقع وأهميتها بالنسبة إلى دراسة أسئلة البحث. ويتضمن الثراء والملاءمة المصادر التي يفترض أن البيانات الخاصة بها تتحدي وليس فقط تدعم تفكير الباحث في أسئلة البحث، و لذلك يجب أن تكون جزءًا من العينة.

العينة النظرية Theoretical sample: شكل من أشكال العينة العمدية، غالبا ما يستخدم في اتجاه "النظرية المجذرة"، ويهدف اختيار العينة جمع البيانات بهدف توليد النظرية والتي يعود الباحث من خلالها مرة أخرى إلى جمع المزيد من البيانات وتصنيفها وتحليلها ويحدد أيضا البيانات المطلوب جمعها مستقبلا لبلورة النظرية وهي في مسار عملية نشأتها وبنائها.

عينة اليسر أو الملاءمة Convenience sample: هي عملية اختيار المبحوثين أو مصادر البيانات لاستخدامها في الدراسة، بناءً على توفرها أو إمكانية الوصول إليها. وهي مقبولة فقط كطريقة مفضلة لإجراء البحوث في ظل ظروف غير عادية، مثل دراسة الناجين من كارثة معينة أو المجرمين المحترفين أو الزواج المتعدد الرباعي.

عينة كرة الثلج Snowball sample: اختيار المبحوثين أو مصادر البيانات لاستخدامها في الدراسة، بناء على الإحالات من مصدر إلى آخر.

فئات التحليل Analytical categories: هي فئات ينشئها الباحث النوعي حيث تجمع عناوين البيانات المتشابهة في فئة معينة وفقا لنوع الموضوع.

كاكداس CAQDAS: اختصار يعبر عن Computer Assisted Qualitative Data Analysis أي "تحليل البيانات النوعية بمساعدة الحاسب الآلي، وهو مسمى عام لمجموعة كبيرة ومتنوعة من البرامج التجارية وغير التجارية المخصصة لتحليل البيانات النوعية.

ما بعد الحداثة Postmernism: نظرة ترى أن جميع المساعي البشرية، بدءًا ببناء مستخلاصات تجريدية إلى إجراء البحوث العلمية، تكون نابعة أو مدفوعة ضمنا من الرغبة في ممارسة السيطرة على أناس أخرين.

مجال البحث Research lens: المرشح العقلي الموجود في جميع البحوث النوعية، والذي يؤثر على تفسيرات الباحثين للبيانات الميدانية التي سيتم عرضها لاحقًا في الدراسة النوعية.

مجلة شخصية Personal journal: سجل يشبه "المذكرات" يسجل الخيارات المنهجية للباحث، والمعضلات، والأحكام التقديرية المستخدمة في سياق دراسته البحثية. ويتضمن بصورة خاصة ملاحظات حول ظروف التأمل وتأثيرها المحتمل على نتائج الدراسة (راجع المذكرات Memos).

مدرسة شيكاجو Chicago school: مجموعة من العلماء في جامعة شيكاجو في فترة بداية العشرينات من القرن الماضي والذين ارتادوا بناء الدراسات النوعية الحقلية من خلال دراساتهم الكلاسيكية المنشورة.

المذكرات Memos: هي مجموعة من الملاحظات مخصصة تحديداً للأفكار المستمرة للباحث النوعي أثناء ترميز البيانات النوعية. وتساعد المذكرات في تتبع عملية الترميز وتذكرنا ببعض ما يجب من التحسينات المحتملة وكذلك الأفكار المبدئية حول العلاقات بين الرموز وحول التجميع المحتمل للرموز في فئات ومواضيع (راجع مجلة شخصية).

مراجعات الأعضاء Member checks: هي إجراء يتم بموجبه مشاركة نتائج الدراسة أو مواد المسودة مع المبحوثين في الدراسة. يسمح "التحقق" أو المراجعة للمبحوثين بالتصحيح أو غير ذلك من تحسين دقة الدراسة، وفي الوقت نفسه يتم تعزيز العلاقات التعاونية والأخلاقية.

المشاركون Participants: الأشخاص الذين هم موضع أي دراسة نوعية والذين يطلق عليهم أيضا، كما هو مشار إليه في الأدب العلمي، اسم "أعضاء".

المقابلة النوعية Qualitative interview: شكل من أشكال المقابلات الشخصية يكون بموجبه هدف الباحث الكشف عن معاني المبحوث وتفسيراته من وجهة نظر هذا المبحوث نفسه. هذه لذلك ، ولذلك فعادة ما تكون هذه المقابلة النوعية تعتمد على إجراء محادثة بدلاً من كتابة أسئلة محددة أو طرح أسئلة موحية.

الملاحظة بالمشاركة Participant observation: نمط من البحث الميداني حيث يغرس الباحثون أنفسهم في السياق الحقلي في العالم الحقيقي موضع الدراسة والمشاركة والملاحظة في أثناء جمع البيانات وتسجيل الملاحظات حول السياق الحقلي والمشاركين فيه وأحداثه.

الملحوظات الموجزة Jottings: مجموعة أولية قد تكون مجزأة من الملاحظات التي يتم تدوينها أثناء القيام بالعمل الميداني.

المنظور الخارجي لفهم الواقع Etic perspective: هو التوجه الخارجي أو النظرة الخارجية نحو موضوع البحث، مقارنا بالمنظور السكاني المحلي Emic. وقد اشتق هذا التمييز أصلا من المقارنية بين Phonetic أي الصوت الخارجي للكلمات، و Phonemic أي وحدات الكلمات داخل قواعدها الداخلية.

المنظور المحلي لفهم الواقع Emic perspective: وهو تبني اتجاه أو منظور التوجه المحلي للسكان الأصليين الذين يشكلون جزءًا من الدراسة، على عكس تبني منظور خارجي تجاه موضوع بحثي معين Etic perspective.

المنهجية الإثنوجرافية Ethnomethodology: نوع من البحث النوعي يسعى إلى فهم كيف يتعلم الناس ويعرفون طقوسهم الاجتماعية، وسلوكياتهم، والرموز المعتادة في حياتهم اليومية.

الموقع المعرفي Epistemological location: هي وصف للأسس الفلسفية والمنهجية لأي دراسة (مثل طرق المعرفة)، استنادًا إلى موقع موضوع الدراسة على متصلات أو محاور مثل وجهات النظر النسبية- الواقعية أو الفريدة- غير الفريدة لأحداث العالم الحقيقي (راجع التشابه المعرفي Epistemological similarity) .

النظرة إلى العالم Worldview: نظام واسع وعميق للتفكير في الأساليب التي يجب استخدامها في بحوث العلوم الاجتماعية استنادًا إلى وجود منظور وجودي معين (أي كيفية قيام الأساليب المختارة بإدراك حقائق العالم الفعلية، وما إذا كان هناك من المفترض أن يكون هناك حقيقة مفردة أو حقائق مبنية متعددة).

النظرية المجذرة Grounded theory: نوع من البحث النوعي يركز على جمع البيانات حول الحدوث الطبيعي للسلوك الاجتماعي في سياقات الحياة الواقعية دون قيود من قبل التصنيفات السابقة والأفكار المسبقة للباحث. ويتضمن هذا البحث الاشتقاق النهائي لـ الفئات ذات الصلة كجزء من تحليل البيانات، ويراعى أن الفئات الناشئة قد تم اشتقاقها "من الأسفل إلى الأعلى" ومن ثم "ترتكز أو تتجذر" في الواقع الأصلي.

نظرية المعرفة Epistemology: هي الأسس الفلسفية لمعتقدات الباحثين فيما يتعلق بطبيعة المعرفة وكيفية اشتقاقها أو إنشائها.

وحدة التركيز Focal unit: هي وحدة الدراسة في الدراسات النوعية (مثل الأفراد، الجماعات، الأحداث، أو المنظمات). ويساعد تحديد مثل هذه الوحدات في تنظيم جمع البيانات للدراسة، إلا أنه لا تتطلب جميع الدراسات وحدات تركيز محددة.

الوصف الكثيف Thick description: الجهد المبذول لجمع البيانات التي تصف أحداث العالم الحقيقي بشكل تفصيلي هائل. ولا توفر التفاصيل الهائلة مجرد عرضٍ أكثر ثراءً للأحداث فحسب وإنما تساعد أيضًا على ذلك تقليل انتقائية الباحث وتأثيراته الانعكاسية في عرضه للأحداث.

الوضعية Positivism: منظور يتخذه الباحث للوصول إلى الحقيقة بطريقة موضوعية لا يسمح فيها لقيمه واتجاهاته ونظرته إلى الحياة أن تؤثر على فهم موضوع بحثه. وتميل

الطرق البحثية الوضعية إلى كونها ذات اتجاه واحد يبدأ بوضع الأسئلة البحثية ثم التوصل إلى فروض أو توقعات بشأن إجابتها من خلال الاستعراض المرجعي ثم يتم التحقق منها إحصائيا بغرض تعميمها على المجتمع أو الشاملة البحثية مصدر عينته البحثية. وهي أيضا نظرة يتبناها الباحثون تدعي أن العلوم الطبيعية ومن ثم العلوم الاجتماعية تقوم على أساس حقائق كونية، وحيث يتمثل دور البحث في الكشف عن هذه الحقائق. وتتناقض هذه النظرة مباشرة مع النظرة التي ترى أن المعرفة والفهم نسبيان، وليسا مطلقين.



المراجـــــع

أولا: المراجع العربية

جامع، محمد نبيل (٢٠٠٩). علم الاجتماع المعاصر ووصايا التنمية، دار الجامعة الجديدة، الأزاريطة، الإسكندرية ٢٠٠٩م، مرجع شامل في علم الاجتماع المعاصر يقع في ٦٧٠ صفحة.

شومان، محمد (٢٠١٦). البحوث الكيفية في الدراسات الإعلامية، دار أطلس، القاهرة.

العبد الكريم، راشد بن حسين (٢٠١٢). البحث النوعي في التربية، دار الفجر للنشر والتوزيع.

قنديلجي، عامر و إيمان السامرائي (٢٠٠٩)، البحث العلمي الكمي والنوعي، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

كريسويل، جون و شيريل بوث (٢٠١٩)، تصميم البحث النوعي-دراسة معمقة في خمسة أساليب، (ترجمة أحمد محمود الثوابيه) دار الفكر.

هس-بايبر، شارلين و باتريشيا ليفي (٢٠١١). البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية، (ترجمة هيفاء الجوهري، مراجعة وتقديم محمد الجوهري) المشروع القومي للترجمة، المركز القومي للترجمة، سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين، القاهرة.

ثانيا: المراجع الأجنبية

Adams, T. E., Holman Jones, S., and Ellis, C. (2015). *Autoethnography: Understanding Qualitative Research*. New York: Oxford University Press, 1–203.

Adrian, Bonnie. (2003). *Framing the bride: Globalizing beauty and romance in Taiwan's bridal industry*. Berkeley: University of California Press.

Allison, Graham, and Zelikow, Philip. (1999). *Essence of decision: Explaining the Cuban missile crisis* (2nd ed.). New York: Addison Wesley Longman. (CS).

Anderson, Elijah. (1999). *Code of the street: Decency, violence, and the moral life of the inner city*. New York: Norton. (QS).

Auerbach, Carl F., and Silverstein, Louise H. (2003). *Qualitative Data: An Introduction to Coding and Analysis*. New York: New York University Press.

Baxter, P., and Jack, S. (2008). Qualitative case study methodology: Study design and implementation for novice researchers. *The Qualitative Report*, *13* (4), 544-559. Retrieved from http://www.nova.edu/ssss/QR/QR13-4/baxter.pdf

Becker, H. S., Hughes, E. C., Geer, B., and Strauss, A. L. (1961). *Boys in White: Student Culture in Medical School.* Toronto: University of Chicago Press.

Becker, Howard S. (1958). "Problems of inference and proof in participant observation". *American Sociological Review, 23*, 652–660.

Benbasat, I.; Goldstein, D.K.; and Mead, M. (1987). "The Case Research Strategy in Studies of Information Systems," MIS Quarterly, September, pp. 369-386.

Bennett, Andrew (2015). Case Study: Methods and Analysis, International Encyclopedia of the Social & Behavioral Sciences (Second Edition).

Berger, Peter L. (1963). *Invitation to Sociology: A Humanistic Perspective.* New York: Anchor.

Bhattacherjee, Anol (2012). *Social Science Research: Principles, Methods, and Practices*, University of South Florida, Scholar Commons. *Textbooks Collection*.

Bourgois, Philippe. (2003). *In Search of Respect: Selling Crack in El Barrio* (2nd ed.). New York: Cambridge University Press. (QS).

Bryman, A. (1995). *Quantity and quality in Social Research*. London Routledge

Burrell, G. and G. Morgan (1979). *Sociological Paradigms and Organisational Analysis*. London, Heinemann Education Books.

Butler, Christopher. (2002). *Postmodernism: A Very Short Introduction*. Oxford, UK: Oxford University Press.

Campbell, D.T. (1975). "*Degrees of freedom and the case study*", *Comparative Political Studies*, Vol. 8, No. 2, pp. 178-93.

Charmaz, K. (2006). *Constructing Grounded Theory: A Practical Guide Through Qualitative Analysis*. London, UK: Sage.

Ciborra, C. (2004). Encountering information systems as a phenomenon. In C. Avgerou, C. Ciborra, and F. Land (Eds.), The social study of information and communication technology: Innovation, actors, and contexts (pp. 17-37). Oxford, UK: Oxford University Press.

Cohen, L. Manion, L. Morrison, K. and Morrison, R. B. (2007). *Research Methods in Education*, Rouledge.

Collis, J., and Hussey, R. (2003). *Business Research: A practical Guide for Undergraduate and Postgraduate Students* (2nd ed.). Basingstoke, Hampshire, UK: Palgrave Macmillan.

Cook, Thomas D., and Campbell, Donald T. (1979). *Quasi-Experimentation: Design and Analysis Issues for Field Settings*. Chicago: Rand McNally.

Cressey, Paul G. (1932). *The Taxi-Dance Hall: A sociological Study in Commercialized Recreation and City Life.* Chicago, Ill., The University of Chicago Press.

Creswell, J. W. (1994). *Research design: qualitative & quantitative approaches.* Thousand Oaks, Calif., Sage Publications.

Creswell, J. W. (1998). *Qualitative Inquiry and research design: Choosing among five traditions*. Thousand Oaks, CA: Sage.

Creswell, J. W. (2007). *Qualitative Inquiry and research design: Choosing among five traditions* (2nd ed.). Thousand Oaks, CA: Sage.

Creswell, John W. (2009). "Mapping the field of mixed methods research". *Journal of Mixed Methods Research, 3*, 95–108.

Datta, Lois-ellin. (1994). Paradigm wars: A basis for peaceful coexistence and beyond. *New Directions for Program Evaluation, 61*, 54–70.

Dey, I. (1999). *Grounding Grounded Theory: Guidelines for Qualitative Inquiry*. San Diego, CA: Academic Press.

Diaz Andrade, A. (2009). "Interpretive Research Aiming at Theory Building: Adopting and Adapting the Case Study

Design." *The Qualitative Report*, 14(1), 42-60. Retrieved from https://nsuworks.nova.edu/tqr/vol14/iss1/3

Díaz Andrade, A., and Urquhart, C. (2009). "The value of extended networks: Social capital in an ICT intervention in rural Peru." *Information Technology for Development* – Special Issue on Taking Stock of E-Development, 15 (2), 108-132.

Doolin, B. (1996). "Alternative views of case research in information systems." *Australian Journal of Information Systems, 3* (2), 21-29.

Duneier, Mitchell. (1999). *Sidewalk*. New York: Farrar, Straus, and Giroux. (QS).

Eisenhardt, K. M. (1989). "Building theories from case study research." *Academy of Management Review*, 14 (4), 532-550.

Eisenhardt, Kathleen M. (1980). "Building Theories from Case Study Research." *Academy of Management Review* 14 (October): 532-550.

Eisenhart, Margaret. (2006). Representing qualitative data. In J. L. Green, G. Camilli, & P. B. Elmore (Eds.), *Handbook of Complementary Methods in Education Research* (3rd ed. : 567–581). Washington, DC: American Educational Research Association.

Emerson, Robert M., Fretz, Rachel I., and Shaw, Linda L. (1995). *Writing Ethnographic Fieldnotes*. Chicago: University of Chicago Press.

Emmel, Nick (2013). *Sampling and Choosing Cases in Qualitative Research: A Realist Approach*. Thousand Oaks, CA: SAGE Publications.

Erickson, Frederick. (2006). "Definition and analysis of data from videotape: Some research procedures and their rationales." In J. L. Green, G. Camilli, and P. B. Elmore (Eds.), *Handbook of Complementary Methods in Education Research* (3rd ed., pp. 177–191). Washington, DC: American Educational Research Association.

Flick, U. (1992). "Triangulation revisited: strategy of validation or alternative?" *Journal for the Theory of Social Behavior*, Vol. 22. Pp. 175-98.

Flick, U. (2002). *An Introduction to Qualitative Research.* London, Sage.

Flyvbjerg, B. (2011). "Case study." In: N. K. Denzin and Y. S. Lincoln (eds.). *The Sage Handbook of Qualitative Research,* 4th ed. Thousand Oaks, CA: Sage, pp. 301–316.

Flyvbjerg, Bent. (2006). "Five misunderstandings about case-study research." *Qualitative Inquiry*, 12, Issue 2, pp. 219–245.

Forchuk, C., and Roberts, J. (1993). "How to critique qualitative research articles." *Canadian Journal of Nursing Research*, *25*, 47-55.

Gall, M. D., Gall, J. P., and Borg, W. R. (2003). *Educational research: An Introduction* (7th ed.). Boston, MA: A & B Publications.

George, A. L. and Bennett, A. (2005). *Case Studies and Theory Development in the Social Science.* Cambridge: MIT Press.

Gerring, John (2004). "What Is a Case Study and What Is It Good for?" *American Political Science Review* 98 (May): 341-354.

Gerring, John (2007). *Case Study Research: Principles and Practices*. New York: Cambridge University Press.

Giorgi, A and Giorgi, B (2003). "Phenomenology." In J A Smith (ed.) *Qualitative Psychology: A Practical Guide to Research Methods*. London: Sage Publications.

Glaser, B. and Strauss, A. (1967). *The Discovery of Grounded Theory: Strategies for Qualitative Research*, Chicago: Aldine.

Glaser, B. G. (1978). *Theoretical Sensitivity: Advances in the Methodology of Grounded Theory*. Mill Valley, CA: Sociology Press.

Glaser, B. G. (1992). *Basics of Grounded Theory Analysis*. Mill Valley, CA: Sociology Press.

Glaser, B. G., and Strauss, A. L. (1967). *The Discovery of Grounded Theory: Strategies for Qualitative Research*. Chicago, IL: Aldine.

Glesne, C. and A. Peshkin (1992). *Becoming Qualitative Researchers an Introduction*. London: Longman.

Gomm, Roger, Hammersley, Martyn, and Foster, Peter. (2000). "Case study and generalization." In Roger Gomm, Martyn

Hammersley, and Peter Foster (Eds.), *Case Study Method: Key Issues, Key Texts* (pp. 98–115). London: Sage.

Green, J. C., and Caracelli, V. J. (1997). "Defining and describing the paradigm issues in mixed-method evaluation." In Greene, J. C., and Caracelli, V. J. (eds.) (1997a). Advances in Mixed –Method Evaluation: The Challenges and Benefits of Integrating Diverse Paradigms. (New Directions for Evaluation # 47). San Francisco: Jossey-Bass, pp: 5-17.

Green, J. C., Caracelli, V. J. and Graham, W. F. (1989). Toward a conceptual framework for mixed-method evaluation designs. Educational Evaluation and Policy Analysis, 11, 255-274.

Green, J.C., and Caracelli, V. J. (eds.) (1997). Advances in mixed –method evaluation: The challenges and benefits of integrating diverse paradigms. (New Directions for Evaluation # 47). San Francisco: Jossey-Bass.

Green, Jennifer C. (2008). "Is mixed methods social inquiry a distinctive methodology? *Journal of Mixed Methods Research, 2*, 7–22.

Green, Jennifer, Caracelli, Valerie, and Graham, J. F. (1989). "Toward a conceptual framework for mixed-method evaluation designs." *Educational Evaluation and Policy Analysis, 11*, 255–274.

Gregor, S. (2006). "The nature of theory in information systems." *Management Information Systems Quarterly*, 30 (3), 611-642.

Guba, E. (1981). "Criteria for assessing the trustworthiness of naturalistic inquiries." *Educational Resources Information Center Annual Review Paper*, *29*, 75-91.

Guba, E. G., & Lincoln, Y. S. (1994). "Competing paradigms in qualitative research." In N. K. Denzin & Y. S. Lincoln (Eds.), *Handbook of Qualitative Research* (pp. 105- 117). Thousand Oaks, CA: Sage.

Hahn, Christopher. (2008). *Doing Qualitative Research Using your Computer: A Practical Guide*. Thousand Oaks, CA: Sage.

Harling, Kenneth. (2012). "An Overview of case study", Article in *SSRN Electronic Journal* · September, DOI: 10.2139/ssrn.2141476

Hartley, J. (2004). *Case Study Research Essential Guide to Qualitative Methods in Organizational Research* C. Cassell and G. Symon. London Sage.

Heidegger, Martin. (1971). "The Origin of the Work of Art." *Poetry, Language, thought.* Trans. Albert Hofstadter. NY: Harper Collins.

Hesse-Biber, Charlene N., and Patricia Leavy (2006). *The Practice of Qualitative Research*, Second Edition, Sage Publications, Inc.

Hirschman, E.C. (1986). "Humanistic inquiry in marketing research: philosophy, method and criteria". *Journal of Marketing Research,* Vol. 23, pp. 237-49.
http://scholarcommons.usf.edu/oa_textbooks/3

Husserl, E. (1931). *Ideas: General Introduction to Pure Phenomenology,* transl. W. R. B. Gibson, MacMillan, New York.

Irvine, H. and H. Deo (2006). "The power of the lens, A comparative analysis of two views of the Fiji development bank." *Accounting, Auditing & Accountability Journal* 19 (2): 205-227.

Irvine, H. and M. Gaffikin (2006). "Methodological Insights Getting in, Getting on and Getting out: Reflections on Qualitative Research Project " *Accounting, Auditing and Accountability Journal* 19 (1): 115-145.

Johnson, R. Burke (Ed.). (2006). "New directions in mixed methods research." *Research in the Schools, 13* (whole issue).

Kane, Mary, and Trochim, William. (2007). *Concept Mapping for Planning and Evaluation*. Thousand Oaks, CA: Sage.

Karnieli-Miller, Orit, Strier, Roni, and Pessach, Liat. (2009). "Power relations in qualitative research." *Qualitative Health Research, 19*, 279–289.

Kellner, Hansfred (1981). *Sociology Reinterpreted.* New York: Doubleday,

Kennedy, Mary M. (1979). "Generalizing from single case studies," *Evaluatiion Quarterly*, vol 3, no 4, November, Sage Publications, inc 661-678.

Kitzinger, J. (1994). 'The methodology of focus groups: the importance of interaction between research participants', *Sociology of Health* 16 (1), pp. 103-21.

Klein, H. K., and Myers, M. D. (1999). "A set of principles for conducting and evaluating interpretive field studies in information systems." *Management Information Systems Quarterly, 23* (1), 67-88.

Krefting, L. (1991). "Rigor in qualitative research: The assessment of trustworthiness." *American Journal of Occupational Therapy*, *45*, 214-222.

Krueger, R. A. (1988). *Focus Groups: A Practical Guide for Applied Research* (London: Sage).

Kuhn, T. S. (1970). *The Structure of Scientific Revolutions.* Chicago: University of Chicago Press.

Kuhn, T. S. (1996). The Structure of Scientific Revolutions (3rd ed.) Chicago: Chicago University Press.

Kuhn, T.S. Conant, J. and Haugeland, J. (2000). *The Road Since Structure.* Chicago: University of Chicago Press.

Kuzel, Anton. (1992). "Sampling in qualitative inquiry." In Benjamin F. Crabtree and William L. Miller (Eds.), *Doing Qualitative Research* (pp. 31–44). Thousand Oaks, CA: Sage.

Kvale, S. (2007). *Doing Interviews*. Thousand Oaks, CA: Sage.

Lakatos, I. and Musgrave, A. (Eds.). (1970). *Criticism and Growth of Knowledge.* New York: Cambridge University Press.

Lather, P. (1992). "Critical frames in educational research: Feminist and post-structural perspectives." *Theory into Practice*, *31* (2), 87-99.

LeCompte, M. and Goetz, J. (1982). "Problems of reliability and validity in ethnographic research," *Review of Educational Research,* Vol. 52, No. 1. Pp. 30-60.

Levitt, Peggy. (2001). *The Transnational Villagers*. Berkeley: University of California Press.(QS)

Lewis, Oscar. (1965). *La Vida: A Puerto Rican family in the culture of poverty—San Juan and New York*. New York: Vintage Books.

Liebow, Elliot. (1993). *Tell them who I am: The lives of Homeless Women*. London: Penguin Books. (QS)

Lincoln, Y. S., and Guba, E. A. (1985). *Naturalistic Inquiry*. Beverly Hills, CA: Sage.

Llewellyn, (2003). "Methodological issues what counts as "theory" in qualitative management and accounting research? Introducing five levels of theorizing." *Accounting, Auditing & Accountability Journal* 16 (4): 662-708.

Locke, Karen (2009). "The design of member review: Showing what to organization members and why." *Organizational Research Methods, 12*, 488–509.

Locke, Karen, and Velamuri, S. Ramakrishna. (2009). "The design of member review: Showing what to organization members and why." *Organizational Research Methods, 12*, 488–509.

Luckmann, Thomas (1966). *The Social Construction of Reality: A Treatise in the Sociology of Knowledge.* New York: Doubleday.

Marshall, C. and Rossman, G. B. (1989). *Designing Qualitative Research,* Sage, Newbury Park, CA.

Maxwell, Joseph A. (1996). *Qualitative Research Design: An Interactive approach*. Thousand Oaks, CA: Sage.

Mays, N., and Pope, C. (2000). "Qualitative research in health care: Assessing quality in qualitative research." *BMJ*, *320*, 50-52.

McNamara, C. (2017). "General Guidelines for Conducting Research Interviews." Retrieved June 13, from http://managementhelp.org/businessresearch/interviews.htm.

Mead, Margaret (1925). *Coming of Age in Samoa: A Psychological Study of Primitive Youth for Western Civilization.* William Morrow and Company, New York.

Merriam, Sharan B. (1998). *Qualitative Research and Case Study Applications in Education.* San Francisco, CA: Jossey-Bass Publishers.

Mesec, B. (1998). *Uvod v kvalitativno raziskovanje v socialnem delu*. Ljubljana: Visoka šola za socialno delo. pp. 61–66.

Miles, M. B., and Huberman, A. M. (1994). *Qualitative Data Analysis: An Expanded Source Book* (2nd ed.). Thousand Oaks, CA: Sage.

Mill, John Stuart and Nagel, Ernest (1950). *John Stuart Mill's Philosophy of Scientific Method,* The Hafner Library of Classics.

Miller, Lisa L. (2018) "The use of case studies in law and social science research." *Annual Review of Law and Social Science* 14m TBD.

Mills, Albert J. (2010). Gabrielle Durepos, and Eiden Wiebe, editors. *Encyclopedia of Case Study Research*. Thousand Oaks, CA: SAGE Publications.

Morgan, D. L. (1988). *Focus Groups as Qualitative Research*. London: Sage.

Morgan, G., and Smircich, L. (1980). "The case for qualitative research." *The Academy of Management Review, 5* (4), 491-500.

Morse, J. M. (1994). "Designing funded qualitative research". In N. K. Denzin and Y. S. Lincoln (Eds.), *Handbook of Qualitative Research* (pp. 220-233). Thousand Oaks, CA: Sage.

Murphy, Jerome T. (1980). *Getting the Facts: A Fieldwork Guide for Evaluators and Policy Analysts*. Santa Monica, CA: Goodyear.

Murray, Michael. (2009). "Narrative psychology." In Jonathan A. Smith (Ed.), *Qualitative psychology: A Practical Guide to Research Methods* (pp. 111–132). Los Angeles: Sage.

Myers, M. D. (1997). "Interpretive research in information systems." In J. Mingers and F. A. Stowell (Eds.), *Information Systems: An Emerging Discipline?* (pp. 239-266). London, UK: McGraw-Hill.

Nair, G. S. and Riege, A. M. (1995). "Convergent interviewing to refine the research problem of a Ph.D. thesis," in Sogar, D. H. and Weber, I. (ed.), *Marketing Educators and Researchers International Conference, Proceedings*, 2-5 July, Gold Coast.

Natanson, Maurice (1970). "Alfred Schultz, on social reality and social science." In Maurice Natanson, ed., *Phenomenology and Social Reality*. The Hague: Nijhoff.

Nespor, Jan. (2006). Finding patterns with field notes. In J. L. Green, G. Camilli, and P. B. Elmore (Eds.), *Handbook of Complementary Methods in Education Research* (3rd ed., pp. 297–308). Washington, DC: American Educational Research Association.

Neuman, W. L. (1997). *Social Research Methods: Qualitative and Quantitative Approaches*. Boston, MA: Allyn and Bacon.

Neuman, W. L. (2000). *Social Research Methods: Qualitative and Quantitative Approaches*. Boston, MA: Allyn and Bacon.

Newman, Katherine S. (1999). *No Shame in my Game: The Working Poor in the Inner City*. New York: Russell Sage Foundation. (QS)

Orlikowski, W. J., and Baroudi, J. J. (1991). "Studying information technology in organizations: Research approaches and assumptions." *Information Systems Research*, 2 (1), 1-28.

Padfield, M. and Ian Procter (1996). The effect of interviewer's gender on the interviewing process: A comparative enquiry, *Sociology*, Vol. 30, No. 2, pp. 355-366.

Parke, A. (1993). "Messy research, methodological predispositions, and theory development in international joint ventures". *Academy of Management Review*, Vol. 18 No. 2, pp. 227-68.

Patton, M. (1991). *Qualitative Valuation and Research Methods* (2nd ed.). Newbury Park, CA: Sage.

Patton, Michael Quinn. (2002). "Two decades of developments in qualitative inquiry." *Qualitative Social Work, 1*, 261–283.

Pelto, Pertti J., and Pelto, Gretel H. (1978). *Anthropological research: The Structure of Inquiry* (2nd ed.). Cambridge, UK: Cambridge University Press.

Perakyla, A. (1997). "Reliability and validity in research based on tapes and transcripts," in Silverman, D. (ed.), *Qualitative Research: Theory, Method and Practice*, Sage, London.

Pérez, Gina M. (2004). *The Near Northwest Side Story: Migration, Displacement, and Puerto Rican Families*. Berkeley: University of California Press. (QS)

Powell, R. A. and H.M. Single (1996). 'focus groups', *International Journal of Quality in Health Care* 8 (5), pp. 499-504.

Putney, LeAnn Grogan (2010). "Case Study." In *Encyclopedia of Research Design*, Neil J. Salkind, editor. (Thousand Oaks, CA: SAGE Publications), pp. 116-120.

Ragen, Charles C. and Howard Becker (1992). *What is a Case: Exploring the Nature of Social Inquiry*. Cambridge University Press.

Reason, Peter, and Riley, Sarah. (2009). "Co-operative inquiry: An action research practice". In Jonathan A. Smith (Ed.), *Qualitative psychology: A Practical guide to Research Methods* (pp. 207–234). Los Angeles: Sage.

Reichardt, Charles S., and Rallis, Sharon F. (Eds.). (1994). "The qualitative-quantitative debate: New perspectives." *New Directions for Program Evaluation, 61* (whole issue).

Retrieved from https://nsuworks.nova.edu/tqr/vol15/iss3/19.

Rex, Lesley A., Steadman, Sharilyn C., and Graciano, Mary K. (2006). "Research the complexity of classroom interaction." In J. L. Green, G. Camilli, and P. B. Elmore (Eds.), *Handbook of Complementary Methods in Education Research* (3rd ed.: 727–771). Washington, DC: American Educational Research Association.

Ritzer, George (1996). *Modern Sociological Theory*. New York: McGraw-Hill,

Rossi, Peter. (1994). "The war between the quals and the quants: Is a lasting peace possible?" *New Directions for Program Evaluation, 61*, 23–36.

Russell, C., Gregory, D., Ploeg, J., DiCenso, A., and Guyatt, G. (2005). "Qualitative research." In A. DiCenso, G. Guyatt, and D. Ciliska (Eds.), *Evidence-Based Nursing: A guide to Clinical Practice* (pp. 120-135). St. Louis, MO: Elsevier Mosby.

Sagadin, J. (2004). Tipi in vloga študij primerov v pedagoškem raziskovanju. Sodobna pedagogika, 55, Issue 4, pp. 88–99.

Saldana, Johnny. (2009). *The coding manual for qualitative researchers*. Thousand Oaks, CA: Sage.

Sandelowski, M. (1986). "The problem of rigor in qualitative research." *Advances in Nursing Science*, *8* (3), 27-37.

Sandelowski, M. (1993). Rigor or rigor mortis: The problem of rigor in qualitative research revisited. *Advances in Nursing Science, 16* (1), 1-8.

Sassen, S. (2004). "Towards a sociology of information technology." In C. Avgerou, C. Ciborra, and F. Land (Eds.), *The Social Study of Information and Communication Technology* (pp. 77-99). Oxford, UK: Oxford University Press.

Scapins, R. W. (1990). "Researching management accounting practice: The role of case study method." *British Accounting Review*, 22: 259- 281.

Schein, Edgar. (2003). *DEC is dead, long live DEC: Lessons on innovation, technology, and the business gene*. San Francisco: Berrett-Koehler.(CS)

Schilling, J. (2006). “On the pragmatics of qualitative assessment: Designing the process for content analysis,” *European Journal of Psychological Assessment* (22:1), 28-37.

Schultz, Alfred. (1967). *The Phenomenology of the Social World.* George Walsh and Frederick Lehnert, trans. Evanston, Ill.: Northwestern University Press.

Searle, John R. (2010). *The Construction of Social Reality*, Simon and Schuster.

Seawright, Jason and John Gerring (2008). "Case selection techniques in case study research." *Political Research Quarterly* 61 (June): 294-308.

Seidman, Irving. (2006). *Interviewing as Qualitative Research: A guide for Researchers in Education and the Social Sciences* (3rd ed.). New York: Teachers College Press.

Sidel, Ruth. (2006). *Unsung heroines: Single Mothers and the American Dream*. Berkeley: University of California Press. (QS)

Simons, H. (2009). *Case Study Research in Practice*. London: SAGE.

Sluka, Jeffrey A., and Robben, Antonius C. G. M. (2007). "Fieldwork in cultural anthropology: An introduction." In A. C. G. M. Robben and J. A. Sluka (Eds.), *Ethnographic fieldwork: Ananthropological Reader* (pp. 1–28). Malden, MA: Blackwell.

Smith, j. (1993). *After the Demise of Empiricism: The problem of Judging Social and Educational Inquiry*. New York: Ablex.

Smith. J. (1989) *The Nature of Social and Educational Inquiry: Empiric interpretation*. Norwoo, NJ. Ablex.

Sorokin, Pitirim (1956). "Fads and Foibles in Modern Sociology and Related Sciences", American Sociological Review, Vol. 18, No. 2, October.

Spradley, James P. (1979). *The Ethnographic Interview*. New York: Holt, Rinehart & Winston.

Stake, R. E. (1995). *The Art of Case Study Research*. Thousand Oaks, Sage Publications.

Stake, R. E. (2005). "Qualitative case studies." In: N. K. Denzin and Y. S. Lincoln (eds.). *The SAGE handbook of Qualitative Research* (3rd ed.). Thousand Oaks, CA: Sage, pp. 443–466.

Steinberg, Paul F. (2015). "Can we generalize from case studies?", Global Environmental Politics, Vol. 5, Issu 3, August. 152-175.

Steinberg, Paul F. (2015). Can we generalize from case studies? *Global Environmental Politics,* Volume 15, Issue 3, August p.152-175

Strauss, A. and Corbin, J. M. (1990). Basics of Qualitative Research: Grounded theory Procedures and Techniques. Thousand Oaks, CA. US: Sage Publications, Inc.

Streiner, David L., and Sidani, Souraya (Eds.). (2010). *When Research Goes Off the Rails: Why it Happens and What You Can Do About It.* New York: Guilford Press.

Strogatz, (2007). "The End of Insight," In Brockman, John, ed. *What is Your Dangerous Idea?* Harper Collins. ISBN 9780061213950

Strsuss, A. and Corbin, J. M. (1998). *Basics of Qualitative Research: Techniques and Procedures for Developing Grounded Theory.* Thousand Oaks, CA. US: Sage Publications, Inc.

Sturman, A. (1997). "Case study methods." In: J. P. Keeves (ed.). *Educational Research, Methodology and Measurement: An International Handbook* (2nd ed.). Oxford: Pergamon, pp. 61–66.

Susman, G.I. and Evered, R.D. (1978). "An Assessment of the Scientific Merits of Action Research," *Administrative Science Quarterly*, (23), 582-603.

Swanborn, Peter G. (2010). *Case Study Research: What, Why and How?* London: SAGE.

Tacchi, J., Slater, D., and Hearn, G. (2003). "Ethnographic action research." Retrieved from http://unescodelhi.nic.in/publications/ear.pdf

Tashakkori, Abbas, & Teddlie, Charles. (1998). *Mixed Methodology: Combining Qualitative and Quantitative Approaches*. Thousand Oaks, CA: Sage.

Tashakkori, Abbas, & Teddlie, Charles. (2009). "Integrating qualitative and quantitative approaches to research." In Leonard Bickman and Debra J. Rog (Eds.), *The Sage Handbook of Applied Social Research Methods* (2nd ed., pp. 283–317). Thousand Oaks, CA: Sage.

Tashakkori, Abbas, and Teddlie, Charles (Eds.). (2003). *Handbook of Mixed Methods in Social and Behavioral Research*. Thousand Oaks, CA: Sage.

Teddlie, C. and Tashakkori, A. (2003). "Major issues and controversies in the use of mixed methods in the social and behavioral sciences.: In A. Tashakkori and C. Teddlie (eds), *Handbook of Mixed Methods in Social and Behavioral Research*. Thousand Oaks, CA: Sage. pp. 3-50.

Thomas, G. (2011). "A Typology for the case study in social science following a review of definition, discourse and structure." *Qualitative Inquiry*, 17, Issue 6, pp. 511–521.

Thompson, Karl. (2015). "Positivism and Interpretivism in Social Research,: March. https://revisesociology.com/2015/05/18/positivism-interpretivism-sociology/ Retrieved April, 2019.

Trauth, E. M. (1997). "Achieving the research goal with qualitative methods: Lessons learned along the way" [Presentation]. May/June, Paper presented at the Proceedings of the IFIP

Turner, D. W. (2010). "Qualitative Interview Design: A Practical Guide for Novice Investigators." *The Qualitative Report*, 15 (3), 754-760.

Urquhart, C. (2001). "An encounter with grounded theory: Tackling the practical and philosophical issues." In E. M. Trauth (Ed.), *Qualitative research in IS: Issues and trends*. (pp. 104-140). Hershey, PA: Idea Group.

Verschuren, P. J. M. (2003). "Case study as a research strategy: some ambiguities and opportunities." *International Journal of Social Research Methodology,* 6, Issue 2, pp. 121–139.

Walsham, G. (1995a). "The emergence of interpretivism in IS research." *Information Systems Research, 6* (4), 376-394.

Walsham, G. (1995b). "Interpretive case studies in IS research: Nature and method." *European Journal of Information Systems, 4* (2), 74-81.

Warner, W. Lloyd, and Lunt, Paul S. (1941). *The Social Life of a Modern Community*. New Haven, CT: Yale University Press (in six volumes).

Warren, C. A. B. (1988). *Gender Issues in Field Research*. London: Sage.

Webb, Eugene T., Campbell, Donald T., Schwartz, Richard D., and Sechrest, Lee. (1966). *Unobtrusive Measures:*

Nonreactive Research in the Social Sciences. Chicago: Rand McNally.

Webb, Eugene T., Campbell, Donald T., Schwartz, Richard D., Sechrest, Lee, and Grove, Janet Belew. (1981). *Nonreactive Measures in the Social Sciences* (2nd ed.). Boston: Houghton Mifflin. Previously published as *Unobtrusive measures: Nonreactive research in the social sciences* (1966).

Weber, Ron (2004). "Class notes provided by Jorgen Sandberg." *MIS Quarterly*, Vol. 28, No. 1, March, p. iv.

Whyte, William F. (1955). *Street Corner Society: The Social Structure of Italian Slum*. University of Chicago Press.

Wickham, M., & Woods, M. (2005). "Reflecting on the strategic use of CAQDAS to manage and report on the qualitative research process." *The Qualitative Report, 10* (4), 687-702.

Wilson, E.J. and Vlosky, R.P. (1997). “Partnering relationship activities: Building theory from case study research”, *Journal of Business Research*, Vol. 39, No. 1, pp. 59-70.

Wilson, E.J. and Wilson, D.T. (1988), “*Degrees of freedom in case research of behavioral theories of group buying*”, Advances in Consumer Research, Vol. 15, pp. 587-94.

Wilson, William Julius, and Taub, Richard P. (2006). *There Goes the Neighborhood: Racial, Ethnic, and Class Tensions in*

Four Chicago Neighborhoods and Their Meaning for America. New York: Vintage Books. (QS)

Woodside, A.G. and Wilson, E.J. (1995), "*Applying the long interview in direct marketing research*", *Journal of Direct Marketing*, Vol. 9 No. 1, pp. 37-55.

Yazan, B. (2015). "Three approaches to case study methods in education". In Yin, Merriam, and Stake. *The Qualitative Report,* 20 (2), 134-152. Retrieved from https://nsuworks.novaedu/tqr/vol20/iss2/12

Yin, R. K. (2003). *Case Study Research: Design and Methods* (3rd ed.). Thousand Oaks, CA: Sage.

Yin, R. K. (2009). *Case Study Research: Design and Methods* (4th ed.). Thousand Oaks, CA: SAGE Publications, Inc.

Yin, R., (1994). *Case Study Research: Design and Methods* (2nd ed.). Beverly Hills, CA: Sage Publishing.

Yin, Robert K. (2000). "Rival explanations as an alternative to reforms as experiments." In Leonard Bickman (Ed.), *Validity and Social Experimentation: Donald Campbell's Legacy* (pp. 239–266). Thousand Oaks, CA: Sage.

Yin, Robert K. (2011). *Qualitative Research from Start to Finish.* New York: The Guilford Press, A Division of Guilford Publications, Inc.

Yin, Robert K. (2014). *Case Study Research: Design and Methods*. 6th edition. Los Angeles, CA, SAGE Publications.